كتاب يعلمك كيف تكون حكيماً في أفكارك وأقوالك وأعمالك

قوة الحكمة الروحية

أروع كلمات الحكماء
ورسائلهم ووصاياهم وقصصهم



دار المحجة البيضاء

السيد حسين نجيب محمد

قوة الحكمة الروحية

دار المحجة البيضاء



مكتبة غريب طوس

قوة الحكمة الروحية

أروع كلمات الحكماء ورسائلهم ووصاياهم وقصصهم

عَن إمَامِ العَارِفِينَ

أمِيرِالمؤمِنين (ع)

العِلْمُ نَهْرُ

والحِكْمَةُ بَحْرُ

والعُلَمَاءُ حَوْلَ النَّهْرِ يَطُوفُونَ

والحُكَمَاءُ وَسَطَ البَحْرِ يَغُوصُونَ

وَالعَارِفُونَ فِي سُفُنِ النَّجَاةِ يَسِيرُونَ



دعاء الحكمة

من دعاء للإمام المهدي المنتظر عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

«اللَّهُمَّ إنِّي أسألك أن تصلِّي على محمَّد نبي رحمتك وكلمة نورك، وأن تملأ قلبي نور اليقين، وصدري نور الإيمان، وفكري نور الثبات، وعزمي نور العلم، وقوَّتي نور العمل، ولساني نور الصدق، وديني نور البصائر من عندك، وبصري نور الضياء، وسمعي نور وعي الحكمة، ومودَّتي نور المولاة لمحمَّد وآله عليهم السلام، حتى ألقاك وقد وفيت بعهدك وميثاقك، فلتسعني رحمتك ياولي يا حميد»[1].

---

(١) الاحتجاج: ج٢، ص٣١٧.

ويقول عن يحيى عليه السلام: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍۢ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مَريَم: ١٢].

ويقول عن داود عليه السلام: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥١].

والحكمة هي الخير الكثير، قال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩].

فما هي الحكمة؟

ولماذا اقترنت بالكتاب الكريم؟

وكيف علَّمها النبي محمَّد ﷺ لأصحابه؟

ثم كيف نتعلم الحكمة في الحياة، والعمل، ومواجهة المشاكل اليومية، والعلاقة مع الأُسرة والناس ونحو ذلك.

هذا ما ستعرفه في هذا الكتاب بإذن الله تعالى، وهو ولي التوفيق والتسديد.



الفصل الأوَّل

- ❖ تعريف الحكمة
- ❖ أقسام الحكمة
- ❖ آثار الحكمة
- ❖ موارد الحكمة

تعريف الحكمة

تعدَّدت آراء العلماء في تعريف الحكمة حتى بلغت نحو الثلاثين قولاً، بعضها قريب من بعض، وفيما يلي نشير إلى بعض تلك الأقوال:

القول الأوَّل: الحكمة من مادة «حكم» وهذه المادة تدلُّ على المنع، فيُقال في اللغة: «احكموا سفهاءكم» أي امنعوهم، ويُسمَّى اللجام حكمة لأنَّه يمنع الدابة من الشرود، فالحكمة تدلُّ على المنع الحاصل من الإحكام والاتقان.

ولمَّا كان في الإنسان صراع بين قوتي العقل والنفس، فلا بُدَّ له من مانع يمنع النفس من اتباع الشهوات، وذلك المانع هو الحكمة.

فعن الإمام علي عليه السلام: «للنُّفوس طبائع سوءٍ، والحكمة تنهى عنها»(١).

وعنه عليه السلام: «من ملك عقله كان حكيماً»(٢).

والحكمة في علم الأخلاق هي «القوَّة التي تمنع صاحبها عن القبائح والرذائل اعتقاداً وقولاً وعملاً، على نحو تكون مُحكمه في النفس، لا يصيبها ضعف ولا فتور»(٣) ويشير إلى هذا المعنى الحديث

---

(١) موسوعة العقائد الإسلامية: ج٢، ص٨٦.

(٢) المصدر نفسه: ص١٠٣.

(٣) مواهب الرَّحمن: ج٤، ص٣٧٠.

الشريف: «ما من آدمي إلَّا وفي رأسه حكمةٌ، إذا همَّ بسيِّئة فإن شاء الله أن يقدعه بها قدعه»[١]، فقوله: «حكمه» إشارة إلى القوَّة المانعة.

وبهذه القوَّة تُحكم النفس وتُمنع عن الإفراط والتفريط، وإلى هذا الأمر يشير حديث الإمام علي عليه السلام: «أعجب ما في الإنسان قلبه، وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها (إلى أن يقول): فكُلُّ تقصير به مضرّ، وكُلُّ إفراط له مفسد»[٢].

القول الثاني: إصابة الحق بالعلم والعقل، ووضع كل شيء في موضعه المناسب له، وهي في الخالق من صفات الفعل، لأنَّه يضع كُلّ شيء في موضعه ويحكمه بما يتوافق مع قابلياته وحاجاته، وفي الإنسان معرفة الأشياء على حقيقتها ثم معاملتها بما يتناسب مع الواقع.

القول الثالث: إنَّها المقدمات العلمية والعملية لبلوغ الإنسان الهدف الأعلى للإنسانية[٣].

القول الرابع: إنَّها السُّنَّة النبوية الشريفة، فقد كان النَّبي صلى الله عليه وآله يُعلِّم الناس القرآن والسُّنَّة لتكمل بذلك قواهم العقلية والعملية، ويشير إلى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وآله: «إنَّ الله آتاني القرآن، وآتاني من الحكمة مثل القرآن»[٤].

القول الخامس: إنَّها الأسرار والعلل والنتائج الموجودة في الأحكام التي يُعلِّمها النَّبي صلى الله عليه وآله، فهي ـ بتعبيرٍ آخر ـ فلسفة الأحكام والتشريعات، وهو مفاد الحكمة لغة والتي تعنى الإحكام والاتقان.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) مستدرك نهج البلاغة: ج١٠، ص٤٠٧.

(٣) العلم والحكمة: ص٨٢.

(٤) نور الثقلين: ج١، ص٢٨٨.

أقسام الحكمة

تُقسم الحكمة ثلاثة أقسام هي: الحكمة النَّظريَّة، والحكمة العمليَّة، والحكمة الحقيقيَّة. وهذه الأقسام الثَّلاثة تُمثِّل القاعدة الوطيدة والمراقي المقويَّة المتقنة للعروج إلى مقام الإنسان الكامل والدّنوّ من الكمال المطلق. فالأنبياء وضعوا المرقاة الأُولى، وعلى الإنسان أن يصنع المرقاة الثانيَّة، وأمَّا الثَّالثة فهي فيض من الله سبحانه وتعالى.

١ ـ الحكمة النَّظريَّة:

هي المقدِّمة العلميَّة لبلوغ الهدف الأعلى للإنسانيَّة، ومن خصائص هذه الحكمة أنَّها قابلة للتَّعليم والتَّعلُّم، وإنَّ أحد الأسباب الأساسيَّة لبعثة الأنبياء التي اهتمَّ بها القرآن الكريم في آيات عديدة هو التعريف بهذه الحكمة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤].

الحكمة النَّظريَّة التي يطلق عليها العقل النَّظريّ أيضاً في رؤية القرآن تشمل جميع المعارف الاعتقاديَّة، والأخلاقيَّة، والعمليَّة التي تهدي الإنسان إلى الحياة الطيِّبة وتقرِّبه من غاية خلقه، من هنا قال القرآن الكريم، بعد عرض قضايا متنوِّعة في المجالات الاعتقاديَّة والأخلاقيَّة والعمليَّة: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسرَاء: ٣٩].

٢ ـ الحكمة العمليَّة:

هي المقدِّمة العمليَّة للوصول إلى مقام الإنسان الكامل، من هذا المنطلق تُسمَّى كافَّة الأعمال التي تنمِّي قابليَّات الإنسان وتُدنيه من غاية خلقه ومن الكمال المطلق: الحكمة العمليَّة، وإلى هذا القسم من الحكمة تنظر الأحاديث التي تفسِّر الحكمة بطاعة الله تعالى، والتَّقوى، وحفظ الدِّين، وملازمة الحقّ، والرِّفق بالنَّاس ومداراتهم، واجتناب الكبائر، والتعرِّي من الخداع(١).

وقد ذكر بعض المفسرين الآيات التي تشير إلى الحكم العلميَّة والحكم العمليَّة، ومن ذلك:

١ ـ قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٣] من الحكمة النظريَّة، وقوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠١] من الحكمة العمليَّة.

٢ ـ قول عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مَريَم: ٣٠] من الحكمة النظريَّة، وقوله: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مَريَم: ٣١] من الحكمة العمليَّة.

٣ ـ قول الله تعالى للنبي محمَّد ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محَمَّد: ١٩] من الحكمة النظريَّة، وقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غَافر: ٥٥] من الحكمة العمليَّة.

٤ ـ قول الله تعالى للنبي موسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: ١٤] من الحكمة النظريَّة، وقوله: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] من الحكمة العمليَّة.

---

(١) راجع «العلم والحكمة»: ص٨٢.

٣ ـ الحكمة الحقيقيَّة:

الحكمة النَّظريَّة مقدِّمة للحكمة العمليَّة، والحكمة العمليَّة مقدِّمة للحكمة الحقيقيَّة، وما لم يبلغ المرء هذه الدَّرجة من الحكمة، فليس حكيماً بالمفهوم الحقيقيّ لها، وإن كان أُستاذ الكلِّ في الكلّ.

الحكمة الحقيقيَّة هي جوهر العلم وحقيقته ونوره، ولذا تترتَّب عليها خواصّ العلم الحقيقيّ وآثاره. ومن أهمّ آثار حقيقة العلم الواردة في القرآن الكريم: «خَشية الله»: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. ويترتَّب هذا الأثر نفسه على الحكمة أيضاً في كلام رسول الله ﷺ، حيث قال: «خَشيةُ الله عزَّ وجلَّ رأسُ كُلّ حكمة».

الحكمة الحقيقيَّة نُورانيَّة يمنّ بها الله تعالى على الإنسان، نتيجة العمل بالحكمة النظريَّة، وهذه النُّورانيَّة كما جاء في تفسير الإمام الصَّادق عليه السلام للحكمة هي ضدّ الهوى، وعندما يستنير القلب يفرُّ منه الهوى، وتضعف الشَّهوة حتى تموت، ويحيا العقل، فلا تبقى أرضيَّة في الإنسان لارتكاب الأعمال القبيحة، ولذا تقترن الحكمة بالعصمة، وبالجملة تتوفَّر للإنسان جميع خصائص الحكيم والعالم الحقيقيّ، فيصبح في ذروة هذه الخصائص عارفاً حقيقيّاً بنفسه وبربِّه، ويبلغ الهدف الأعلى للإنسانيَّة، وهو لقاء الله تعالى، وهنا ينقطع القلب من كُلِّ ما هو فانٍ، ويلتحق بعالم البقاء، ولهذا قال معدنُ حكمة الله وسيِّد الحكماء والعرفاء، في تفسير الحكمة: «أوَّل الحكمة تَركُ اللَّذات، وآخرها مَقْت الفانيات» وقال: «حدّ الحكمة الإعراض عن دار الفناء، والتَّولُّه بدار البقاء».

وبهذا التوضيح يتبيَّن لنا السِّرّ في أنَّ الله تعالى الحكيم الذي

عدَّ متاع الدُّنيا قليلاً قد سمَّى الحكمة خيراً كثيرا، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩][١]!

وإلى هذا القسم يشير الحديث عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «بالحكمة يستخرج غور العقل، وبالعقل يستخرج غور الحكمة، فإذا واظبت على ذلك فتح الله تعالى مسامع قلبك فأدركت الحكمة وعرفت العبرة وخلصت نيتك، وحضر قلبك، وصحَّ قصدك في الخيرات وترقَّت نفسك»[٢].

---

(١) راجع «العلم والحكمة»: ص٨٤.

(٢) السلوك إلى الله تعالى للسيِّد عبد الله شبر: ص٢٠٣.

آثار الحكمة

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩] تكفينا هذه الآية المباركة في أهمية وآثار الحكمة، فقد ذكرت أنَّ من يؤتى الحكمة فقد أُوتي الخير الكثير في حياته الدُّنيا والآخرة.

قال بعض المفسرين: «وتأمَّل أيُّها المسكين، فإنَّه تعالى ما أعطى من العلم إلَّا القليل، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسرَاء: ٨٥] وسمى الدُّنيا بأسرها قليل، فقال: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النِّسَاء: ٧٧] وانظر كم مقدار هذا القليل حتى تعرف عظمة ذلك الكثير».

إعلم ـ أخي العزيز ـ إنَّ من يؤتى الحكمة فقد فُتح له أبواب العلم والوعي والمعرفة والتسديد والتوفيق والرِّزق.

من يؤتى الحكمة فقد أُوتي السعادة والسكينة والرِّضا، والقناعة، وكل الصفات الكمالية.

من يؤتى الحكمة فقد أحكم السيطرة على عقله ونفسه وتصرفاته.

من يؤتى الحكة عرف كيف يتعامل مع الآخرين، فيجعل العدوّ صديقاً، والبعيد قريباً، ويساهم في حلِّ المشاكل، ومساعدة الناس. . .

فعن لقمان الحكيم في وصيَّته لابنه: «يا بُنيَّ تعلَّم الحكمة تشرف، فإنَّ الحكمة تدلُّ على الدِّين، وتشرِّف العبد على الحرّ، وترفع المسكين

على الغنيّ، وتقدِّم الصغير على الكبير، وتجلس المسكين مجالس الملوك، وتزيد الشريف شرفاً، والسيِّد سؤدداً، والغنيّ مجداً، وكيف يتهيَّأ له أمر دِينه ومعيشته بغير حكمة، ولن يهيِّىء الله عزَّ وجلَّ أمر الدُّنيا والآخرة إلَّا بالحكمة»[١].

وقال له: «يا بُنيَّ إنَّ الحكمة تعمل عشرة أشياء: أحدها تحيي القلوب الميتة، وتجلس المسكين مجالس الملوك، وتشرِّف الوضيع، وتحرِّر العبيد، وتؤوي الغريب، وتغني الفقير، وتزيد لأهل الشَّرف شرفاً، وللسيِّد سؤدداً، وهي أفضل من المال، وحرزٌ من الخوف، ودرعٌ في الحرب، وبضاعةٌ حين يربح، وهي شفيعةٌ حين يعتريه الهول، وهي دليلةٌ حين ينتهي به اليقين، وسترةٌ حين لا يستره ثوبٌ»[٢].

وعن الإمام علي عليه السلام: «اعلموا أنَّه ليس من شيءٍ إلَّا ويكاد صاحبه يشبع منه ويملّه إلَّا الحياة! فإنَّه لا يجد في الموت راحة، وإنَّما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميِّت، وبصر للعين العمياء، وسمع للأذن الصمَّاء، وريٌّ للظمآن، وفيها الغنى كُلّه والسلامة»[٣].

وعنه عليه السلام فيما نسب إليه: «قوتُ الأجسام الغذاء، وقوت العقول الحكمة، فمتى فَقدَ واحد منهما قوته بار واضمحلَّ»[٤].

وعنه عليه السلام أيضاً: «ليس الموسر مَن كان يساره باقياً عنده زماناً

---

(١) كنز الفوائد: ج٢، ص٦٦.
(٢) المواعظ العددية: ص٣٩٩.
(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٣.
(٤) شرح نهج البلاغة: ج٢٠، ص٢٧٨، ح٢٠٢.

يسيراً وكان يمكن أن يغتصبه غيره منه ولا يبقى بعد موته له، لكن اليسار على الحقيقة هو الباقي دائماً عند مالكه ولا يمكن أن يؤخذ منه ويبقى له بعد موته، وذلك هو الحكمة»(١).

وفي مصباح الشريعة قال الإمام الصَّادق عليه السلام: «الحكمة ضياء المعرفة وميراث التقوى وثمرة الصدق. ولو قلت: ما أنعم الله على عبد من عباده بنعمة أعظم وأنعم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة لقلت صادقاً! قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩] أي: لا يعلم ما أودعتُ وهيَّأت في الحكمة إلَّا من استخلصته لنفسي وخصصته بها، والحكمة هي النجاةُ، وصفة الحكيم الثبات عند أوائل الأُمور والوقوف عند عواقبها، وهو هادي خلق الله إلى الله تعالى»(٢).

ونظراً لأهميتها فقد حضَّ الإسلام على طلبها واكتسابها، حتى ورد: «إنَّ الحكمة ضالة المؤمن» أي: الشيء الذي يفتقده ويبحث عنه بشكل دائم ودائب.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج٢٠، ص٢٦٢، ح٦٨.
(٢) مصباح الشريعة: ص٥٣٣.

موارد الحكمة

عندما تتحقَّق الحكمة في الإنسان تنعكس آثارها عليه في كُلِّ حياته، فيصير حكيماً في أفكاره وأقواله وأفعاله، ومن ثمَّ يُعرف بين الناس بـ«الحكيم» وإتماماً للفائدة أستعرض عدَّة موارد للحكمة، وهي:

١ ـ **الدعوة إلى الله تعالى**، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومعنى الدعوة بالحكمة أن يلاحظ الداعية أحوال المخاطبين ويُبيِّن لهم الدعوة بكلام يفهمونه ولا يستنكرونه.

٢ ـ **التكاليف الشرعية**، فقد ذكر الله تعالى جملة من الأحكام الشرعية التي نزلت لتهذيب النفس، ثم ذكر أنَّها من الحكمة، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ [الإسراء: ٣٩].

٣ ـ **النطق بالحكمة**، فالحكيم لا ينطق إلَّا بالحكمة والحق والصواب، فعن رسول الله ﷺ: «إنَّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة»[1].

٤ ـ **الحكمة في العطاء والمنع**، فليس من الحكمة أن تعطي الولد سكِّيناً، وليس من الحكمة أن تمنع المال عن المستحق.

---

(١) موسوعة العقائد: ج٢، ص٨١.

٥ ـ الحكمة في الحب والبغض، والجدّ والمزاح، والمعاشرة، والمداراة، فعن الإمام علي عليه السلام: «ليس حكيماً من لم يُدار من لا يجد بُدّاً من مداراته»[١].

٦ ـ الحكمة في معرفة النفس وأحوالها وما يناسبها ويصلحها، فعن الإمام علي عليه السلام: «أفضل الحكمة معرفة الإنسان نفسه ووقوفه عند قدره»[٢].

٧ ـ الحكمة في التعامل مع الآخرين، فعن الإمام علي عليه السلام: «من الحكمة أن لا تنازع من فوقك، ولا تستذلّ مَن دونك، ولا تتعاطى ما ليس في قدرتك، ولا يخالف لسانك قلبك ولا قولك فعلك، ولا تتكلّم فيما لا تعلَمُ، ولا تترك الأمر عند الإقبال وتطلُبَهُ عندَ الإدبار»[٣].

وعنه عليه السلام: «من الحكمة طاعتك لمن فوقك، وإجلالك مَن في طبقتك، وإنصافك لمن دونك»[٤].

ورُوي إنَّ خضراً وعليّاً عليهما السلام قد اجتمعا، فقال له عليّ عليه السلام: «قل كلمة حكمة، فقال: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء قربة إلى الله تعالى، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقةً بالله، فقال الخضر: ليُكتب هذا بالذهب»[٥].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «قيل للقمان: ما الذي أجمعت عليه من حكمتك؟ قال: لا أتكلّف ما قد كُفيته، ولا أُضيِّع ما ولِّيته»[٦].

---

(١) مستدرك نهج البلاغة: ج١، ص٣٩٤.

(٢) العلم والحكمة: ص٩٦.

(٣) غرر الحكم.

(٤) غرر الحكم.

(٥) المناقب لابن شهرآشوب: ج٢، ص٢٤٧.

(٦) قرب الإسناد: ج٧٢، ص٢٣٢.

وقيل للقمان: «ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عمَّا كُفيت، ولا أتكلَّف ما لا يعنيني»[١].

عن رسول الله ﷺ: «ليس بحكيم مَن لم يعاشر بالمعروف مَن لا يجد من معاشرته بُدّاً حتى جعل الله له من ذلك فرجاً»[٢].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «ليس بحكيم مَن ابتذل بانبساطه إلى غير حميم»[٣].

وعنه عليه السلام: «ليس بحكيم مَن شكا ضرّه إلى غيره».

وعنه عليه السلام: «ليس الحكيم مَن قصد بحاجته إلى غير كريم»[٤].

٨ ـ الحكمة في التصرف بالأمور المالية، فمن يملك مالاً كثيراً عليه أن يضعه في موضعه المناسب، بلا إسراف ولا تبذير، فهو مسؤول عنه يوم القيامة.

٩ ـ الحكمة في التصرف بالطاقات الباطنية، فمن يملك قدرات باطنية كالحدس وقراءة الأفكار، ومعرفة الضمير، وعلم الحروف ونحو ذلك ينبغي له أن يكون حكيماً في إظهارها، فلا يظهر ما عنده للشهرة والرياء وحب الظهور، وإلّا عادات عليه سلبياً.

ولذا نجد أنَّ كبار الأولياء كانوا يمتلكون «الاسم الأعظم» إلّا أنَّهم لا يستخدمونه لمآربهم الشخصية، وممَّا يُحكى في هذا السياق أنَّ رجلاً جاء للإمام الصَّادق عليه السلام يطلب منه أن يُعلِّمه الاسم الأعظم

---

(١) قصص الأنبياء: ١٩٠/٢٣٨.

(٢) شعب الإيمان: ج٦، ص٢٦٦، ح٨١٠٤.

(٣) غرر الحكم: ٧٤٩٨.

(٤) غرر الحكمة: ج٢، ص١٣٥، ح٤٨.

فرفض الإمام عليه السلام لعلمه بأنّه لا يتحمَّله، ولكن الرجل أصرَّ على الإمام عليه السلام فقال له الإمام عليه السلام: اذهب غداً إلى جسر كذا وانظر ماذا ترى ثم عُدْ إليَّ، فذهب الرجل فرأى عجوزاً يريد العبور على الجسر، وفي منتصف الطريق أوقفه الجلاوزة وضربوه، فما كان من العجوز إلَّا أن جمع أغراضه ورجع، فاغتاظ الرجل وهو ينظر إليه وعاد إلى الإمام الصَّادق عليه السلام وأخبره بما رأى، فسأله الإمام عليه السلام: لو كان عندك الاسم الأعظم ماذا تفعل بالجلاوزة؟ فقال الرجل: افعل كذا وكذا و. . . فقال: ولكن العجوز يملك الاسم الأعظم إلَّا أنَّه لم يفعل لهم شيء.

فهذا يعني أنَّ امتلاك الاسم الأعظم لا يعني التصرّف به كيفما كان.

وبعد أن عرفنا أهمية الحكمة وآثارها نأتي إلى تعريفها وبيان أقسامها وينابعها.

ينابيع الحكمة

الحكمة التي يؤتيها الله تعالى والتي هي الخير الكثير، والتي يعلمها الأنبياء عليهم السلام هي ما تصيب الواقع ممَّا له صبغة ربَّانيَّة لا أفكار فلسفية خليطة الحق والباطل والخيال والوهم.

وتتمثَّل الحكم الإلٰهيَّة بـ:

أوَّلاً: القرآن الكريم، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله في الآية المباركة: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩]، قال: «القرآن»[١].

فالقرآن كتاب الله الحكيم، الذي أودع فيه الحكمة البالغة، قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القَمَر: ٥].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال في القرآن: «لا تُحصى عجائبه ولا تُبلى غرائبه، مصابيح الهدى، ومنار الحكمة»[٢].

ثانياً: السُّنَّة النبوية الشريفة، فعنه صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «إنَّ الله تعالى آتاني القرآن، وآتاني من الحكمة مثل القرآن، وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلَّا كان خراباً، ألا فتفقَّهوا، وتعلَّموا ولا تموتوا جهَّالاً»[٣].

---

(١) العلم والحكمة: ص٧٧.

(٢) الفرقان: ج٣، ص٢٩١.

(٣) الحقائق والدقائق: ج٣، ص٤١٧.

ومن هنا لزم لمن أراد الحكمة أن يتفقه في سُنَّة رسول الله ﷺ، فبالتفقه تُنال الحكمة.

فعن الإمام الصَّادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال عليه السلام: «إنَّ الحكمة المعرفة والتفقه في الدِّين، فمن فقه منكم فهو حكيم»(١).

وللوصول إلى السُّنَّة النبوية لا بُدَّ من اتباع آل محمَّد عليهم السلام فهم باب الحكمة، فعن رسول الله ﷺ: «أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها»(٢).

ثالثاً: آل محمَّد عليهم السلام، فعن الإمام الصَّادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال: «معرفة الإمام»(٣).

وبيان ذلك: أنَّ آل محمَّد عليهم السلام هم المطهرون الذين أودعهم الله تعالى الكتاب والحكم والإمامة والولاية والإلهام، فعن الإمام عليّ الرِّضا عليه السلام: «إنَّ العبد إذا اختاره الله عزَّ وجلَّ لأُمور عباده شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يع بعده بجواب، ولا يحيد فيه عن الصواب، وهو معصوم مُؤيَّد، مُوفَّق مُسدَّد، قد أمن من الخطايا والزلل والعثار، يخصُّه الله تعالى بذلك ليكون حجَّة على عباده وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم»(٤).

---

(١) العلم والحكمة: ص٧٨.

(٢) مقدِّمة البرهان: ص٢١٧.

(٣) المصدر نفسه: ص٧٨.

(٤) الحقائق والدقائق: ج٣، ص٢٣٣.

وعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «نحن حكماء الله في أرضه»[١].

ويقول آية الله الشيخ الوحيد الخراساني حفظ الله في شرح الحديث: «إنَّ دقَّة النظر في فقه القرآن والحديث يجب أن تأخذ في اعتبارها أنَّ بعثة جميع الأنبياء من آدم إلى الخاتم عليهم السلام تبدأ بتلاوة الآيات وتنتهي بالحكمة... إنَّ تلك الحكمة التي لها مبدأ ومنتهى، فمبدؤها طاعة الله عزَّ وجلَّ ومنتهاها معرفة الإمام عليه السلام»[٢].

رابعاً: الذات الإنسانية، فقد أودع الله تعالى في الإنسان الأسرار والأنوار، وهي مطويَّة فيه، كما قال الإمام علي عليه السلام:

أتحسب أنَّك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ومحلّ الحكمة في الذات الإنسانية هو «القلب» فعن الإمام علي عليه السلام: «القلب ينبوع الحكمة والأذن مغيضها». وعنه عليه السلام: «اعلموا أن الله سبحانه لم يمدح من القلوب إلَّا أوعاها للحكمة»[٣]

إلَّا أنَّ على الإنسان أن يزيل الحجب لتنفجر ينابيع الحكمة.

فعن الإمام علي عليه السلام: «إنَّ قلوب المؤمنين لمطوية بالإيمان طيّاً فإذا أراد الله تعالى إنارة ما فيها فتحها بالوحي فزرع فيها الحكمة»[٤].

ولذا ورد: «أنَّ من أخلص لله تعالى العبودية أربعين صباحاً تفجَّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[٥].

---

(١) مقدِّمة البرهان: ص٢١٧.
(٢) الحق المبين: ص٥٧٣.
(٣) ميزان الحكمة مادة «القلب».
(٤) العلم والحكمة: ص٩٥.
(٥) السلوك إلى الله تعالى: ص٢٧.

قيل: «تأتي المعرفة من الآخرين، والحكمة من أعمق مركز في كيانك؛ فحكمتك تنبع من أعماقك، والمعرفة ليست خاصيتك على الإطلاق، لكنَّها رخيصة، وسهلة المنال. الحكمة شاقة، فعليك أن تحفر عميقاً في كيانك، إنَّها تشبه حفر بئر في الأرض، حيث لا بُدَّ من إزالة الكثير من الصخور؛ وقد تحتاج إلى تفجيرها بالديناميت. إنَّها شاقة، لكن إن تابعت بالحفر بهمة كبيرة، وبشدَّة، وبمثابرة، وصبر، فإنَّه سيأتي يوم تنبع فيه المياه.

مرَّة أخذ جلال الدِّين الرومي، وهو واحد من أعظم المتصوفة، كل مريديه إلى حقل حيث رأوا هناك شيئاً مهماً، كان المزارع يحفر حفرة في الأرض فطلب جلال الدِّين من مريديه أن يدوروا حول الحقل ويدقِّقوا النظر. فوجدوا بأنَّ المزارع قد حفر دزينة من الحفر تقريباً. فقال: «لقد حفرت بحثاً عن الماء ولمَّا لم أجده في مكان واحد عندها بدأت أحفر في مكان آخر».

فقال جلال الدِّين لمريديه: «انظروا إلى هذا الرجل، هو يمثل الإنسانية، فلو داوم على الحفر في مكان واحد لكان وجد الماء منذ فترة بعيدة، لكنَّه استمر في تغيير الأمكنة، فصبره ضيِّق جدّاً، ولهذا فقد خرب الحقل كله».

على المرء أن يحفر في مكان واحد بكُلِّ طاقته، وبرضا تام، للعثور على مصدر المعرفة في الداخل، مهما كلَّف الأمر ومهما طال الزمن.

المفارقة هنا هي أنَّك بقدر ما تكون صبوراً، بقدر ما يكون حدوثها سريعاً؛ وبقدر ما تكون فاقداً للصبر، بقدر ما يطول اللأمر». إنتهى.

وأمَّا كيفية استخراج الحكم من النفس فهو ما سنذكره في الموضوع التالي:

الطريق إلى الحكمة

لكي تتحقَّق الحكمة في الإنسان لا بُدَّ من أُمور:

أوَّلاً: معرفة الحكمة، فقد وضع الله تعالى الحكمة في كتابه وأوليائه، فمن يرتبط بهم معرفةً واتباعاً فسيحقِّق الحكمة في نفسه.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] ففي هذه الآية يُبيِّن الله تعالى أنَّ الحكمة عند رسول الله ﷺ، فمن أرادها فليتعلَّم أقواله ويتبعه.

وقال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] وفي تفسير الآية عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «القرآن»[١].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام في تفسير الآية أنَّ الحكمة هي: «طاعة الله ومعرفة الإمام»[٢].

وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢] قال عليه السلام: «أُوتي معرفة إمام زمانه»[٣].

---

(١) موسوعة العقائد الإسلامية: ج٢، ص٦٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مقدِّمة البرهان: ص٢١٦.

فإذن الطريق إلى الحكمة هو اتباع الثقلين وهما القرآن والعترة.

ثانياً: إحكام العقل، فكما أنَّ العقل يمنع الإنسان عن الجهل والرذائل، كذلك الحكمة، ولذا ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[لقمان: ١٢]. عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «الفهم والعقل»(١).

ثالثاً: التفقه في الدِّين، فالفقه ـ بقسميه الأكبر والأصغر ـ يمنع الإنسان عن الوقوع في المحرَّمات، فعن الإمام الصَّادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩] أنَّه قال عليه السلام: «إنَّ الحكمة المعرفة والتفقُّه في الدِّين، فمن فقه منكم فهو حكيم»(٢).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «إنَّ الله آتاني من الحكمة مثل القرآن، وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلَّا كان خراباً، ألا فتعلَّموا وتفقَّهوا، ولا تموتوا جُهَّالاً»(٣)، فقوله صلى الله عليه وآله: «آتاني من الحكمة مثل القرآن» إشارة إلى السُّنَّة الشريفة المعروفة بالفقه الشرعي.

رابعاً: الإخلاص، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(٤).

قال السيِّد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله: «وعن جمع من أكابر علماء النفس دعوى التجربة في ذلك»(٥).

---

(١) المصدر نفسه: ص٧١.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) مواهب الرَّحمٰن: ج٤، ص٣٧٢.
(٤) مواهب الرَّحمٰن: ج٤، ص٣٧٣.
(٥) المصدر نفسه.

خامساً: الصمت، فعن رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه فإنَّه يُلقى الحكمة»[١].

سادساً: الوضوء، فعن رسول الله ﷺ أنَّه قال عن آثار الوضوء: «أوَّل ما يمسّ الماء يتباعد عنه الشيطان، فإذا تمضمض نوَّر الله قلبه ولسانه بالحكمة»[٢].

سابعاً: الزهد، فعن الإمام علي عليه السلام: «زين الحكمة الزهد في الدُّنيا»[٣].

وعنه عليه السلام: «أوَّل الحكمة ترك اللَّذات، وآخرها مقت الفانيات»[٤].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «من زهد في الدُّنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه»[٥].

ثامناً: الجوع، ففي حديث المعراج: «يا أحمد إنَّ العبد إذا أجاع بطنه وحفظ لسانه علَّمته الحكمة وإن كان كافراً، تكون حكمته حجَّة عليه ووبالاً، وإن كان مؤمناً تكون حكمته له نوراً وبرهاناً وشفاءً ورحمة، فيعلم ما لم يكن يعلم، ويبصر ما لم يكن يبصر، فأوَّل ما أُبصِّره عيوب نفسه حتى يشتغل عن عيوب غيره»[٦].

تاسعاً: الإحسان، وهو ما أشارت إليه الآية المباركة: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ

---

(١) موسوعة العقائد: ج٢، ص١٠١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ميزان الحكمة.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدرنفسه.

﴿أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤] أي من أحسن العمل أتاه الله العلم بدون تعلُّم، لأنَّ العمل سبب إلى كُلِّ خير[١].

عاشراً: مجالسة الأولياء والعلماء الذين يُذكّرون بالله تعالى، فعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «لقاء أهل المعرفة عمارة القلوب ومستفاد الحكمة»[٢].

الحادي عشر: التفكّر، فإنه يثير دفائن العقول، فعن الإمام علي عليه السلام: «عليكم بالفكر فإنه حياة قلب البصير ومفاتيح أبواب الحكمة»[٣].

الثاني عشر: الابتعاد عن المحرّمات والخطايا القلبية والقولية والعملية، فعن السيد المسيح عليه السلام: «القلوب إذا لم تخرقها الشهوات أو يدنّسها الطمع أو يقسّيها النعيم، فسوف تكون أوعية للحكمة»[٤]

---

(١) السلوك إلى الله تعالى: للأحسائي، ص٢٩.

(٢) ميزان الحكمة، مادة «القلب».

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

من هو الحكيم؟

الحكيم هو ذلك الشخص الذي ملك زمام نفسه وعقلها عن فعل المحرَّمات، فعن الإمام علي عليه السلام: «من ملك عقله كان حكيماً»[(١)].

وهو الذي يتأنى في الحكم على الأُمور، فعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «صفة الحكيم الثبات عند أوائل الأُمور، والوقوف عند عواقبها»[(٢)].

وفي العرف العام يُقال للرجل الذي بلغ درجة عالية من الوعي والفهم والخبرة بأنَّه حكيم، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا حكيم إلَّا ذو تجربة»[(٣)].

وعن لقمان عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ أخلاق الحكيم عشرة خصال: الورع، والعدل، والفقه، والعفو، والإحسان، والتيقُّظ، والتحفُّظ، والتذكُّر، والحذر، وحُسن الخُلق، والقصد»[(٤)].

وللحكيم مرتبة عالية، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «كاد الحكيم أن يكون نبيّاً»[(٥)].

---

(١) موسوعة العقائد: ج٢، ص١٠٣.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ميزان الحكمة.
(٤) موسوعة العقائد.
(٥) موسوعة العقائد: ج٢، ص٧٩.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم في بعض أسفاره إذ لقيه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، فالتفت إليهم وقال: من أنتم؟ فقالوا: مؤمنون، قال: فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرِّضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تجمعون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون»[1].

الحكمة بعد سنِّ الأربعين:

الحكمة تُؤتى من الله تعالى لكُلِّ إنسان يليق بها سواء كان صغيراً أم كبيراً، فكم ذكر التاريخ صغاراً وشباباً وصلوا إلى مرتبة الحكماء، إلَّا أنَّ الغالب في إيتاء الحكمة أن يبلغ المرء عمر الأربعين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يُوسُف: ٢٢].

وسُئل أبو جعفر الخواص الكوفي عمَّا جاء في الخبر أنَّه: «من أحسن عبادة الله في شبيبته لقى الحكمة عند شيبته»؟ فقال: كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يُوسُف: ٢٢]، ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعَام: ٨٤] وعداً عليه حقاً، ألا ترى أنَّ عليّاً عليه السلام آمن صغيراً فلم يلبث أن صار ناطقاً حكيماً، فقال: «رحم الله امرءً سمع حكماً فوعى، وأخذ بحجزة هادٍ فنجا، قدَّم خالصاً، وعمل صالحاً، واكتسب مذخوراً، واجتنب محذوراً...»[2].

كيف تستفيد من الحكم؟

كي تستفيد ـ أيُّها القارىء الكريم ـ من هذا الكتاب وما يحوي من

---

(١) الفرقان: ج٣، ص٢٩٢.

(٢) مستدرك نهج البلاغة: ج١٠، ص١٨٣.

حكم وقصص، لا بُدَّ من أن تفتح قلبك لتعي، فعن الإمام علي عليه السلام: "رحم الله عبداً سمع حُكماً فوعى»[١].

ففي المرحلة الأولى استماع ثم وعي، وبعد ذلك استنتاج الدروس والعبر.

وعنه عليه السلام: «من تبصَّر في الفطنة تبيَّنت له الحكمة» فهنا فطنة ثم تبصُّر ثمَّ استنتاج، فتدبَّر، والله وليُّ التوفيق.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة: ج١٠، ص٣٨٤.

تجليات الحكمة في السيرة النبوية[١]

ذكر القرآن الكريم أنَّ من أهداف البعثة النبوية تزكية الناس وتعليمهم الكتاب والحكمة، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الجُمُعَة: ٢] وقد كثر الكلام بين المفسرين والعلماء حول التزكية وتعليم الكتاب، ولكن قلَّما نجد من توقف عند تعليم النبي ﷺ للحكمة، مع ما للحكمة من أهمية، حيث جُعلت مقارنة للقرآن الكريم، ولذلك حاولت في هذه المقالة المختصرة أن أُسلِّط الضوء على تعليم النبي ﷺ للحكمة بقسميها النظري والعملي.

الحكمة النظرية:

وهي العلوم والمعارف التي تتعلق بالأُمور العقائدية والعقلية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والطبية والاقتصادية، وهي ما يُعبَّر عنه بـ«الأحاديث النبوية الشريفة» وقد جُمعت الأحاديث تحت عنوان «حكم النبي الأعظم ﷺ».

الحكمة العملية:

وهي التطبيق العملي للحكمة النظرية، وهي الغاية من نشر العلوم

(١) مقال كتبته في مجلة «التبليغ الديني».

كافة، وهي ما يجعل الإنسان في درجة الحكماء الذين هم أكمل الناس وأقربهم إلى الله ورسوله، وفيما يلي استعرض بعضاً من تجليات الحكمة العملية في السيرة النبوية الشريفة:

١ ـ الحكمة في حسم النزاع بين قبائل قريش في عهد الجاهلية، وذلك أنَّه لما أعادوا بناء الكعبة الشريفة، اختلفوا فيمن يكون له الشرف في وضع الحجر الأسود، فاقترح النبي ﷺ عليهم أن يحضروا ثوباً يوضع فيه الحجر الأسود، ومن ثم يقوم من كُلِّ قبيلة رجل ويرفع الثوب فبذلك يشارك الجميع في حمل الحجر الأسود، وبعد ذلك أخذ النبي ﷺ الحجر بيده ووضعه في مكانه.

٢ ـ الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] فقد كانت دعوته ﷺ مبنية على الرفق واللين والحوار والإقناع، والتبشير والإنذار مع مراعاة أحوال الناس من حيث الوعي أو المكانة العقلية والعلمية والاجتماعية.

٣ ـ الحكمة في العطاء والمنع، فقد عُرف عنه ﷺ الجود والسخاء إلَّا أنَّه كان حكيماً في ذلك، ففي بعض الحالات كانت حكمته ﷺ تقتضي ألَّا يعطي، بل يشجع على العمل، كما في القصة التي حصلت مع رجل جاء إليه ﷺ ويريد أن يطلب المال، فسمع النبي ﷺ يقول: «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله» فعاد إلى بيته ولم يسأل، فأشارت عليه زوجته أن يعود ثانية وقالت: لعلَّ الرسول لا يقصدك، وهكذا عاد ثانية، فسمع النبي يقول: «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله» فرجع إلى بيته وهكذا فعل مرَّة ثالثة، فعند ذلك رجع واستعار فأساً واحتطب ثم حمله إلى السوق فباعه وأكل وعائلته

ثم صار يداوم على هذا العمل حتى استغنى، ورجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره بالأمر فقال له ﷺ: «أليس قد قلنا: «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله»».

ويُستفاد من هذه الحكمة العملية إنَّ على الإنسان أن يكون حكيماً في إعطاء المال لولده، فقد تقتضي الحكمة عدم العطاء لأنَّ كثرة العطاء قد تفسد الولد فينشأ اتكالياً، وقد تقتضي الحكمة أن لا يُعطى الفقير المال بل يُعطى مواد عينية، لأنَّ بعضهم يصرف المال فيما لا فائدة له ولعائلته، فالحكيم من يعرف من يُعطى ومقدار العطاء.

٤ ـ **الحكمة في التوجيه الأخلاقي**، فقد كان ﷺ يعظ الناس بما يتناسب مع أحوالهم، فعندما يأتي إليه من يطلب منه النصيحة والموعظة يقول لأحدهم: «لا تغضب»ويقول لآخر: «لا تكذب» ويقول لثالث: «إذا هممت بأمر فتدبَّر عاقبته» فهكذا كان ﷺ حكيماً في وضع النصيحة بمكانها.

٥ ـ **الحكمة في العبادات**، فنجده أنَّه ﷺ كان إذا صلَّى منفرداً يطيل الصلاة، ولكنَّه إذا كان مع جماعة فإنَّه ﷺ كان يُخفِّف الصلاة رفقاً بالمرضى والضعفاء، بل روى أنَّه ﷺ كان إذا قرأ القرآن ليلاً زمزم في قراءته، فقيل له: يا رسول الله لم لا ترفع صوتك؟ فقال: «أكره أن أُوذي رفيقي وأهل بيتي»[1].

وفي هذا درس لنا كي لا نقوم بأيِّ عمل يزعج الآخرين حتى ولو كان من العبادات.

٦ ـ **الحكمة في الاختيار**، فقد كان السائد أن يختار الوالد زوجاً

---

(١) منتخب حكم النبي الأعظم ﷺ.

لابنته بدون استشارتها، فأعلن ﷺ أنَّ الخيار للفتاة مع بيانه لصفات الرجل الذي يصلح لأن يكون زوجاً ناجحاً، فقد رُوي أنَّ فتاة جاءت لرسول الله ﷺ فقالت: إنَّ أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بذلك خسيسته وأنا له كارهة، فقال ﷺ: اذهبي فانكحي من شئت»[(١)].

ومن هذا الأمر نستفيد أنَّ على الإنسان أن لا يفرض رأيه على أولاده في اختيارهم للعمل أو الزواج بل ليترك لهم الخيار، فالحكمة تقتضى أن يتعلَّم الولد الاختيار وأن لا يعتمد على غيره، فما دور الأب إلَّا توجيه وإرشاد، نعم قد تقتضي الحكمة أحياناً التدخل والاختيار نيابة عن الولد، وهذا الأمر موكول لوعي الأب.

٧ ـ **الحكمة في العفو والتسامح**، فقد عُرف عنه ﷺ العفو والتسامح إلَّا أنَّه في بعض الحالات لم يعفو عن المجرمين والمفسدين والمستهزئين به.

٨ ـ **الحكمة في حلِّ المشاكل الاجتماعية**، فعندما تحصل مشكلة بين شخصين أو مجموعتين أو قبيلتين كان ﷺ يُعمل الحكمة العملية لإصلاح ذات البين من خلال الوعظ أو دفع المال أو توعية المعتدي ونصيحته، وقد تقتضي الحكمة التدخل المباشر كما في قصة «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام».

٩ ـ **الحكمة في اتخاذ المواقف من الآخرين**، ففي بعض الحالات كان ﷺ يظهر البراءة من الكافرين، وفي بعض الحالات كان يتغافل عنهم.

١٠ ـ **الحكمة في التصرف مع الأزواج والأصحاب والإخوان**

---

(١) مستمسك العروة الوثقى: ج١٤، ص٤٤٢.

والأعداء، ومن أراد التوسع في هذا الموضوع فليراجع كتب «السيرة النبوية».

هذا وليُعلم أنَّ النبي ﷺ كان في بعض الحالات يعلم كليَّات الأُمور الحكمية تاركاً التفاصيل لأصحابه وللأجيال من بعدهم، وفي بعض الحالات الأُخرى يُعلِّم جزئيات الأُمور الحكمية، فتدبَّر.

وأخيراً نقول: ينبغي للإنسان أن يكون حكيماً في أفكاره وأقواله وأفعاله... ففي كل موقف أو فعل أو ترك، عليه أن يسأل نفسه: ما الحكمة في ذلك؟

الحكمة العلوية

يعتبر الإمام علي عليه السلام الحكيم الثاني بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ويكفينا قوله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها».

وقد تجلَّت الحكمة في كلماته وأفعاله، فأمَّا كلماته فقد صارت مصدراً لأهل العلم وطلَّاب الحكمة، وقد جمعت في عدَّة كتب تحت عنوان «حكم الإمام علي عليه السلام» وأمَّا أفعاله فكُلّها موافقة للحكمة، إلَّا أنَّنا نستعرض بعض الموارد، ومنها:

١ ـ **الحكمة في مواجهة الخصم**، فقد تقتضي الحكمة المواجهة بالسيف، وقد تقتضي المصالحة والسكوت عن الحق، كما حصل معه عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢ ـ **الحكمة في التعامل مع المعتدين على حقوق الناس**، فقد عُرف عنه عليه السلام العفو والصفح فيما يتعلق بالأُمور الشخصية إلَّا أنَّه لم يهادن في حقوق الناس، سواء منها الحقوق المالية أو المعنوية، كما في قصة ذاك الرجل الذي دفع الإمام في محل الوضوء فضربه عليه السلام وقال له: «ليس هذا لما صنعت بي، ولكن يجيء من هو أضعف منِّي فتفعل به مثل هذا».

٣ ـ **الحكمة في منع أصحابه عن سبّ أصحاب معاوية.**

٤ ـ **الحكمة في العطاء المالي**، فقد كان يساوي بين الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية.

٥ ـ **الحكمة في نشر العلم**، فلم يكن يعطي العلم إلَّا لمن يراه أهلاً لذلك، وبالمقدار المناسب له، فكان له الخواص من الأصحاب وهم «أصحاب السِّر» وكان له العموم من الأصحاب.

وللتوسع في هذا الأمر يُراجع كتب أخلاق الإمام علي عليه السلام فكل أخلاقه عين الحكمة.

الحكمة من كتاب «مواهب الرَّحمٰن»

قال آية الله العارف السيِّد عبد الأعلى السبزواري قدِّس سرُّه: «والحكمة هي التي تمنع صاحبها عن القبائح والرذائل اعتقاداً وقولاً وعملاً على نحو تكون محكمة في النفس لا يصيبها ضعف ولا فتور غالبة على قوى النفس والإرادة توجهها نحو الخير والسعادة وفي الحديث: «ما من آدمي إلَّا وفي رأسه حَكَمةٌ إذا همَّ بسيِّئة فإن شاء الله أن يقدعه بها قدعه» أي تمنع من هي في رأسه من السيِّئة بنحو الاقتضاء كما تمنع الحكمة الدابة».

ويوصف بها الله تعالى، فإنَّ من أسمائه الحسنى (الحكم) و(الحكيم) وقد ورد في أكثر من تسعين مورداً في القرآن الكريم مقروناً إمَّا بالعزيز والعليم أو الخبير أو العليّ، ولعلّ لملازمة حقيقتها فيه تعالى لتلك الصِّفات فجيء بها تبييناً وإيضاحاً، كما يوصف بها الإنسان قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

وإذا تتبعنا الموارد التي ذكر فيها الحكمة في القرآن الكريم نرى أنّها تذكر تارة مقرونة مع الكتاب، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٩]. وأخرى بعد ورود جملة من الأحكام الشرعية التي نزلت لتهذيب الإنسان وسوقه إلى الكمال والسعادة كما في سورة الإسراء، قال تعالى بعد سرد جملة كثيرة من التكاليف الإلهية والأحكام الفطرية: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسرَاء: ٣٩].

ويستفاد من ذلك: أنّ الحكمة هي تلك المطالب الحقة التي ترتسم في النفس وتوجب التوفيق بين الاعتقاد والعمل والسوق إلى الكمال المنشود للإنسان، فتشمل جميع الحقائق الفطرية والأحكام الشرعية والمعارف الحقة التي تتعلّق بالمبدأ والمعاد، وتشرح الحقائق المتعلقة بالنظام الأحسن من حيث ارتباطه بسعادة الإنسان والتي لا تقبل الكذب والبطلان، فتكون للحكمة مظاهر كثيرة متفاوتة، فتارة تتجلّى في القرآن الكريم الذي هو مصدر كلِّ ما يكون في العالَم من أنواع الحكمة المتعالية وهي من أشعة هذا النور العظيم وشوارق ذلك النيِّر المعظم، تأخر زمان وجودها أو تقدم لأنَّ القرآن من اللوح المحفوظ، وهو محيط بهذا العالَم، كما أنَّ الكتب الإلهية من مظاهر هذا التجلِّي الأعظم.

ومن مظاهرها أيضاً الدِّين ومعرفته والتفقّه فيه، فإنَّ الدِّين هو القانون المتكفل لجميع مطالب الإنسان من حين نشأته إلى ما بعد مماته، وعن نبينا الأعظم ﷺ: «إنَّ الله أتاني من الحكمة مثل القرآن، وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلَّا كان خراباً، ألا فتعلَّموا وتفقّهوا ولا تموتوا جهّالاً».

ومن أجلِّ أفراد الحكمة وأعظمها شأناً معرفة الله الواحد الأحد المتفرّد الصمد. فهي بحسب المبدأ هو الجهد الأكيد في التصدِّي لمرضاة الله الحكيم، وبحسب الغاية لذة روحانية مفاضة من الغيب العليم، ويلزم الإحاطة بحقائق الأشياء على قدر طاقة الإنسان، ولأجل هذا تطلق الحكمة على تلك المعلومات الحقة الصادقة، ويسمّى العارف بها حكيماً إلهيّاً أو متألهاً.

وبالجملة: هي الخير الكثير كما وصفها به عزّ وجل، وفي الحديث: «إنَّ في الجنة داراً ـ ووصفها ثم قال ـ لا ينزلها إلَّا نبي أو صدِّيق أو شهيد أو محكّم في نفسه».

ومن الحكمة ما تكون فطرية إفاضية من عالَم الغيب، ومنها: ما تكون اكتسابية تكتسب بالمجاهدات والرياضات الشرعية، ومنها ما هو مركب منهما.

ومن الحكماء من اجتمع جميع أنواع الحكمة فيه، وهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه بكلِّ معنى الصدق والوفاء، فشرح الله صدورهم بكلِّ معنى الانشراح، تشتاق إليهم الجنان العاليات، وهذه هي إحدى مراتب الحكمة وقس عليها سواها.

ولكن للحكمة مرتبة خاصة محجوبة عن البصائر والأفكار لا تليق إلَّا لمن يقدر على تحمل الأسرار، ويشهد لما قلناه شواهد من العقل والآثار والأخبار، كما أنّها ليست منحصرة بالبحث والنظر والفكر فقد تحصل للنفوس المستعدة من إفاضات الباري، فعن نبينا الأعظم ﷺ: «إذا رأيتم المؤمن سكوتاً فادنوا منه فإنّه يلقي الحكمة» وعنه ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله».

ولكنّ الأصل في إفاضة جميع أفراد الحكمة والعرفان ومراتبها هو الإخلاص لله جلّ جلاله، فعن نبينا الأعظم ﷺ: «مَن أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وأنطق بها لسانه»، فتكون حقيقة الحكمة ارتباطاً خاصاً مع عالم الغيب، وأما غيرها فهو فنّ وصناعة، وهما شيء والحكمة الواقعية شيء آخر.

نعم، الحكمة تارة تكون علمية وأخرى عملية، ولا نهاية لمراتبهما، أمّا الثانية فغايتها الرضوان ولقاء الله تعالى، ولا نهاية لكلِّ واحد منهما، وأما الأولى فإنَّ غايتها الاستلهام من الغيب وهو غير محدود، والتحديد إنّما يكون من الممكن المستفيض، لا في المبدأ المفيض.

وقال بعض الأعاظم من الحكماء المتألهين: «إنّ غاية ما للإنسان

من الكمال هو الاتصال بالعقل الفعّال المسيطر على الملك والملكوت تسيطر الروح على الجسد». وهذا صحيح إذا كان المراد بذلك روح القرآن والشريعة الأحمدية المنبعثة عن الحقيقة المطلقة الأحدية لأنّ الإحاطة بالواقعيات صعبة جدّاً إن لم تكن ممتنعة مهما بلغت فطنة العقول في الحدة والذكاء والدقّة لاسيّما بالنسبة إلى المعارف وأسرار القضاء والقدر التي لا يمكن أن يحيط بها غير علَّام الغيوب، وقد ورد النَّهي عن الخوض في جملة منها وأنَّه لا يزيد الخوض فيها إلَّا تحيّراً، فلا مناص للحكيم إلَّا الوقوف على ظواهر الكتاب والسُّنَّة المقدَّسة وهي تحتوي على معادن العلم والحكمة والمعارف وما يكفي لتكميل النفوس الناقصة وإيصالها إلى أوج الكمال والمعرفة وهي الحكمة الحقة التي تفيد لجميع النشآت قال تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وهو مصدر كلِّ علم ومعرفة، هذا بالنسبة إلى **الحكمة العلمية**.

وأما الحكمة العملية فلا بدّ وأن تكون مطابقة للشريعة المقدسة الحتمية، وإلَّا كانت لغواً محضاً.

ثم إنَّه غلب استعمال الحكمة على الفلسفة المتوارثة عن اليونان وقد اصطلح على قدماء الفلاسفة بالحكماء، وقسّموهم إلى الإشراقيين والمشَّائيين والرَّواقيين، كما أنَّهم قسموا الحكمة الاصطلاحية (الفلسفة) إلى علمية وعملية، والثانية عبارة عن علم الفقه والأخلاق، وقسّموا الفقه إلى العبادات والمعاملات (أي العقود والإيقاعات) والأحكام والسياسات، وأنَّ بمعرفتها والعمل بها يصل الإنسان إلى مقام الإنسانية والخروج عن حدود الحيوانية البهيمية وبذلك تتم المدينة الفاضلة التي خُلق الإنسان لأجل ورودها والاستكمال فيها.

وقُسِّمت الحكمة العلمية إلى قسمين: الإلهيات والطبيعيات،

ولكُلِّ واحد منهما فصول وأبواب، وقد جعل كُلّ فصل من فصول الطبيعيات في العصر الحديث علماً مستقلاً برأسه.

كما أنَّ من فصول الفلسفة الإلهيَّة البحث عن كلام الله تعالى من حيث قدمه وحدوثه، وكثر النقض والإبرام فيه حتى جعل ذلك علماً مستقلاً له أبواب كثيرة وفصول طويلة.

ولكن كل من نظر في الحكمة الاصطلاحية يرى أنَّها كغبار على اللجين ولو فرض فيها شيء صحيح فهو مستلهم من الوحي المبين أو السُّنَّة المقدَّسة، وغيره ليس إلَّا من الأوهام والتخيلات والمغالطات وكُلّ واحد منها حجاب عن الوصول إلى الواقع، ولذلك كثر الخلاف وقلَّ الوصول إلى المراد.[١]

---

(١) مواهب الرحمان، ج٤، ص. ٣٧٠

مفهوم الحكمة وأبعادها

جاء في محاضرة للدكتور «ج ـ م»: الحكمة... تلك الكلمة العميقة المدلول، المترامية الأبعاد، التي يتوق إليها الفيلسوف، ويبحث عنها العالم، ويحنُّ إليها الشاعر والفنَّان، ويتمنَّى الجميع لو ينعمون ببركتها!

الحكمة ميزة الشيوخ الأجلَّاء وكبار القوم، ترتقي بهم عن إدراك عامة الشعب، وتضفي عليهم تلك المسحة المباركة، وتمنحهم حق الحكم وإسداء النصح والإرشاد... فحديثهم متَّزن، ونصيحتهم صائبة، ورأيهم سديد، ونظرتهم ثاقبة!

إذا ما ألمَّت بأحدهم مصيبة، تراه لجأ إلى متقدِّم في السِّن مسترشداً بنصحه وحكمته... وإذا ما اعترضت بعضهم مشكلة، قصد كبير القوم أو العائلة، طلباً للحلّ الحكيم!

وللحكمة قصص وأساطير تغوص في جذور الماضي الغارق في القدم، وتتحدث عن أُصول المسلك والتصرُّف. فما أكثر الأقاصيص الشعبية والأساطير التي لم توضع أو تُختلق إلَّا لإظهار حكمةٍ ما، تقدِّمها أُمثولة يقتدي بها بني البشر!

ورد على لسان أحد الحكماء الأقدمين:

«لو أنَّ كل شعب يطبِّق الأقوال الحكيمة والأُمثولات التي ترد في أساطيره وأقاصيصه الشعبية، لأصبح سكَّان الأرض تلك الإنسانيَّة المثاليَّة، التي تحلم شعوب العالم بتحقيقها!».

كيف بدأت الحكمة؟!

من المعلوم أنَّه حين تُذكر كلمة حكمة، أو معلِّم حكيم، يتبادر إلى ذهن عدد كبيرمن المتعمقين في دراسة تاريخ الشعوب القديمة، صورة الشرق الأقصى. . . فَلِمَ اقتران الحكمة بالشرق الأقصى؟! وهل كانت حكراً على تلك المنطقة من العالم؟!

يجيبنا الإيزوتيريك بالتالي: «بما أنَّ الشرق الأقصى هو مقرّ الخليقة الأولى على الأرض ـ حسبما تفيدنا علوم باطن الإنسان ـ وبما أنَّ أوائل الحكماء، العارفين ببواطن الإنسانيَّة والخلق، كانوا يقطنون تلك الأقطار من الكرة الأرضيَّة، اقترنت الحكمة بالشرق الأقصى!».

ويضيف الإيزوتيريك، «أنَّ من يُعتبرون الآن كبار الأسياد الحكماء، ما زالوا يقيمون في الشرق الأقصى حتى يومنا هذا ـ يقيمون في «المنطقة المقدَّسة» كما تعرف في المفهوم الباطني! فمهمَّتهم تقضي «بتخريج» حكماء في المعرفة. . . بهدف إيصال كل بشري إلى مرتبة الحكمة. فتلك غاية الخلق أصلاً. لأنَّ الحكمة هي الكمال في الوعي. . . وبها تنتهي مهمة الإنسان على الأرض!».

يخبرنا الإيزوتيريك أنَّ غاية الإنسان على الأرض هي اكتساب الحكمة وتطبيقها حياتياً. إذ أنَّ غياب الحكمة عن أعماله، وتصرُّفاته، وأفكاره، هو الذي أوصله إلى حضيض اللاوعي والتخبُّط في الظلام الذي يحيا فيه. أمَّا إن اكتسب الإنسان الحكمة، وطبَّقها في حياته،

نَعِمَ بالمعرفة المتنامية ذاتياً، وتحصّن بالمقدرة، وارتقى بالإرادة، فاكتمل في إنسانيَّته. . .

وإذا ما اطَّلعنا على نقوش أو لوحات تصويريَّة قديمة، وجدنا أنَّ فنَّاني تلك الأزمان كانوا يرسمون القديسين، والفلاسفة الكبار، **والحكماء العارفين، يرسمونهم تحيط برؤوسهم هالة نورانيَّة. . . ممَّا يعني أنَّ أولئك الأشخاص قد بلغوا مرتبة الحكمة. . .**

والواقع أنَّ مفهوم الحكمة لا يختلف كثيراً بين شخص وآخر، لأنَّها حقيقة أزليَّة، انبثقت من بداية ظهور الإنسان، وتستمرّ حتى النهاية. . .

مفهوم الإيزوتيريك للحكمة هو أنَّها اجتماع ثلاثة عناصر معاً: وعي - محبة - تطبيق عملي! ببساطة وإيجاز، هي أن يتصرف المرء بالطريقة الأسلم في الوقت الأنسب، تجاه مسألة معيَّنة أو شخصٍ ما.

لنفرض أنَّ أحدهم تعرَّض لمشكلة معيَّنة. الحلّ الأنسب لهذه المشكلة هو في اختيار التسوية التي تؤدِّي إلى النتيجة الأفضل للشخص نفسه وللطرف الآخر المعنيّ بالأمر، في الوقت الأنسب لذلك، وبأقل ردَّات فعل سلبيَّة ممكنة.

هذه هي الحكمة في التصرُّف!

هي وعي ومحبة في تطبيق عملي. . .

الوعي هو الذي يجعل المرء يختار الحل الأفضل من بين سائر المعطيات. . .

فيما المحبة هي التي تجعله ينتقي الخيار الذي لا يتسبَّب بالأذى للطرف الآخر. . .

فيأتي التطبيق العملي ليجمع الوعي والمحبة معاً، فتظهر الحكمة!

مفهوم الحكمة شاسع الأبعاد، شامل المعاني. . . فالحكمة تعتمد البساطة أصلاً. لأنَّ البساطة، أي عدم تعقيد الأُمور، هي الحكمة، كلّ الحكمة!!!

مراعاة شعور الآخرين، دون الإساءة إلى المبادىء والمفاهيم العامة، هي الحكمة بذاتها!

مساعدة الغير بوعي وبمحبة، هي الحكمة عينها، شرط أن تكون المساعدة واعية، أي غير مبنيَّة على العواطف فحسب، بل على العقل والمنطق أيضاً!

أن ترشد شخصاً ما إلى طريقة لحلِّ مشكلته ـ دون أن تقدِّم له الحلّ ـ هي الحكمة بنفسها. لأنَّك إن قدمت له الحلّ، تكون قد حذفت عاملي الاتكال على النفس، والوعي الشخصي. . . اللذين يؤدِّيان إلى التطوُّر الذاتي! بينما إرشاده إلى طريقة الحلّ، هو توعيته بمحبة، إلى أُمور كان يجهلها، تلك هي الحكمة!

تجدر الإشارة إلى ما طالعته يوماً عن شخص أمضى زهاء خمسة وعشرين عاماً من عمره، وهو يتمرَّن يومياً ليتقن السير على سطح الماء. . . وكان تعليق أحد الحكماء بالقول: «وأين الحكمة في ذلك العمل؟!» الحكمة ترتكز على الوعي والمحبة والإفادة من التطبيق العملي. . . فما هي الإفادة التي قدمها أو حصل عليها ذلك الشخص؟

وقرأت أيضاً عن أحدهم أنَّه تمرَّن خلال سنوات طويلة ليتقن فن التخاطر الفكري. . . فما كان من معلم حكيم إلَّا أن علَّق على ذلك قائلاً: «لقد تكبَّد العلم الكثير من المجهود والوقت ليقدِّم لنا أكثر من وسيلة للاتصال عبر المسافات، ومع كل بقاع العالم خلال دقائق

معدودة. . . فَلِمَ تبديد طاقاتنا الباطنيَّة، وإضاعة الوقت في أُمور تستطيع استبدالها بوسائل الاتصال العمليَّة لتحقيق ذلك؟!».

هذا لا يعني أنَّ الإيزوتيريك يتجاهل ضرورة تفتيح المقدرات الباطنيَّة في الإنسان، فهدفنا النموّ الذاتي في الكيان البشري على كُلِّ صعيد، حتى يصبح الكيان الداخلي متكاملاً واعياً طاقاته. . . ممَّا يُسهِّل أمامه المسيرة الحياتيَّة التي تطرق كُلّ مجال، وتنفذ إلى كُلّ بُعد. علماً أنَّ مفهوم الحكمة يقتضي بأن يكون هذا التفتُّح متزامناً مع التطوُّر الحياتي للشخص، وذلك كي لا يتسبَّب تفتُّحه الباطني بابتعاده عن الواقع المعيشي والتطوُّر العلمي، فتنشأ هوَّة بين الاثنين!

أن يُحكِّم الوالد عقله، ويلجم مشاعره تجاه ابنه الوحيد الذي ما زال قاصراً ليؤنبه على خطإه، أو ليعاقبه على سوء تصرُّفه، وليوعيه إلى السلوك الصحيح، هي الحكمة المنشودة!

قد يظنُّ البعض أنَّ افتقار الوالد إلى الرأفة في هذا الحال، تتنافى وواقع المحبة والتسامح اللذين يكنّهما لوحيده! يجيبنا الإيزوتيريك بأنَّ ذلك الظنّ خاطىء. لأنَّ المحبة تقضي بإرشاد الآخرين إلى الطريق الصحيح، مهما كان ذلك الطريق شائكاً ووعراً، كما أنَّ التأنيب، أو حتى العقاب المخفَّف (وهو على أنواع) الذي يأتي في صالح الشخص بهدف توعيته إلى خطإه، ليس تعبيراً عن كره به، أو انتقام من تصرُّفه. . . بل هو الحكمة والمحبة، كل المحبة!

إذن، الحكمة هي اجتماع العاطفة والعقل معاً، أي المحبة والوعي في تطبيق عملي.

الحكمة، لا أن تلفت انتباه الآخرين إلى أخطائهم. . . بل أن ترشدهم إلى كيفيَّة تفادي الخطأ في المستقبل!

الحكمة، لا أن تطلب من أحدهم ترك الظلمة والانتقال إلى النُّور... بل أن تُقدِّم له السراج الذي سينير طريقه!

الحكمة، لا أن تُقدِّم المعرفة إلى السائل... بل أن تُعرِّفه إلى الطريق التي توصل إلى المعرفة!

الحكمة أن نعطي إلى الغير، أن نعطيهم ما يحتاجونه بوعي ومحبة!

أن نساعد من لم يطلب المساعدة، ليس عملاً حكيماً دائماً...

أن نبدي الرأي لإنسان لم يسألنا الرأي، عمل غير حكيم!

فالحكمة تتطلَّب وعياً قبل المحبة!

قبل انتسابي إلى الإيزوتيريك، كنت من المؤيِّدين للقول المأثور أنَّ الحكمة هي السعادة!

لكن الإيزوتيريك كشف لي أنَّ الحكمة هي الكمال... وفي الكمال تجد كُلّ شيء!!

ويتوسَّع الإيزوتيريك في شرح أبعاد الحكمة، فيوضِّح أنَّها ليست المرحلة الأخيرة، أو الخطوة النهائيَّة على مسيرة الوعي الذاتي... بل هي مسار طويل يبدأ على الأرض، وينتهي في ما وراء الأرض... ينتهي بعودة الرُّوح إلى خالقها...

فمنذ أن يستهلّ طالب المعرفة المسير على درب الباطن، تستيقظ الحكمة في ذاته، لأنَّه يعمل على تنمية المحبة والوعي في نفسه. وكلَّما تقدَّم في تنمية المحبة والوعي، ازدادت الحكمة تفتُّحاً وفعلاً، عبر التطبيق العملي.

يستطيع المرء تفتيح المحبة أو الوعي في نفسه كل على حدة،

دون أن يكتسب شيئاً من حكمة! لأنَّ الحكمة لن تعي إلَّا بدمج هذين العنصرين من خلال التطبيق العملي. فالحكمة هي التصرُّف الواعي!

والحكمة تعمق وعياً كلّما حاول المرء تطبيقها في الحياة اليومية، والبحث عنها في كُلِّ قول أو عمل يقوم به. . . إذ أنَّ الحكمة هي خبرات الإنسان في نطاق المدارك والمشاعر، أي في الوعي والمحبة!

يقولون: ذاك إنسان حكيم. . . أي لديه الكثير من الخبرات! فالخبرات، واستخلاص العِبَر منها، ومن المصاعب والتجارب، هو ما يساعد على اكتساب حسِّ الحكمة المتميِّز.

وتتطوَّر الحكمة من محبة واعية، إلى وعي الخبرات الحياتيَّة، ووعي الأسباب والنتائج، وإلى التوسُّع بالمعرفة والوعي. . . لتصبح المعرفة أكثر شموليَّة، وليضحي الوعي أكثر إدراكاً لبواطن الأُمور، وتتابع الحكمة ارتقاءها إلى الحكمة الكليَّة.

ويجب أن تقترن أعمال الطالب الباطني بالحكمة منذ انتسابه إلى الدرب الباطنيَّة ـ الإيزوتيريك. . . وأن تتطوَّر تلك الحكمة بارتقائه حسب مستوى وعيه، فتتجلَّى هدوءاً في نفسه، بريقاًمحبَّباً في عينيه، وصفاءً دافئاً على محيَّاه!

ويخبرنا الإيزوتيريك أنَّ الحكمة ميزة كامنة في الذات الإنسانيَّة، وأنَّ الذات الإنسانيَّة تتوثَّب وتتحرَّق لتتصرف بحكمة، أو لتملي حكمتها دوماً على سلوك الإنسان. وتكفي الإنسان فترات من التأمُّل العميق في أغوار ذاته، حتى يستلهم منها الحكمة في التصرُّف الأفضل!والمثل الشعبي الذي يطلب من المرء أن يعدّ للعشرة، قبل إظهار ردَّة الفعل أو قبل التفوُّه بأيَّة كلمة قد تسيء إلى المشاعر، ليس إلَّا إشارة توعية إلى

وجود الحكمة عميقاً في الذات، تنطلق بعد تأمُّل أو تروٍّ... لتمنع المرء من التسرع الذي قد يؤدِّي إلى أخطاء وإلى عواقب يمكن تفاديها!

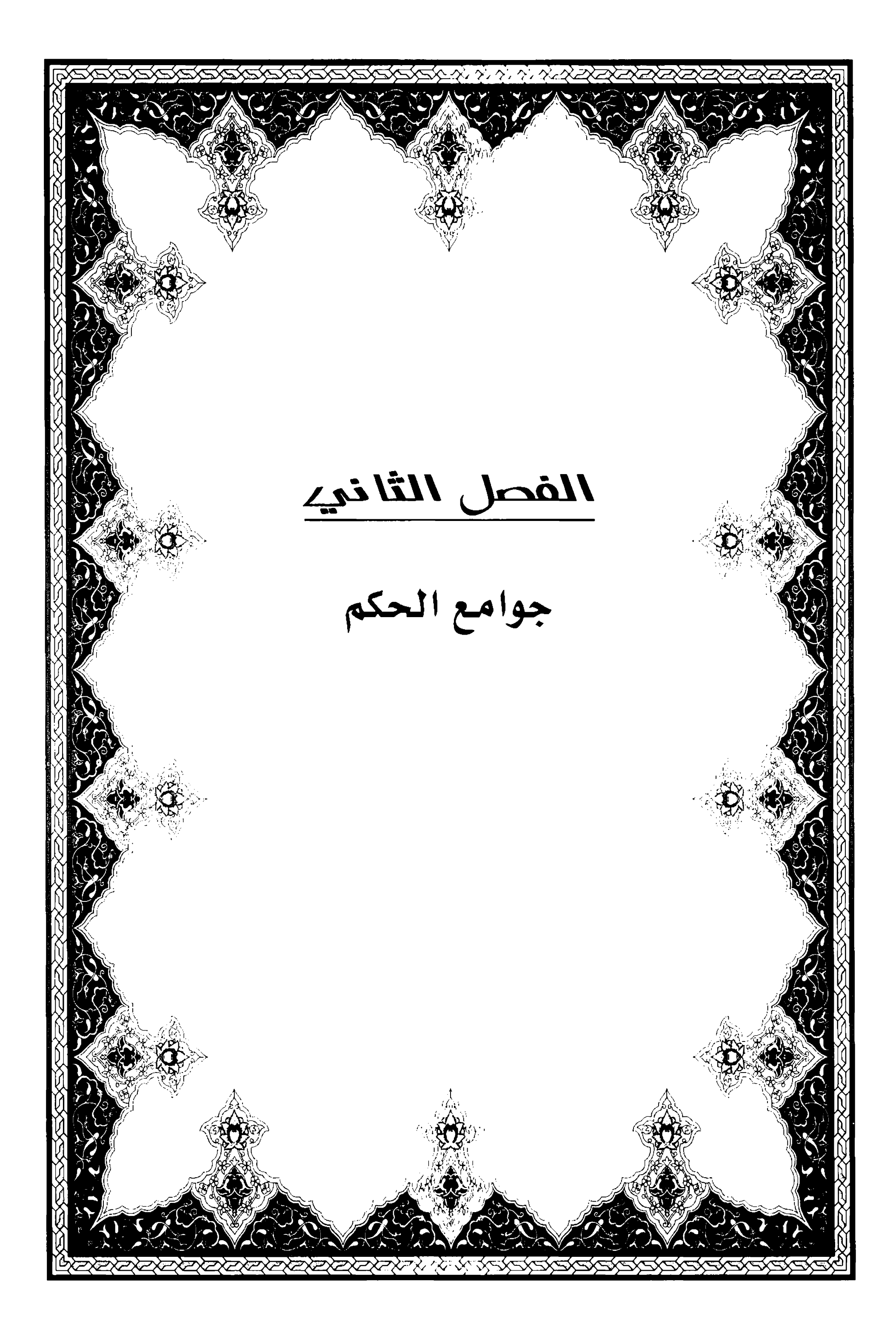
اكتساب الحكمة في أيِّ عمل، يتطلب هدوءاً ورويَّة أوَّلاً... تليه نظرة عميقة وانفتاح، ثم تفكُّر وتبصُّر في المعطيات المتواجدة، وأخيراً تمييز دقيق ورؤية شاملة للإحاطة بالموضوع من جوانبه كافة... في ضوء الاعتدال بالأُمور، والتوازن بين العاطفة والعقل. هذا الاعتدال والتوازن هما ما يسمحان باقتران الوعي والمحبة، فيولد الرأي الحكيم، الرأي الصائب السديد وتتجلَّى الحكمة في صاحبها!

وننهي القول بأنَّ الحكمة بمعناها الأبعد هي تاج الكمال... وما كان مسار الحكمة يوماً يسيراً. لكن الإنسان التائق إلى وعي خفايا نفسه، وكشف مكنونات ذاته، لا يتوانى عن انتهاج مسار الحكمة. لأنَّ هذا المسار المقدَّس يحوي كل ما يصبوإليه الإنسان!

والعناية الإلٰهيَّة تبارك، وتنير طريق كُلّ من يتوق إلى الحكمة غذاء الرُّوح[١]!

---

(١) محاضرات في الإيزوتيريك: ج١، ص٦٠.



الفصل الثاني

جوامع الحكم

جوامع الحكم

* عن رسول الله ﷺ: «كان في الدُّنيا حكيمان يلتقيان في السنة مرَّة فيعظ أحدهما صاحبه، فالتقيا فقال أحدهما لصاحبه: عظني واجمع وأوجز، لا أقدر أن أقف عليك من العبادة، فقال: يا أخي انظر أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك»[١].

وعنه ﷺ: «يا علي تريد ستمائة ألف شاة أو ستائة ألف دينار أو ستمائة ألف كلمة؟ قال: يا رسول الله ستمائة ألف كلمة، فقال: اجمع ستمائة ألف كلمة في ست كلمات:

يا عليّ إذا رأيت النَّاس يشتغلون بالفضائل فاشتغل أنت بإتمام الفرائض.

وإذا رأيت النَّاس يشتغلون بعمل الدُّنيا فاشتغل أنت بعمل الآخرة.

وإذا رأيت النَّاس يشتغلون بعيوب النَّاس فاشتغل أنت بعيوب نفسك.

وإذا رأيت النَّاس يشتغلون بتزيين الدُّنيا فاشتغل أنت بتزيين الآخرة.

---

(١) الفدوس: ج٣، ص٢٧٥، ح٤٨٢٥.

وإذا رأيت النَّاس يشتغلون بكثرة العمل فاشتغل أنت بصفوة العمل.

وإذا رأيت النَّاس يتوسَّلون بالخلق فتوسَّل أنت بالخالق.

يا عليّ يأتي على النَّاس زمان المقرّ بالحقِّ فيه ناج، قالوا: يا رسول الله فأين العمل؟ قال: لا عمل يومئذٍ».

* عن الإمام عليّ عليه السلام: «كانت الفقهاء والحكماء إذا كاتب بعضهم بعضاً كتبوا بثلاث ليس معهنَّ رابعة: من كانت الآخرة همَّه كفاه الله همَّه من الدُّنيا، ومَن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومَن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله فيما بينه وبين الناس»[(١)].

* وعنه عليه السلام: «كانت الحكماء فيما مضى من الدهر تقول: ينبغي أن يكون الاختلاف إلى الأبواب لعشرة أوجه: أوَّلها بيت الله عزَّ وجلَّ لقضاء نسكه والقيام بحقِّه وأداء فرضه، والثاني أبواب الملوك الذين طاعتهم متّصلة بطاعة الله عزَّ وجلَّ وحقّهم واجب ونفعهم عظيم وضرّهم شديدٌ، والثالث أبواب العلماء الذين يُستفاد منهم علم الدِّين والدُّنيا، والرابع أبواب أهل الجود والبذل الذين ينفقون أموالهم التماس الحمد ورجاء الآخرة، والخامس أبواب السفهاء الذين يحتاج إليهم في الحوادث ويفزع إليهم في الحوائج، والسادس أبواب مَن يتقرَّب إليه من الأشراف لالتماس الهبة والمروءة والحاجة، والسابع أبواب مَن يرتجى عندهم النفع في الرأي والمشورة وتقوية الحزم وأخذ الأُهبة لما يحتاج إليه، والثامن أبواب الإخوان لما يجب من مواصلتهم ويلزم من حقوقهم، والتاسع أبواب الأعداء التي تسكن بالمداراة

---

(١) الفقيه: ج٤، ص٣٩٦، ح٥٨٤٥.

غوائلهم، ويدفع بالحيل والرّفق واللطف والزيارة عداوتهم، والعاشر أبواب مَن ينتفع بغشيانهم ويّستفاد منهم حسن الأدب ويؤنس بمحادثتهم»[١].

* عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنَّه قال: «اخترت من التوراة اثني عشر آية فنقلتها إلى العربية وأنا أنظر إليها في كُلِّ يوم ثلاث مرَّات:

الأولى: يابن آدم لا تخافن سلطاناً ما دام سلطاني عليك باقٍ وسلطاني عليك باقٍ أبداً.

الثانية: يابن آدم لا تأنس بأحدٍ ما وجدتني، فمتى أردتني وجدت خزائني مملوءة، وخزائني مملوءة أبداً.

الثالثة: يابن آدم لا تأنس بأحدٍ ما وجدتني، فمتى أردتني وجدتني بارّاً قريباً.

الرابعة: يابن آدم إنِّي أُحبّك فأنت أيضاً أحببني.

الخامسة: يابن آدم لا تأمن من قهري حتى تجوز على الصِّراط.

السادسة: يابن آدم خلقت الأشياء كلها لأجلك وخلقتك لأجلي وأنت تفرُّ منِّي.

السابعة: يابن آدم خلقتك من تراب ثمَّ من نطفة ثمَّ من مضغة ولم أعِ بخلقك أيعييني رغيف أسوقه إليك.

الثامنة: يابن آدم أتغضب عليَّ من أجل نفسك ولا تغضب على نفسك لأجلي.

---

(١) الخصال: ص٤٢٦، ح٣.

التاسعة: يابن آدم عليك فريضتي وعليَّ رزقك فإن خالفتني في فريضتي فإنِّي لا أُخالفك في رزقك.

العاشرة: يابن آدم كُلٌّ يريدك لأجله وأنا أريدك لأجلك فلا تفرُّ منِّي.

الحادية عشرة: يابن آدم لا تطالبني برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد.

الثانية عشر: يابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وأنت محمود، وإن لم ترض بما قسمت لك سلَّطت عليك الدُّنيا تركض فيها كركض الوحش في البرية ولا تنال إلَّا ما قدَّرت لك وأنت مذموم».

* عن عامر الشعبي قال: تكلَّم أمير المؤمنين عليه السلام بتسع كلمات ارتجلهنَّ ارتجالاً، فقأن عيون البلاغة وأيتمنَ جواهر الحكمة، وقطعنَ جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهنَّ، ثلاث منها في المناجاة، وثلاث منها في الحكمة، وثلاث منها في الأدب.

فأمَّا اللاتي في المناجاة، فقال: «إلهي كفى لي عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي ربّاً، أنت كما أحبّ فاجعلني كما تحبّ».

وأمَّا اللاتي في الحكمة، فقال: «قيمة كُلّ امرىءٍ ما يحسنه، وما هلك امرؤٌ عرف قدره، والمرء مخبؤٌ تحت لسانه».

وأمَّا اللاتي في الأدب، فقال: «امنن على مَن شئت تكون أميره، واحتج إلى مَن شئت تكن أسيره، واستغن عمَّن شئت تكن نظيره»[1].

---

(١) الخصال: ص٤٢٠، ح١٤.

* عن الإمام الصَّادق عليه السلام : «تبع حكيم حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلمَّا لحق به قال له: يا هذا ما أرفع من السَّماء، وأوسع من الأرض، وأغنى من البحر، وأقسى من الحجر، وأشدّ حرارة من النار، وأشدّ برداً من الزمهرير، وأثقل من الجبال الرَّاسيات؟ فقال له: يا هذا، الحقّ أرفع من السماء، والعدل أوسع من الأرض، وغنى النفس أغنى من البحر، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والحريص الجشع أشدّ حرارة من النار، واليأس من رَوْح الله أشدّ برداً من الزمهرير، والبهتان على البريء أثقل من الجبال الرَّاسيات»(١).

* عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّه قال لبعض تلاميذه يوماً: «أي شيء تعلَّمت منِّي؟ فقال: ثمان مسائل. قال عليه السلام : قصّها عليَّ لأعرفها، قال:

الأولى: رأيت كل محبوب يفارقه حبيبه عند الموت، فصرفت همَّتي إلى ما لا يفارقني بل يؤنسني في وحدتي، وهو فعل الخير وهو قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، قال عليه السلام : أحسنت والله.

والثانية: رأيت قوماً يفتخرون بالحسب وآخرون بالمال والولد، وإذا ذلك الفخر لا فخر فيه، فرأيت الفخر العظيم في قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فاجتهدت أن أكون عند الله كريماً؛ قال عليه السلام : أحسنت والله.

والثالثة: رأيت لهو النَّاس وسمعت قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازعات: ٤٠-٤١]، فاجتهدت في صرف الهوى عن نفسي حتى استقرَّت في مرضاة الله؛ قال عليه السلام : أحسنت والله.

---

(١) الخصال: ص٣٤٨، ح٢١.

الرابعة: رأيت كل من وجد شيئاً مُكرَّماً اجتهد في حفظه وسمعت قول الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحَديد: ١١]، فأحببت المضاعفة ولم أرَ أحفظ ممَّا يكون عنده، فلما وجدت شيئاً مكرماً عندي وجهت به إليه ليكون لي ذخراً إلى وقت حاجتي؛ قال عليه السلام: أحسنت والله.

والخامسة: رأيت حسد النَّاس بعضهم لبعضٍ في الرِّزق وسمعت قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزّخرُف: ٣٢]، ما حسدت أحداً ولا أسفت على ما فاتني. قال عليه السلام: أحسنت والله.

السادسة: رأيت عداوة النَّاس بعضهم لبعض في دار الدُّنيا والحزازات التي في صدورهم وسمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ﴾ [فَاطِر: ٦]، فاشتغلت بعداوة الشيطان عن عداوة غيره؛ قال عليه السلام: أحسنت والله.

السابعة: رأيت كدح النَّاس واجتهادهم في طلب الرِّزق وسمعت قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦]، ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذّاريَات: ٥٧-٥٨]، فعلمت أنَّ وعده حق وقوله صدق، فسكنت إلى وعده ورضيت بقوله واشتغلت بما له على من ما لي عنده؛ قال عليه السلام: أحسنت والله.

والثامنة: رأيت قوماً يتَّكلون على صحة أبدانهم، وقوماً على كثرة أموالهم، وقوماً على خلق مثلهم، وسمعت قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطّلَاق: ٢-٣]، فاتكلت على الله وزال اتكالي على غيره؛ فقال عليه السلام له: والله إنَّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وسائر الكتب يرجع إلى هذه المسائل».

* عن لقمان الحكيم في وصاياه لابنه: «يا بُنيَّ تعلَّمت بسبعة آلاف من الحكمة فاحفظ منها أربعة ومرّ معي إلى الجنَّة: أحكم سفينتك فإنَّ بحرك عميق، وخفِّف حملك فإنَّ العقبة كؤود، وأكثر الزاد فإنَّ السفر بعيد، وأخلص العمل فإنَّ الناقد بصير»(١).

وقال له: «يا بُنيَّ... اعلم إنِّي خدمت أربعمائة نبيّ فاخترت من كلامهم أربعة كلمات وهي:

١ ـ إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك.

٢ ـ إن كنت على المائدة فاحفظ حلقك.

٣ ـ وإن كنت في بيت الغير فاحفظ عينك.

٤ ـ وإن كنت بين الخلق فاحفظ لسانك».

* سُئل أحد الحكماء: ما هو أكثر شيء مدهش في الناس؟ فقال:

١ ـ يملّون من الطفولة ويسارعوا ليكبروا ثم يتوقون للرجوع إلى الطفولة.

٢ ـ يضيّعون صحتهم ليجمعوا المال ثم يصرفوا المال ليستعيدوا الصحة.

٣ ـ يفكِّرون في المستقبل بقلق، وينسون الحاضر، فلا يعيشون الحاضر ولا المستقبل.

٤ ـ يعيشوا كما أنَّهم لن يموتوا، ويموتوا كما لو أنَّهم لم يعيشوا.

قيل له: ما الدروس التي ينبغي أن يتعلموها؟

فقال:

---

(١) الاختصاص: ص٣٤١.

أ ـ التسامح والغفران.

ب ـ أن يظهروا حبهم لمن يحبون.

ج ـ قد يُسبِّبوا جروحاً في ثوانٍ ولكن يحتاجون لمداواتها إلى وقتٍ طويل.

د ـ إنَّ الأغنى ليس من يملك بل من يحتاج قليلاً.

* ولمن أراد الازدياد من كلمات الحكماء عليه بمراجعة الكتب التالية:

١ ـ المواعظ العددية.

٢ ـ تحف العقول.

٣ ـ طرق مختصرة إلى المجد.

٤ ـ جلاء الكروب.

من حكم الفلاسفة والأدباء

* لا تحاول تفسير كُلّ شيء حولك. .

* عش حياتك كاملة وتمسَّك بكل ما هو هدية من الله لك.

* في رحلتنا في الحياة نجد أنفسنا في بعض الأوقات مرغمين على تغيير طريقنا.

* اختيار طريقك في الحياة يعني ترك الطرق الأُخرى لأنَّ محاولة تجربة كل الطرق تتركك في النهاية وأنت لا تتبع شيئاً أمامك.

* لا تنه شكك وتساؤلاتك لأنَّهما إذا توقفا فهذا يعني أنَّك توقفت عن بحثك في الحياة.

* في المرسى تصبح كل السفن آمنة ولكن هذا ليس الهدف من صنع السفن.

* أهلم الكلمات في جميع اللغات هي الكلمات الصغيرة: نعم. . الله. . الحب. . فهي كلمات سهلة القول وتملأ أكبر الفراغات.

* لكُلِّ مرحلة عمرية مشاكلها.

* عندما نؤجل حصد ثمارنا تفسد، وعندما نؤجل حلِّ مشاكلنا تنمو.

* كل ما يفعله المرء بدافع الحب يبلغ به الحكمة.

* لكُلِّ امرىء في الحياة كنز خاص به.

* إذا تأخر بالإنسان مركب الحياة تمنَّى مهبِّ الحوادث.

* الحلم الحقيقي يُصنع من عدَّة أشياء معاً كضوء الشمس مصنوع من ملايين الأشعة.

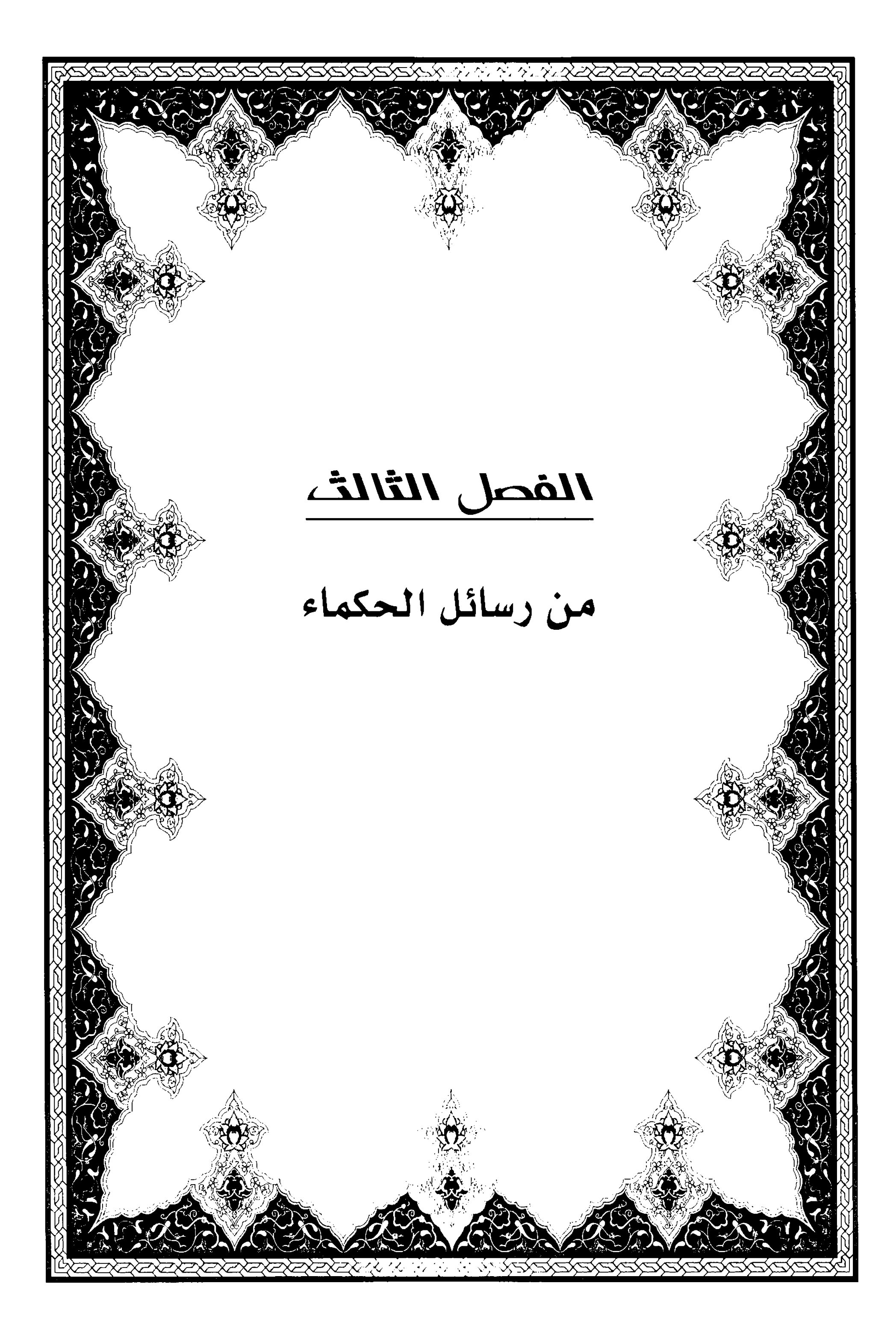
* الحكمة هي أن تختار جنونك بحكمة.

* الحاقدون هم من لا يستطيعون فهم لماذا يحبك الآخرون.

* التعيس هو من يكره أن يذكّره الآخرون بوجود السعادة.

* إنَّ الله يحكم على الشجرة من ثمارها وليس من جذورها.

* تحمل مسؤولية أفعالك حتى لو دفعت ثمنها غالياً.



الفصل الثالث

من رسائل الحكماء

رسالة شرف الدِّين الجرجاني

كتب إلى بعض تلاميذه:

«ما لي أراك يا أخي ـ أيدك الله وإيَّاي بتوفيق منه ـ شديد السكون إلى هذه الدُّنيا الزائلة، والدار الفانية، كثير الميل إلى تربية هذا الجسد المظلم الكثيف الذي هو أجمح مركب، وأخبث مسكن للنفس، سهل الانقياد لقوَّتك الغضبية والشهوية اللتين تتحرَّك إحداهما إلى السبعية، والأُخرى البهيمية، صعب العادة، عسر الإجابة لقوَّتك العاقلة التي تؤدِّيك إلى الجنَّة المأوى، وترقيك الدرجة العليا.

لعلَّك قد انخدعت، بل اغتررت بمباشرة هذه اللَّذات التي كُلّها آلام في الحقيقة، وأيُّ آلام؟! أما علمت أنَّ لذَّات الدُّنيا كُلّها أكل الطيب، وشرب العذب، ولبس اللين، وركوب الهملج، وقهر العدو، والتمتع بالحسناء.

وهذه كلها حاجات سبعية، خصوصاً للعقلاء، وضروريات مزعجة للمقسطين من العلماء، لأنَّ الأكل والشرب إنَّما هو لدفع ألم الجوع والعطش، واللبس لدفع ألم الحرّ والبرد، والركوب لرفع ألم المشي، وقهر العدوّ لطلب التشفِّي من ألم الغيظ، والنكاح إنَّما هو طلب لذَّة بدنية بمباشرة عضو حقّه أن يستر ويستحيي من كشفه. فما أحسن هذه

اللذَّة عند العاقل المتيقظ، وما أهونها عليه، وما أقبحها عنده، وما أفضحها لديه!!

ثم الحاجة غير طيبة ولا لذيذة في ذاتها.

وهذه الأحوال كما ترى حاجات، وللحاجات آلام، ولو كانت فيها فضيلة لما استغنت الملائكة المكرمون عنها. وكُلّ اللذة في أن لا يؤلم جوع، ولا يؤذي عطش، ولا يُتعب مشي، ولا يؤذي حرّ ولا برد.

ولقد صحبت من إذا جاع صَبَرَ طويلاً، ثم إذا قدم له الطعام بكى، ثم أكل، وكان يقول: «اللَّهمَّ أنت خلقتني، فأنت أخرجتني، وبالخطاب أكرمتني، فهب لي ما وعدتني».

وكأنَّ هذا الكلام شكاية من هذا الطريق، من ألم الحاجة.

نعم، من عرف كنه ألم الشيء، بان تألمه به، ويكون أشد وأكثر وأتم وأبلغ.

وأنا ـ إذن ـ استعمل هذا الدُّعاء، وأقول: «اللَّهمَّ إنِّي أسألك غير متحكم عليك أن تكفيني مؤنة هذا الجسد الذي هو سبب كل مذلَّة، وأصل كل حاجة، والجاذب إلى كل بلية، والطالب لكُلِّ خطيئة، وأن تيسِّر الخلاص لي منه على أسهل وجه، وأفضل حال إلى خير مُعاذ وأحسن ما لي بمنِّك وفضلك يا ذا المنِّ والإفضال».

فإن رأيت أن توافقني في استعماله، فخفِّف رجلك، وشمِّر ذيلك، وأرح قلبك، وقصِّر أملك، وطهِّر خُلقك، واتّق في طرفك، تسلم وتذق ولا تندم»[١].

---

(١) محبوب القلوب، ج٢، ص٣٨٢.

من رسائل الحكماء[١]

الصلوات والعبادات:

* عندما تحاول اختبار معتقداتك الرُّوحيَّة ينفتح أمامك عالم جديد، المجهود الذاتي ضروري للتعرف على الله، قد تشعر أنَّك متدين للغاية ويكون عقلك راضياً بذلك، ولكن ما لم يقتنع كيانك بأنَّ صلواتك تحصل على استجابة مباشرة فلا يمكن لأيِّ مقدار من الشكليات الدِّينيَّة تخليصك، وبالرغم من صعوبة الحصول على استجابة الله، غير أنَّ ذلك مستطاع، ولكي تضمن وصولك الفعلي إلى السَّماء يجب أن تختبر قوَّة صلواتك حتى تتمكن من تفعيلها، عندما كنت لا أزال صبياً عقدت العزم على أنَّ صلواتي ستُستجاب كُلَّما توجَّهت إلى الله بالدُّعاء، ذلك التصميم الراسخ هو الطريق، عندها سيأتي كل امتحان لضلِّ عزيمتك وشلِّ إرادتك، لكن قدرة الله في الاستجابة هي غير محدودة، متابعة الجهود والاستخدام المتواصل للإرادة سيجلبان استجابة الله تعالى.

الخلوة:

* يجب معرفة الطريقة الصحيحة لتركيز العقل، ومن المهم امتلاك

---

(١) هذه الرسائل منقولة من مجلة «الأبعاد الخفيّة».

الوقت الكافي للخلوة والتأمُّل على انفراد، الاختلاط الدائم بالآخرين يعيق النمو الرُّوحي، معظم الناس كالإسفنج، يمتصون كُلّ شيء منك ونادراً ما تحصل على شيء منهم، طبعاً من المفيد أن تكون مع الآخرين إن كانوا مخلصين روحيّاً وأقوياء، وإن كان كُلٌّ واحد على دراية بقوَّة وإخلاص وإرادة الآخر يتم تبادل المزايا الرُّوحيَّة النبيلة فيما بينهم.

استغلال الوقت:

* يجب عدم صرف لوقت في الأشياء التافهة، كثيرون يشغلون أنفسهم بأُمور عقيمة، وإذا سألت أحدهم عمَّا كان يفعله يجيبك: «كنت مشغولاً كُلّ الوقت!» ولكنَّه بالكاد يتذكَّر شيئاً من ذلك «الشغل»! كذلك فإنَّ كثرة اللهو والتسلية توهن القوى النفسية، إن شاهدت كل يوم الأفلام السينمائية فإنَّها ستفقد جاذبيتها وستشعر بالسأم، فالأفلام هي ذاتها بأدوار مختلفة: أحباب، مغامرات، أبطال، أوغاد، .إلخ. قد نستمتع بمشاهدة أحداث قصة سينمائية، ولكن الحياة نادراً ما تكون كذلك، من ناحية أُخرى، لو كانت واقعية لدرجة كبيرة، فمن الذي سيرغب في رؤية المزيد من فصول الحياة كما هي عندما يذهب ليرفِّه عن نفسه؟

* الحياة مخادعة للغاية ويجب أن نتعامل معها على هذا الأساس، وإن لم نتغلب على خداعها وأوهامها أوَّلاً فلن نتمكن من مساعدة أيِّ شخص آخر، في خلوة العقل المركز يكمن مصنع كُلِّ الإنجازات العظيمة، تذكر ذلك، وفي هذا المصنع العجيب انسج أنماط إرادتك باستمرار من أجل التغلُّب على كُلِّ الصعوبات المعاكسة، درِّب إرادتك ومرِّنها على الدوام، لديك الكثير من الفرص للعمل في هذا المصنع ليل نهار ما دمت لا تضيِّع وقتك وتهدر طاقاتك سدىً.

تحكم بنفسك:

* إنَّني أنسحب في اللّيل من مطالب الدُّنيا لأكون مع نفسي بعيداً كل البعد عن العالم، وحيداً مع إرادتي في خلوتي الرُّوحيَّة، حيث أسيِّر أفكاري في الاتجاه الذي أرغبه، وأتخذ القرار في قرارة نفسي، عندها استحث إرادتي للقيام بالنشاطات السليمة النافعة التي تخلق لي النجاح، بهذه الكيفية استخدمت إرادتي استخداماً فعَّالاً مرَّات عديدة، ولكن ذلك لا يتحقَّق ما لم يكن استخدام الإرادة متواصلاً، أي شعور رائع ستحس به عندما تتمكن من القول ومن التأكيد: «إنَّ إرادتي المشحونة بالإرادة الكونية ستحقَّق لي ما أبتغيه!» إذا تهاونت وأوكلت كُلّ شيء للإرادة الإلٰهيَّة دون استخدام إرادتك الموهوبة لك من الله فلن تحصل على النتيجة التي تتوخاها.

الارتباط بالله تعالى

* القوَّة الإلٰهيَّة تريد أن تساعدك من تلقاء ذاتها، لا حاجة لك للاستعطاف والتودُّد، بل ما ينبغي عليك هو استخدام إرادتك كي تطلب وتطالب كمحب روحي، وكي تتصرف كذلك، يجب أن تطرد من ذهنك التفكير بأنَّ الله بجبروته وقدراته الخارقة بعيد عنك ومحتجب في أقاصي السَّماء، وبأنَّك وحيد وسط الهموم والمصاعب في هذه الأرض، لا تنسَ أنَّ الإرادة الإلٰهيَّة تكمن خلف إرادتك البشرية، ولكن تلك القوَّة الجبَّارة الشبيهة بالمحيط الزاخر في مدّها ومددها لن تأتيك ما لم يكن عقلك متفتحاً وقلبك متقبّلاً.

* مهما تكن الكتب المقدَّسة التي قد يدرسها المرء، مهما يكن التعبُّد الذي يمارسه أو الحجَّات التي قام بها، إذا لم ينجح في التخلُّص من الشوائب في قلبه ستبقى الحياة بلا قيمة وبلا معنى.. تنقية القلب هي جوهر كل التعاليم السَّماويَّة والهدف الأساسي للحياة.

* كما الهواء الذي تتنفَّسه هو من خلق الله ومتوفِّر للجميع، كذلك الوعي الرُّوحي الإلهي وقدرته ورحمته هي للجميع كذلك.. المؤمنون الحقيقيون (الصادقون) على الطريق الرُّوحي يجب أن يتمسَّكوا بهذه الرِّسالة.

* كل أماكن العبادة وبيوت الله خير وبركة لأنَّها وسيلة للتناغم مع

الله في تحقيق هدف البشرية السامي. . تلك الأماكن يجب أن تكون كخلايا النحل المليئة بشهد معرفة الله، وفي هذا تكمن أهميتها وقيمتها. إنَّ الله يُحبُّ القلوب المخلصة المتوجهة إليه بكليتها، وسيزور تلك القلوب حتى لو كان أصحابها يتعبَّدون في الهواء الطلق تحت السَّماء. عندما يجتمع الناس للعبادة يجب أن يفعلوا ذلك محبة في الله ورغبة في الشعور بحضوره، ولكن إن تحوَّلت هذه الدور إلى رسائل للتعصب، وفرض الآراء، ونعت الآخرين بنعوت مشينة، وبدأ روَّادها بالحديث وكأنَّهم الموقعون عن الله أو نوَّابه في الأرض. . فابتعد عنها فقد زاغت عن المحجَّة البيضاء.

* أماكن العبادة يجب أن لا تتحول إلى أماكن للفرقة والمشاحنات والعصبية وتكفير البعض للآخر. . يجب أن يكون كل ما يدور بتلك الدور هو لله وحده، لا لأطماع شخصية أو أحقاد طائفية، أو تأجيج النُّفوس الضعيفة. . دور العبادة يجب ألَّا تكون إلَّا لغرض واحد فقط هو التواصل مع الله، الشعور بالحضور الإلهي في أماكن العبادة هو الغاية الأساسية من زيارة تلك المزارات والأماكن المباركة.

* عندما يُحبُّ الإنسان الله من كُلِّ كيانه ستكون كل أفعاله مؤسسة على الحق ولن يسمح له حبه لله باستغلال الناس أو تضليلهم لمصالحه الأنانية.

* مهما كان الظلام دامساً يُبدِّده الضوء لدى إشعاله. . وإن أشعلنا مصباح الحب الإلهي في نفوسنا ستتبدَّد ظلمة الجهل، العلم الرُّوحي والذِّكر يساعد الإنسان على حصر عقله في التفكير بالله وتوجيه محبة قلبه إليه.

* كُلُّ واحد منَّا سيؤخذ من هذه الأرض عاجلاً أم آجلاً. .

ولذلك يجب أن نتعرف الآن على غاية الحياة، الغاية الأساسية من تجارب الإنسان في هذا العالم هي لحثِّه على البحث عن معاني الحياة، يجب أن لا تنبهر بموكب البشرية هذا الدائم البزوغ والحركة، ومع مواصلة قافلة الزمن سيرها ستدرك أخيراً أنَّك جزء من هذا العالم الذي لم تكتشفه بعد.

معرفة الله تعالى

* اجعل معرفة الله غايتك واعلم أنَّ البحث الجاد والصادق عن سرّ الحياة سيجنِّبك الكثير من المصاعب وينقذك من مخاوف شتَّى، إن توجّس الموت أو الفشل أو المتاعب والأحزان يوقظ في المرء هلعاً كبيراً، عندما يعجز الإنسان عن مساعدة نفسه ولا تستطيع أُسرته وأصدقاؤه تقديم أيِّ شيءٍ له يستولي عليه القنوط وتظلم الدُّنيا في عينيه، لكن لا حاجة له في الوصول إلى تلك الحالة، فهو إن فكَّر في الله أثناء حياته وتواصل معه سيجده قريباً منه في الساعات العصيبة والأيَّام الحرجة، وعندها لن يحتاج إلى أحد ليساعده، وكيف يساعده ومعه من بيده ملكوت السَّموات والأرض.. من بقدرته كلمة كن فيكون.

* إنَّ كل ما في الوجود هو تجربة لإغراء الإنسان كي يبتعد عن الله، لكن تجربة القرب من الله أكثر إغراءً من أيِّ تجربة أرضية، لو حصلت على لمحة واحدة منه لأدركت هذه الحقيقة ولاستطعت العثور عليه بالدُّعاء والصلاة والتأمُّل الرُّوحي والتصميم القوي، التصميم في العثور على نور الله يجب أن يكون راسخاً، من الصعب أن يعرف الإنسان الله ما دام فكره ينتقل بصورة متواصلة من شيءٍ إلى آخر كالريشة في مهبِّ الرِّيح.

* الله تبارك اسمه يريد أن يأتي إلينا ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] لكن الإنسان يستسهل ويفضِّل البحث عن بعض ملذَّات حسيَّة وصرف الوقت في التسليات والحفلات والسهرات، حقّاً، إنَّ الحياة الدُّنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر.. وتكاثر في الأموال والأولاد».

* عزيزي الحبيب، لا بُدَّ أن تعلم أنَّ أيّ شيء عدا الله في هذه الحياة هو مجرَّد وعود، وجميع الوعود زائفة، جميع الوعود مبهرجة تمنيك بما ليس بمقدورها أن تُقدِّمه لك، فلا ترويك ولا تغنيك ولا ترضيك.

المال يعدك ويمنيك بأنَّك إن حصلت عليه لسوف ينتشلك من وسط جميع مشاكلك، وها هي الناس تغدو أكثر ثراءً دون أن تعرف للسعادة عنواناً، الزوج يعدك أن تكون أكثر استقراراً وثباتاً، ولكن كم من الأزواج يعيشون حياة الشقاء والألم.. المهنة تعدك التطوُّر والنموّ والارتقاء، ولكن كم حياة دمَّرتها آلة العمل وافتقدت الإنسان إنسانيته.. إنَّ رغباتك تُشبه الأُفق البعيد، وهمُّك يحيي الأُفق البعيد، هكذا العلاقات تُمنِّي أصحابها بأنَّ الحياة أصبحت وردية، لا شقاء ولا تعب بعد اليوم، ولسوف يعيش طرفاها في سعادة وهناء إلى الأبد، ولكن هذا لا يحدث.. هذا لا ولن يحدث سوى مع الله وفي الله.

لذا عزيزي.. اجعل الله هو الهادي لأنَّه المُرشد والدليل، الإرشاد يأتي من الله،.. دليلك لتختار دربك وسبيلك من الله يأتيك، وهو دائماً يأتي ويهطل عليك كالأمطار.. لكنَّك لا تسمع.

اصغ للصوت الداخلي

* عليك أن تتعلَّم فن الإصغاء، إرشاده لك هو صوتٌ خافت رقيق يبزغ من وسط قلبك، استفتي قلبك، ولأنَّ العقل يملؤه ضجيج الأفكار، سوف يصعب عليك الإصغاء، أما إن كان العقلُ صامتاً فسوف يبزغ الصوت الهامس الرقيق في قلبك، صوتٌ تشعر معه بوضوح شديد برأي سديد لا تردُّد ولا شكٌّ يُخالجُك معه وفيه، صوتٌ أنت معه مُجرَّد من الخيارات، صوتٌ لا يُخيِّرك لأنَّه قد اختار لك، صوتٌ أنت تستسلم وتُسلِّم لقراره واختياره، لكن الناس لا تسمع هذا الصوت، العقل بركان فيه غليان وزحمة سيْر الأفكار تُسدل الغشاوة على الأبصار.

لا بُدَّ أن تعلم أنَّ هاديك ومُرشدُكَ إلى الطريق لن يكون أحدٌ خارجك، هاديكَ ومُرشدك يحيا داخلك، احصر داخل مستويات كيانك قليلاً وسوف تجد النفحة المقدَّسة من روح الله، سوف تجد المرشِد الحقيقي، حينما تلتقي مُرشدك وهاديك الذي يسكن فيك ستودّع أخطاءك إلى الأبد وتهجُر ندمَك على ما ارتكبتُه في الماضي دون عودة، وسوف لن يعرف الذنب لك بعد الآن عنواناً، ستمشي في نور وتحيا في نور لأنَّ الفكر فقد تأثيره عليك وبات جزءٌ من ماضيك والحياة تتحوَّل فرحة وضحكة ومحبة حينما يمشي الإنسان ويحيا في نور.

لحين تهتدي لمُرشِدك وهاديك الذي فيك، أنت بحاجة إلى سيِّد مستنير، متى ما وجدت هاديك داخلك فأنت سيِّدٌ على نفسك، السيِّد خارجك ليس سوى الصوت الذي في قلبك يسعى كي يسمعك ما يريد صوت قلبك أن يقوله لك، ولأنَّك لست بمُصغٍ لصوت قلبك، يأتيك المستنير ليُسمِعُك إيَّاه من خارجك، قد اعتدت سماع الأصوات خارجك بدقَّة أكثر من سماعك للأصوات الهادئة داخلك.

المستنير خارجك ليس سوى رمز للمستنير الحاضِر داخلك، ليس المُرشد الداخلي والمستنير خارجك بحالتين مختلفتين، كلتاهما تحكي ذات اللغة، استسلامك للمستنير هو استسلامك لمُرشِدك داخلك، المستنير خارجك هو صدى للصوت الذي بداخلك، هو المرآة التي تعكسك، هو من يقول بصوتٍ عالٍ ما يُخبرك به قلبك بصمت.

* حبيبي العزيز.. إنَّ قلقك وخوفك واضطرابك، جميعها لا فائدة منها لأنَّ ما سوف يحدث لا بُدَّ أن يحدث، لأنَّ ما قُدِّرَ له أن يحدث هو الأمر الذي سوف يحدث، لا سبيل للتغاضي عنه، لا سبيل لتحاشيه ولا سبيل للقاء قدر غير المقدر الذي سوف يحدث، رؤيتك لهذه الحال من شأنها أن تُبقيك تحيا في حالٍ من الاستسلام والتسليم التام، لحظة تجلِّي هذه الحقيقة لك.. «إنَّ الله وحده مَن يحفَظك» تمحي بعدها أي قلق ينتابك بشأن أمنك وأمانك وضماناتك ووسائل حمايتك.. عندها يكون ما حصل فهو خيرٌ لك، لا بُدَّ وأنَّه خيرتك لأنَّه يأتيك من الله، سوف يتساءل العقل أحياناً ويسأل، كيف يكون الأمر خيراً وأنت تعاني كل هذه المعاناة وتحيا كل هذا الألم والقلب والاضطراب؟ كيف لهذا الأمر أن يكون جميلاً وخيراً؟

* في بعض الأحيان يحتاج الإنسان إلى المعاناة، تكون المعاناة

خيراً في بعض الأحيان لأنّ الناس تنمو وتنضج من خلال المعاناة، وأحياناً يكون الألم نعمة لأنّه يزورك ومعه تحدٍّ. . تحدّ لا يُحضره معه لزيارتك سوى الألم، القلب والحيرة أحياناً تُحَفِّز المُصلِّي الذي فيك حتى يُصلِّي.

لذا فالبركات جميعها بركات واللعنات ليس جميعها لعنات، وكُلُّ ما يحدث هو الخير في عيون من يتق بأنَّ الله حافِظُه من كُلِّ شيءٍ، إن كان ما يحدث له عنة، بصدرٍ رحبٍ وبامتنان شديد يقبلها، وإن كان نعمة فهو بنفس الامتنان والتقدير قابلٌ لها، هو لا يملُك الخيار والقرار فلا يقول، يجب أن يحدث هذا وأن لا يحدث هذا، هو يُسلم للحافظ نفسه استسلامه هذا لتلقِّي أقداره هو بمثابة تحول روحي عظيم يحدث له، الاستسلام هو الثقة، الاستسلام بداية المسير على الدرب الحقّ.

تأمَّل

* هناك ساعاتٌ ينسى خلالها الإنسان العالم..

ساعات يقترب فيها من آفاق النعيم حيث تستقل النفس بذاتها وتكون في حضرة العلي القدير، فيهدأ صراخ الرغبات ويصمت ضجيج الحواس ويصبح الوجود الأوحد لله تعالى.

يا بُنيَّ.. ما من محراب أقدس من الفكر النقي.. الفكر المركز على الله.

أمَّا آفاق السلام التي يؤمها الفكر عندما يستغرق العقل كليّاً في الله وعندما تصعد الأفكار إلى بارئها الأعظم فتُغْني عن المسك والبخور وعن كُلِّ الطقوس والنذور.

النقاء ـ الفرح السكينة ـ السلام.. تلك هي مرتكزات التأمُّل حيث يبزغ الوعي الرُّوحي في تلك الساعات الصامتة المقدَّسة وتقترب النفس من مصدرها المبارك.

جدول الشخصية يتمدَّد ويتسع في تلك الساعات ليصبح نهراً متعاظماً ينطلق باتجاه الذات العليا والوعي الإلهي الأوحد الذي لا ثانٍ له.

في ساعات التأمُّلات تستقطب النفس كل طاقاتها التي تؤهلها للإحساس بالحقِّ والخلود والتحرُّر من الهموم والمخاوف.

فيا أيّتها النفس اعتصمي بحبل الله وثقي به وبذاتك وابحثي عن الحقّ في ساعات السكون.

واعلمي أيّتها النفس أنَّ ذاتك انشقت عن جوهر الحقيقة وأنَّ الله يسكن قلب القلب وروح الرُّوح.

لا تخشي كل ما هو زائل لأنَّه ظلّ لا دوام له، المظاهر الوهمية دائمة التقلُّب بينما الحقيقة راسخة لا تخضع للتغيير ولا يتطرق إليها التبديل.

* أيُّها الباحث عن الحق والحقيقة.. اعلم أنَّ شكلك هو حلم صغير ضمن الحلم الكوني الكبير، وثق أنَّ روحك المتأصّلة لا شكل لها، فهي ليست الفكر أو مادته، والرغبات والأحداث لا تمس جوهرها النقي الذي هو نفحة من روح الله الخبير القدير.

وتذكَّر أنَّ الحياة مسرحية ينبغي تمثيل أدوارها دون تحقُّق وارتباط.. وأنَّ مادة الحياة الدُّنيا هي أحلام بأحلام بينما جوهر الرُّوح لا يحلم، كونه دائم الاستفاقة واليقظة خلف سراب الوهم ودخان الضلال.

فاكتسب تلك المعرفة وتحرَّر من قيودك التي تصدُّك عن مواصلة السير وتشدُّك إلى هذا المستوى الأرضي الكثيف.

وإذ تتناغم مع ذاتك الرُّوحيّة ستحسّ بالسلام يغمر قلبك ويسري في عروقك فيوقظ خلايا دماغك ويفتح بصرك الرُّوحي وتعلم أنَّك

قريب من الله وهو منك قريب، وأنَّ لا انفصال بين المحب والحبيب ما دام التواصل موجوداً والوجد متواصلاً.

* كن على يقين أنَّك ما دمت تؤمن بالله وبأنَّه معك ستحسّ أنَّه معك دوماً، يلهمك، يواكبك، ويردّ عنك الأذى أو يُخفِّفه عنك لدرجة الاحتمال، عندئذٍ ستدرك معنى القرب الحقيقي واستحالة الانفصال عن مصدرك الربَّاني الذي لا دوام إلَّا له، ولا بقاء إلَّا به في الوجود.

لقد آن الأوان كي تهجر الأحلام وتبصر شمس اليقظة الرُّوحيَّة ساطعة قوية في كيانك، إنَّ شعاعاً واحداً من تلك الشمس المباركة كفيل بتبديد ظلمة الدهر بمثل لمح البصر، ومع ذلك السطوع الفوري القوي يأتي الإحساس بشفاء القلب من الهموم والأوهام والمخاوف والآلام.

طب نفساً ولينشرح صدرك، ومتى التهبت نيران الشوق في أعماقك ستحسّ من جديد بالحضور السعيد وستدرك أنَّك على اتصال مع محقِّق الأماني والآمال، أجل، ستسمع عندئذٍ صوت الحقّ هامساً، مشجعاً ومباركاً.

هو الله.. ينتظر منك دعوة صادقة كي يزور قلبك ليغمره بغبطته وسلامه، ويغسله بمياه المعرفة والوعي والرحمة.

لا تجزع من صروف الدهر ولا تتصدع أمام لكمات الحياة ولطمات التجارب مهما كانت عنيفة عاتية.

وكن كالبوصلة كيفما حرَّكتها تتجه إبرتها نحو الشمال، هكذا ليتجَّه عقلك دوماً نحو قطب الحق السرمدي ولينبض قلبك بحبّ الله

وأنبيائه وأوليائه وحبّ البشرية جمعاء، وستخف أثقالك وتثقل موزينك في نظر الرَّحمٰن.

* يا بُنيَّ، إن أنت ناجيت الله وتفكَّرت به ستدرك أنَّ تلك القوَّة اللامتناهية تحيط بك وتغمرك بالحب الكوني، فإن تقربت منه ذراعاً اقترب منك باعاً. .

واعلم أنَّ الاعتماد الفعلي على الله يحلُّ كُلِّ الإشكالات لأنَّ الله هو الحل الصحيح لكُلِّ معضلات الوجود.

سلِّم أمرك لله يا بُنيَّ. . وألق أحمالك عليه، وتأمَّل بعظائمه تحل عليك البركات ومعها المدركات.

التمس سلام الرُّوح في سكينة التأمُّل مثلما تفعل النُّفوس الكبيرة المستنيرة الحاملة لمشاعل الحكمة المقدَّسة أمام القلوب الملتهبة شوقاً للوصول إلى معابد الحضرة وخلوات اليقين حيث الفرح الفائق والجمال الربَّاني الصاعق.

واطلب من الله كي يرفع عن بصرك الحجاب لترى الذات الخالدة وتشرب حتى الارتواء من ينابيع الغبطة المتفجِّرة في واحات الرُّوح ذات الأنسام العليلة والأشجار الظليلة.

ومع الاقتراب من مشارف الوعي الأسمى تتأجَّج نيران الوجد في الأعماق ويبزغ فجر الإشراق فتحسّ بفرحة الوصول والقرب والاقتراب الذي يشدُّ إليه الرِّحال ذوو الإرادات الحازمة والنوايا الجازمة.

وضع في الاعتبار أنَّك سائح على دروب الله نحو الغاية القصوى التي هي معرفة الذات، وإذ تطمح لتحقيق ذاتك لا تسمح بالتحقُّق

والارتباط مع عالم الثنائية خوفاً من الانجراف إلى قاع اللامبالاة والتقاعس الرُّوحي الثقيل على النُّفوس المجنحة التي تهوى التحليق في فضاء الرُّوح السحيق.

عندما تبدو الحياة خدَّاعة مراوغة، ويبدو شبح الموت ويصرخ القلب ألماً وتبلغ المصائب البشرية الذروة. . تذكَّر أنَّك أنت الرُّوح المتعالي على كُلِّ الثنائيات والنسبيات.

فتوكَّل على الله وانتظر الوعد الحق، فكُلّ آتٍ قريب ووعد الله لا يخيب.

اعرف نفسك

* ولدي الحبيب.. بماذا يمكن أن تصف نفسك أو تنعتها بسمات؟ من تعتقد نفسك.. ذاتك؟ من أين جئت وإلى أين ستذهب؟ ومن هو صانعك الحقيقي؟

مهما كانت رؤيتك عن نفسك إيجابية وسامية فإنَّها لا تقارن مع القيمة الجوهرية التي أعطاك إيَّاها ربّ العالمين حين قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥] فأنت مخلوق بيد القدرة العلية المطلقة المنزَّهة، ومن كان مخلوقاً بيده سبحانه وتعالى حريٌّ به أن يحوي عالم الملك والملكوت.. وعالم الغيب والشهادة.. فالإنسان فيه غيب وفيه شهادة، فيه من عالم الشهادة الجسم، ومن عالم الغيب القلب والرُّوح والسِّرّ والخفي وكل الحقائق، فإذا استطاع الإنسان أن يجاهد ظاهره إلى أن يصفِّيه، ستشعُّ في باطنه جوهرة خفيَّة تصل ما بينه وبين السَّماء.

عن هذا الوصال قد يغفل الناس وتنام.. أما أنت فقلبك يقظ لا ينام لأنَّه سيكون في محضر الملك العلَّام.. في هذا الوصال سوف تتلذَّذ بسماع نغمات الكائنات وهي تُسبِّح لله في كُلِّ الأوقات، تسمع ترتيل الملائكة الكرام، وليس الكائنات فقط هي التي تُسبِّح.. بل كُلُّ شيء فيك إن كان الشعر أو الأذن أو الأنف أو اليد والأرجل، كُلُّ شيء فيك يُسبِّح خالقك وباريك.. ولكن فقط من حافظ على الصفاء

الرُّوحاني الأوَّل وحالة الوصال هو الذي يسمع. . ! أما من جعل في أذنه وقر أي صمم من الحظوظ والأهواء والذُّنوب ومخالطة أهل الدُّنيا وأهل الحجاب فمن أين يسمع؟! وذلك لأنَّ الأذن غير طاهرة وغير واعية.

لقد خلقك الله بيده فأنت طاهر مطهَّر في الأصل والحقيقة، لذلك عندما يولد أي مولود يأتيه خطاب الحيّ القيُّوم: «يا ابن آدم خلقتك طاهراً نظيفاً فاجتهد أن تلقاني كما خلقتك طاهراً نظيفاً، وإيَّاك من الدُّنيا ومن الأهواء والحظوظ والشهوات أن تُغيِّر صفاءك ونقاءك وقلبك». وبعد أن يسمع المولود هذا الخطاب السليم المستقيم الذي أودعه فيك الكريم يكون ما زال في حالة الجلاء البصري وذلك قبل أن يعرف أُمّه وأباه وعمه وإخوته فيرى الملائكة الصاعدة والهابطة ويسمعهم ويشعر بهم، ولذلك تجد الطفل الصغير الذي لم يعرف من حوله بعد عندما تنظر إليه تجد أنَّه أحياناً يضحك وهو بذلك يضحك لمن يراهم، وعندما تنزل ستارة الحسِّ ويبدأ المولود في الشعور والإحساس بالمناظر الدنيوية فوراً يحجب عن المناظر الإلٰهيَّة وعن المشاهد الملكوتية وذلك لكي يجاهد فيعود إلى المشاهدة مرة أخرى.

لذا ولدي الحبيب. . إذا أردت أن يكشف الله لك عن عالم الجمال فاجتهد ألَّا ترى في الحياة غير الخير والحب والجمال لكي تشرق عين القلب. . وعين القلب هي التي ترى هذه الحقائق العالية وهذه الأنوار الراقية. .

وكُلَّما كانت عين الحسّ مفتوحة فلن ترى إلَّا المحسوسات، وإذا أردت أن ترى الغيبيات فعليك أن تغضَّ عين البصر. . وكذلك تسمع

حديث الكائنات وتُكلِّم الجمادات وتُخاطب جميع الحقائق العاليات.. إن أردت ذلك فيجب أن يصمت لسانك عن الحديث مع الأنام إلَّا في الضرورات وللضرورات أحكام، لكن إذا كان لسانك لا يتعب من الكلام مع هذا وذاك وأنت بذلك تشوش صحفك فمن الذي يكتب فيها بعد ذلك؟!

فشرائط التسجيل التي أعطاها لك العليّ الكبير لكي تُسجِّل عليهم أحاديث البشير النذير وتُسجِّل عليهم أحاديث الملأ الأعلى وعالم الطهر والصفاء مليئة بتسجيلات وأصوات من عالم الحسِّ والجفاء فماذا بقي لك، وأين يتم تسجيل أصوات الجمال؟ لأنَّك عندما تُصلِّي لله أو تجلس مع نفسك تناجي الله تجد أنَّ التسجيل الداخلي الخاص بك اشتعل وتأتيك الأحاديث التي شغلت نفسك بها في هذه الحياة!! فأين تجد الصفاء؟ وأين تشعر بالنقاء؟

أن تصمت.. أن تتأمّل، أن لا تشوش فكرك أو تشغل لسانك، فذلك يعني أن توفر مساحة كبيرة من الممكن أن تهبط عليها بركات الرحمة وفيوضات الجمال الربَّاني.

أنت تريد أن تسمع.. أن ترى.. أن تشعر.. ولكن.. هل أمسكت عليك لسانك؟ هل غضضت طرفك وعينك؟ هل غلقت أذنك عن الأحاديث اللاغية لكي تفتح الآذان الواعية؟ من الذي سيُجاهد لك؟ لا بُدَّ أن تجاهد بنفسك لكي تشاهد، وإلَّا لو وصلت لهذا الفضل بدون جهاد لاستحقه كل العباد.

* ولدي.. في حالة الصمت تتولد الحكمة، فإنَّه يُلقَّن الحكمة، إذن يأتي الفتح عند الصمت، صمت العين عن النظر، وصمت الأذن عن السماع، وصمت اللِّسان عن الكلام، وصمت القلب عن الخواطر

المردية، وصمت النفس عن الأهواء الإبليسية، فإذا صمتت هذه الجوارح صالت الرُّوح صولتها فجاء الفتح من الفتَّاح.

وإذا أقبلت على مولاك تولَّاك، وإذا تولَّاك مولاك فإنَّ الدُّنيا كلها بمن فيها تصير تحت قدميك، لكنَّك تتعب وتجري وتنهب وتشاكل هذا وتحارب هذا وتمكر بهذا وتناور هذا وتذهب للمحامي فلان ومع ذلك لا تطول شيئاً «يا ابن آدم تركض في الدُّنيا ركض الوحوش في البرية ولا ينالك إلَّا كُتب لك فيها وإلَّا ما قسمته لك» فلن تأخذ في النهاية إلَّا المكتوب، لكن إذا أردت من الموهوب فعليك أن تُسلِّم نفسك وكُلّك لعلَّام الغيوب.

الحقيقة:

* أحبَّائي.. أعزَّتي.. أودّ أن أخبركم بشيءٍ يتعلَّق بالمعرفة والعلم والوعي.. فالبعض منَّا يظنُّ أنَّه قد وصل إلى الحقيقة والعلم، بينما كل ما يملكه مجرَّد معلومات وآراء ونظريات نقلها وبرمج بها عقله وفكره.. هو يعتقد أنَّه بهذا قد أصبح عالماً، في حين أنَّ العلم والوعي الحقيقي لا يكون إلَّا بخوض غمار ما تعلم من أفكار وحكمة..

فالمعرفة والحقيقة والحكمة يتم اكتشافها من خلال الوعي المنتبه، وليس من خلال تراكم المعلومات أو تلقِّي الأفكار.. بل من خلال الذهاب على داخل عملية التحول، إلى عمق الأفكار، وإلى قلب العلم.. الوعي المنتبه هو تحول داخلي متطرف ينقلك من حال إلى حال، وليس مجرَّد معلومات.. العلم الحقيقي بداية لولادة جديدة تنعم فيها بالراحة والانسجام مع كل ما في الكون.

أحبَّتي.. منذ أن وجد الإنسان والعقل عاجز عن معرفة ماهية الحقيقة، أنَّه يعرف أشياء عنها ولكنَّه لا يعرفها بذاتها.. أن تعرف شيئاً

عن الحقيقة أمر مختلف عن معرفتها، قد تكون قادراً على التحدث عن الحب، دون أن تعرف ما هو، وحتى تتعرف عليه يجب أن تمرَّ بتجربة الحب، يجب أن تكون عاشقاً.. (تجربة الحب حتى تعرف لا بُدَّ أن تمارسه) جمع المعلومات شيء والوصول إلى الذات شيء آخر.. بمقدورك حفظ ما قاله كل الفلاسفة، وكذلك نظريات وفرضيات العلوم، ولكن ليس بمقدورك الادعاء أنَّها أقوالك ونظرياتك وفرضياتك، لا أحد ينكر أنَّها تعينك على تعميق وعيك، وهنا يكمن الخطر، لأنَّها قد تجعلك مدعياً أنَّك تعرف كُلّ شيء.. دائماً عليك معرفة أنَّك إن حفظت شيئاً، وغابت عنك أشياء، عليك معرفة الشيء ونقيضه، وعليك الاعتراف أنَّك جاهل لأُمور كثيرة.. لماذا؟

حتى تبقى باحثاً عن الحقيقة عن حقيقة المعرفة، وهكذا تمضي حياتك باحثاً عن حقيقة الوجود باحثاً عن الوعي الكُلِّي الشامل بهدف الوصول إلى الحقيقة واختبارها.

الطفولة البريئة:

عزيزي.. إن لم تكن بريئاً كالطفل فلن تنفتح لك أبواب السَّماء، التي هي مغلقة بوجه كل مدعي المعرفة، معلمين كانوا أم أكاديميين أم علماء أم... فهؤلاء فقدوا حتى الاندهاش والتعجُّب من كُلِّ شيء جديد.. لأنَّهم اعتقدوا أنَّهم يملكون المعرفة.

وحده الطفل يمتلك نعمة الاندهاش والتعجب.. ليس في رأسه مخزون من المعرفة المتراكمة، بل هو يبحث عن المعرفة. واعلم أنَّه ليس بمقدورك اكتشاف نعمة الوجود الإلهي إلَّا إذا كنت كالطفل براءة تندهش لرؤية خلق الله ومخلوقات الله ومملكة الله بما فيها من أُمور مبهرة تشدُّ الانتباه...

عندما يغدو المرء بريئاً مثل الطفل من جديد يصبح حقاً عارفاً، عندما تصير مرآة لوعي صافية تماماً، وبحيرة الوعي بلا أمواج، وبلا دوائر متموجة، عندئذٍ تنعكس السَّماء بأكملها، وينعكس الوجود بأكمله في داخلك، بكُلِّ عظمته وبكُلِّ جماله وبكُلِّ بهائه.

المعرفة والحكمة:

كُلَّما اقترب المرء من الحكمة، كُلَّما أدرك أنَّه بحاجة للمزيد من المعرفة، وكُلَّما كان غبيّاً كُلَّما ادعى المعرفة الشاملة وأصبح متشبِّثاً برأيه، مع أنَّ ما وصل إليه من معرفة هو ليس نتيجة تجاربه وأبحاثه، بل عصارة فكر غيره، لذا فالأغبياء يمتلكون معرفة غيرهم ويريدون فرض هذه المعرفة على غيرهم من الناس البسطاء.. القلب هو ذاك الطفل البريء بينما الرأس المحشو بالأفكار هو كرجل عجوز.. إذن كن ذاك الطفل، كن ذاك القلب النابض بالحياة أبداً.

المعرفة المستعارة والمتراكمة بفعل الآخرين هي معرفة ناقصة وغير واعية، إنَّها تستر جهلك، ولا تقربك من الحكمة في هذه الحال تكون كمن يضع ضمادة فوق الجرح دون الدواء، أي أخفاه عن عينه، وتركه دون شفاء، ودون علم منه، إنَّ الجرح قد يتسبَّب بالتهابات كثيرة وخطيرة، أمَّا المعرفة النابعة من الذات تقضي أن تبلسم الجرح.

ولدي العزيز.. أُولى خطواتك نحو المعرفة الصادقة هي في اعترافك أنَّك لا تعرف شيئاً، هي في اعترافك بجهلك، المعرفة الصادقة هي تلك النابعة من ذاتك، المعرفة لا تأتي عن طريق الدراسة بل عن الاستغراق في التأمُّل.. المعرفة معشوقة النقاء والصفاء، إذن كن نقيّاً صافياً، وانظر إلى ذاتك فسترى المعرفة تتدفَّق منها.. ذاتك هي نبع المعرفة المتفجِّر لكن الأغبياء يتوقفون عند البرك حول الصخور ويعتبرون

أنفسهم وصلوا على نبع المعرفة لأنّهم يخافون الولوج داخل الذات، هذه الصخور ليست هي المعرفة، بل الحواجز التي تعيق انسياب مياه النبع المتدفق من ذاتك، المعرفة هي في تعرُّفك على ذاتك.

زادك للعالم الآخر:

* اعلم ولدي العزيز أنَّ ما تفعله في العالم الأرض ستجني ثماره في العالم العلوي والرُّوحي.. كما تجد أنت حقائبك في غرفتك بالفندق عند وصولك من السفر، فحقائبك ستحوي فقط ما وضعته بها قبل السفر والانتقال، وحين تفتحها ستجد ما وضعته.. لذا ينبغي أن تسأل نفسك ماذا ستضع في حقائبك لسفرك الطويل يكون عوناً لك في رحلتك.. البعض يحمل حملاً ثقيلاً ولكن حمله هذا لا يجديه نفعاً لأنَّ ما قام بحمله لا يمكن صرفه في ذلك العالم.

الفرق بين ما تحمله حقيبة سفرك وما تحمله من أعمال بعد الموت، أنَّ الحقيبة تفتحها بيدك، أمَّا أعمالك فستجدها محيطة بك من كُلِّ جانب، فحين تخرج من غلافك الأرضي تجد نفسك كأنَّك ومضة نورانيَّة قويَّة مصحوبة بفوران من الأفكار المشتَّتة.. تتدفَّق أمامك صور الماضي متحرّرة من مخيلتك وكأنَّك تشاهد مجرى حياتك على شكل فيلم سريع في لمحة عابرة..

ستجد خلال ذلك الأرواح التي قاست وعانت من أخطائك وأفعالك يتربصون بك، أولئك الذين ليس عندهم الاستعداد الفطري للمغفرة والتسامح.. وفي الوقت ذاته ستصلك موجات من المحبة والبهجة من الناس الذين أحسنت إليهم، وعاملتهم بإحسان، ورفقت بهم، وعلَّمتهم وأحببتهم.. سيصلك تيار المحبة من خلالهم وسيكون

له الفضل الكبير في تسكين روعك وخوفك وانتشالك من بعض المواقف المؤلمة.

إنَّ تجاربك الشخصية وفلسفتك ومبادئك الدِّينيَّة ومعنوياتك هي المرجعية التي تحكم بها على نفسك، فالإنسان في مواجهته لنفسه يكتشف ماهيته أن تتوافق داخلياً مع نفسك متعرفاً على نواقصها، هكذا يتحدَّد مكانك في سلّم الرقي الذي سوف تلتحق به.

لذا أحبَّتي.. يجب أن تدركوا أنَّ الإنسان على الأرض ليس بعيداً عن اهتمام عالم الرُّوح به، وأنَّ الإنسان لا يُترك وحده، فالحياة بجملتها في العالمين ليست إلَّا مظاهرة للرقي الرُّوحي.

تجربة البلايا والمحن:

* إنَّ الطريق إلى الله مليء بالأحزان والآلام الداخلية، محفوف بالصعاب، ولكن الله لا يطلب منَّا أبداً المستحيل، فبقدر تقدُّم الإنسان واستقامته وتحمُّله المسؤولية واتزانه تتحرَّر النفس وتلطف وتعرج إلى محلِّها وبيتها الأبدي.

ليس هناك أسوأ من الإنسان الأصم الذي لا يريد أن يسمع، والأعمى الذي لا يريد أن يرى.. فالتأثيرات والألطاف الربَّانيَّة التي ينشرها الله في العالم الأرض لا تُعدُّ ولا تُحصى.. ولكن الإنسان الخامل بأهوائه ومخاوفه وبتأثيرات الأفكار السلبية الدُّنيا عليه، لا يمكنه أن يدرك هذا اللطيف. وهنا لا بُد أن تتدخل الإرادة العليا في التغيير، وحتى يتغيَّر الإنسان فإنَّ الأمر يستدعي هدم تكوينه الداخلي وإعادة بنائه من جديد، فمسؤولية التغيير تقع على عاتقه، لأنَّه من غير المجدي زراعة الأرض البور، فالله عزَّ وجلَّ ينتظر حتى تتهيَّأ الظروف

التي تُمهِّد الأرض. وهو ما يعني مرارة التجربة والاختبار للكثيرين، تلك التجربة التي يخرج منها الإنسان قويّاً أو منهاراً..

أنتم إذن من يتحمَّل النتائج، إمَّا بالتهرُّب أو بالكسب حسب قوَّتكم الداخلية، عليكم تقع مسؤولية الحركة، والله عزَّ وجلَّ يمدُّ العون لمن وصل لمرحلة الضياع إذا طلب منه ذلك، ولكن اعلموا أن نجدة الله وعونه يخضعان للنظام الرُّوحي.. فكُلّ شيء يحدث داخل الإنسان وليس خارجه، فسُنن الله لا تتغيَّر ولا تتبدَّل.. الله يقوي ما هو خير وطيِّب فيكم، حتى أسوأ الناس يملك بعض الجوانب الحسنة، هي مسألة تناسب بين قوى الخير والشَّر، فإذا غطَّت السلبيات على الإيجابيات، عندها يوكل الله الإنسان إلى نفسه.

* الله سبحانه يُحبُّ أن تتحرَّر روح الإنسان، وهذه الحرية تكتسب، من يتبع طريق النُّور يجب عليه اجتياز الامتحانات، وتسلُّق العوائق، وارتقاء سلُّم المعرفة خطوة خطوة، فالأمر ليس سهلاً.. إنَّكم عندما تعانون نعلم أنَّكم تزدادون قوَّة، وعندما تصلون إلى حدود قدراتكم يمدُّ الله لكم يد العون، فمن يحصل بدون تعب يضعف، لذا من الأولى أن تعانوا في بناء عقيدتكم من أن تؤمنوا إيماناً أعمى.

* إنَّ الجهاز البشري السليم لا يخشى من أعتى الفيروسات، كذلك المجتمع السوي يتغلب على شياطينه، فإذا لم يتمكَّن من ذلك فهو مريض، ويجب أن يتغيَّر أو يختفي، ذلك هو قانون التطوُّر والذي يطبَّق على الجميع دون استثناء.. الإنسان المتواجد في عالم المادة يملك التأثير والتغيير خلال حياته الأرضية القصيرة أكثر من تأثير الرُّوح بعد خروجها من الجسد، ومن هنا خلق الله الحياة على

الأرض. . ومن هنا لا بُدَّ أن تغتنم فرصة حياتك، ودقائق وقتك، وصحتك للترقِّي والتطوُّر ورؤية الحقائق الرُّوحيَّة.

الله تعالى:

(ولدي العزيز. . انتبه لما تعرف وتعلم، فكلنا غارقون في تحليل الأُمور وفلسفتها وهذا ما يغرقنا في الظلام، ويُسبِّب الآلام النفسية. . لذلك لا بُدَّ أن تستشعر وجوه الله بدلاً من تقصِّي حقيقته. الله ليس عنصراً مادياً أو كيمائياً نُحلِّل عناصره، الله هو المطلق الذي لا يعرف إلَّا بالإحساس بعظمته.

الولادة:

التأمُّل هو نقطة الانطلاق للحياة الفعلية، فحياتك لا تبدأ يوم تلدك أُمّك، أُمّك تعطيك فرصة الحياة ليس أكثر، ولادتك الأولى تجعلك قادراً على الحياة، وعليك تحويل هذه القدرة إلى فعل، لتصبح كائناً حياً فعلياً، التأمُّل هو فن تحويل القدرة إلى فعل، فن تحويل البذرة إلى زهرة أو شجرة، أُمّك تلدك جسداً، أمَّا التأمُّل فهو سبب ولادتك الثانية، ولادة الرُّوح. . بدون أن تولد ثانية ستبقى حياتنا مجرَّد تفاهات والبذرة لن تصبح نبتة، والنبتة لن تبرعم ولن تزهر أبداً، ولن تصبح شجرة تعشعش فيها الطيور ترتاح تحت ظلالها، ليس التأمُّل سوى النفادة التي من خلالها ترى الوجود على حقيقته، ترى الجمال في كُلِّ شيء، وتعلم حقيقة الحياة.

منذ أن ولد الإنسان وأصبح يدبُّ على وجه الأرض وهو أشبه بآلة ميكانيكية، لقد ولدته أُمّه بيولوجياً وليس روحياً، الولادة الرُّوحيَّة لا تتم إلَّا بالمعرفة الشاملة، إلَّا بامتلاك المحبة والحقيقة، إذن أنت لست

بحاجة لمعلِّم يُعلِّمك التاريخ والجغرافيا وما شابه. . بل أنت بحاجة لمُعلِّم يُعلِّمك كيف تولد ثانية وبإرادة منك، أنت بحاجة لمُعلِّم يُعلِّمك كيف تدخل إلى ذاتك، لتكتشف ما فيها من مكنونات وقدرات، ومتى فعلت هذا تكون قادراً على خلق ذاك مُجدِّداً وتولد ثانية ليس بيولوجياً ولكن روحياً.

نأتي على هذا العالم صفحة بيضاء، نأتي بنقاء كُلِّي وببراءة طفولية، لا نهتم لا بالخير ولا بالشَّر، ولكن حين يبدأ العالم بالتأثير علينا تسود الصفحة البيضاء، وتختفي البراءة ولا يعود هناك نقاء.

يولد الإنسان نقيّاً بريئاً وكُلَّما تقدَّم العمر به، كُلَّما تراكمت التناقضات فيه، وغرق في بحور المادة التي تمنع عنه وضوح الرؤيا والتي تجعله مخدَّراً حتى يتقبَّل الفكرة القاتلة أنَّ الموت تطوُّر طبيعي. . ولهذا نرى الأطفال أكثر توهجاً وأكثر وضوحاً ولهذا نقول: إنَّه طفل، والطفل لا يكذب.

جاء في الكتب السَّماويَّة أنَّ الإنسان ولد في جنَّة عدن، ومنها طرد، ومن ذلك التاريخ وهو هائم في البراري والصحاري حاملاً ذكريات سعيدة عن مسقط رأسه، ذكريات تئرقه ويشدّه الحنين إلى تلك الجنَّة. . أراد الإنسان أن يكون عارفاً فأكل من شجرة المعرفة. . ولكن ماذا كانت النتيجة؟ كانت طرد من جنَّة عدن وهام على وجهه دون دراية منه أنَّ المعرفة تقطع خيط التواصل مع قلبه الذي هومركز الأحاسيس والمشاعر، والذي هو الجنَّة التي يحنُّ إليها، كُلُّ واحد منَّا يحمل قلباً في صدره، إذن جنَّاتنا موجودة فينا، ولكنَّنا نتجاهل هذه الحقيقة، ونمضي خلف أوهام المعرفة، معرفة المادة ونتناسى الرُّوح، المعرفة مجرَّد معلومات قد نستفيد ومن يدري قد تكون سبب بؤسنا وشقائنا. .

جنَّة عدن في قلب الإنسان، لذا لماذا لا يحاول الإنسان العودة إليها، من خلال البحث عن السعادة في داخله، في ذاتيته الرُّوحيَّة، بدلاً من استمراره تائهاً في المدن والقرى يبحث عن السعادة.

المعلومات الذهنية والحكمة:

يستطيع المرء يبذل الجهد وزيادة التركيز الذهني، وتقوية قدراته العقلية، يستطيع الوصول إلى المعرفة لكنَّه لا يستطيع الوصول إلى الحكمة، المعرفة هي تراكم المعلومات في رأس الإنسان، ولا ريب أنَّها معلومات مكتسبة، أمَّا الحكمة فلا تكون إلَّا من تمازج الحب.

تراكمت المعرفة برأس الإنسان حتى صار يمتلك كمية معرفة تفوق بكثير تلك التي كانت عند الحكماء، لكن هذا لا يعني أبداً أنَّك أكثر معرفة منهم، أنت تمتلك معرفة اكتسبتها من الخارج، بينما هم يمتلكون معرفة ناتجة عن اتصالهم بالله، وهي المعرفة الأشمل. أصبح الإنسان مثل الحاسوب، بإمكان الحاسوب اختزان ملايين العلومات وبكبسة زر يعطيك أية معلومة تريد، لكنَّه ليس قادراً على الامتلاء بالنعمة، نعمة التأمُّل والتحوُّل، نعمة الشعوب بعظمة الخالق.

هناك فرق بين المعرفة والتعرف، المعرفة هي معلومات وافية عن زمن مضى، بينما التعرف هي محاولة اكتساب معرفة جديدة، أنَّه عملية تحول تطوري، لذا إذا كنَّا فعلاً راغبين بالتعرف، علينا الاعتراف أنَّ كل شيء قابل للتحول، حتى اللغات تتحول، فلا شيء في هذا الوجود ثابت، بل كل شيء في تحرك دائم.

ماذا تُقدِّم لِلَّهِ تعالى:

إذا أحببت أحداً فإنَّك تُقدِّم له أفضل ما عندك.. أموال، مأكل،

لباس. . أليس كذلك. . إذا كنت تحب الله حقاً، فهل ستُقدِّم له أفضل ما عندك، هل ستُقدِّم له أموالك، وقتك، صحتك، شبابك. . نعم، هل ستُقدِّم لمن تحب، هل قدَّمتها لله تعالى.

من الصعب أن تُفكِّر في الله في سن الشيخوخة عندما تفقد السيطرة على الحواس، ابدأ باكراً، انطلق متمهلاً، تصل آمناً، ينبغي أن تبدأ بالصلاة لله من هذا العمر الصغير الحسَّاس. إذ لم تبدأ بالصلاة الآن وجسدك قوي، متى سيكون عقلك حاضراً ومتى ستكون قدرتك على الرُّوحانيَّة في ذروتها متى سيكون الوقت أفضل؟

عنفوان الشباب هو الفاكهة اللذيذة الطيِّبة. . ألا يستحق الحبيب أن تقدِّمها له، لماذا تنتظر أن تقابل الفاكهة وتفسد بعد ذلك نقدِّمها لله تعالى.

تماماً في هذا الوقت عندما تكون قوي الجسم، حواسك تحت السيطرة، عندما يكون عقلك مليء بالإيمان قدِّم زهرة قلبك لله تعالى، هذه هي النصيحة والهدية الصحيحة لله تعالى، لكنَّك لا تقوم بمثل هذه التقدمة ولا تُقدِّم مثل هذه الهدية! إنَّك تنغمس في حواسك، تمضي كل وقتك في التَّمتُّع بكُلِّ الحواس، تركت توازن الحياة حتى لم تعد تُقدِّم شيئاً لله تعالى، أنت تُقدِّم تويجات زهرة حملتها الرياح بعيداً، عندما تفقد كل الحواس قوتها، استطاعتها، قدرتها وإمكانياتها ما الذي سيُقدِّم لله تعالى؟ عليك أن تخدم الله عندما تكون في ذروة القوَّة الجسدية، عندما تكون الحواس قوية، الفكر مستقر متوازن، التمييز صافٍ وأنت ممتلىء بالحكمة.

إذا لم تسلم لله تعالى في هذ الوقت الصحيح فمتى ستفعل؟

ابدأ الآن!! وإلَّا فإنَّ الوقت سينقضي والعالم الجديد سيحل قريباً.

نعم العالم الجديد سيحل قريباً دون أن نعي. . ودون أن ندرك أهمية الوقت والحياة ومدى تسارعها. تشرق الشمس وتغيب كل يوم ولا أحد يدرك هذا الدرس العظيم. . فهذا مشغول بدراسته وعمله، وذاك مهتم بكرسيه ومنصبه، وآخر متألق بهندامه وفيلته، وذاك بقروبات الإنترنت وشبكته، وهذه بمراقبة زوجها في دخوله وطلعته، وزوجها في استبداده وتعكير حياتها وقسوته وأختها في فنون الطبخ وكتبه، وغيره منكب على عقائد الحقد وأدلته، وآخر على أسانيد اللعن وحجَّته، وآخر يُفكِّر كيف يستحوذ على مال غيره ويسرقه، وغيره يستعطف هذا وذاك لكي يعطيه ويرفعه. . وآخر قد أذن للناس أن تنحني له وتُقبِّله، وغيره يُعلِّم الجاهل كيف يقتل الناس ويُدرِّبه. .

نور الله تعالى:

الشمس تشرق كل يوم. . على كل هؤلاء وغيرهم. . ولكن كم واحداً منهم أغمض عينيه ورفع رأسه للسماء وسأل نفسه، متى يشرق نور الله في قلبي؟ متى أعلم من حيث لا أعلم؟

في اللحظة التي يشرق فيها الصباح في داخلك تصبح سيِّد نفسك. . ستعرف من أنت، ولو أمضيت حياتك برمتها وأنت منتظر ردّاً لهذا السؤال فلن تُضيع حياتك سدى، فلا بُدَّ للشمس أن تشرق بأعماقك يوماً ما، وإشراقها ممكن لأنَّه وعد من ربّ العالمين ولا تبديل لقوه وحكمه وهو أصدق الصادقين. . إنَّها بانتظارك. . مجرَّد إشارة بسيطة منك بأنَّك جاهز للاستقبال وبأنَّك ترحب بها. . سترى فيض نور الشمس بقلبك وكيانك. . وسترى كرامات الله تجري بين يديك.

هناك فرق كبير بين من ينتظر النُّور. . وبين من يستيقظ فيرى قد

سطع نوره على البشرية. . وفرق كبير كذلك بين من ينتظر النُّور انتظاراً سلبياً، وبين من يعيش حالة النُّور تجربة النُّور! قبل ظهورها فكن ممَّن يعيش تجربة النُّور وينتظر شروق شمس الحقيقة. . لتكن نفسك أنت محور اهتمامك لأنَّك حين تكتشفها وتعرف حقيقتها ستكون بديلاً عن الشمس في إنارة القلوب المظلمة والراقدة في سباتها الدنيوي.

الرُّوح والموت:

يخبرنا الله عزَّ وجلَّ عبر كتبه المقدَّسة وتعاليم أنبيائه صلوات الله عليهم أنَّ الإنسان لو أدرك أنَّ هذا العالم خادع مضلل، وهو لعب ولهو وتفاخر. . وأنَّ الرُّوح هو وحده الدائم الباقي فإنَّه سيدخل عالماً أفضل بعد رحيله الأخير عن هذه الأرض، حتى ولو جاء ذلك الإدراك قبل الوفاة بلحظة واحدة.

كُلُّ واحد منَّا سيؤخذ من هذ الأرض عاجلاً أم آجلاً ولذلك يجب أن نتعرف الآن على غاية الحياة الغاية الأساسية من تجارب الإنسان في هذا العالم هي لحثِّه على البحث عن معاني الحياة. يجب أن لا تنبهر بموكب البشرية والتقدُّم العلمي الهائل. . فهناك ما هو أهم بكثير من هذه المظاهر الزائلة لكي تبحث عنها. .

اجعل معرفة الله غايتك لتصل إلى حقيقة الدِّين الربَّاني فـ(أوَّل الدِّين ومعرفته) واعلم أنَّ البحث الجاد والصَّادق عن سرّ الحياة سيجنِّبك الكثير من المصاعب وينقذك من مخاوف شتَّى.

إن توجَّس الموت أو الفشل أو المتاعب والأحزان يوقظ في المرء هلعاً كبيراً. عندما يعجز الإنسان عن مساعدة نفسه ولا تستطيع أُسرته وأصدقاؤه تقديم أيّ شيء له يستولي عليه القنوط وتظلم الدُّنيا في عينيه، لكن لا حاجة له في الوصول إلى تلك الحالة، فهو إن فكَّر في

الله أثناء حياته وتواصل معه سيجده قريباً منه في الساعات العصيبة والأيَّام الحرجة. . بل سيجده معه دوماً فهو القائل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [قٓ: ١٦].

فقبل أن يكون معنا أي إنسان آخر من كان معنا؟. . هو الله. . وعندما نغادر هذه الأرض من سيكون معنا؟. . هو الله لا غيره، ولكن من الصعب التعرف عليه عندئذٍ إن لم نسعَ في التعرف عليه الآن، إن بحثت عن الله بصدق وعمق ستعثر عليه وسيتعزَّز يقينك بأنَّه معك دائماً، وستفارقك الهموم والأوهام ولن تنخدع بعدها أبداً.

معرفة الله تعالى:

من الصعب أن يعرف الإنسان الله ما دام فكره ينتقل بصورة متواصلة من شيءٍ إلى آخر كالريشة في مهبِّ الريح، الله تبارك اسمه يقترب منَّا، يريد هدايتنا وانتشالنا، ولكنَّنا لا نتعاون معه ولا نسمح له، إنَّه يقرع بصمت أبوابَ قلوبنا وينادينا كي نعود إليه لكن معظم الناس غير راغبين في العودة. ومع ذلك فعندما تسوَّد الدُّنيا في عيونهم ويعلقون في فخاخ المشاكل أو يقعون فريسة المرض يسارعون في الدُّعاء إليه والتماس عونه، من يمتِّن روابط الوفاق والانسجام بينه وبين الله في أوقات السعادة والرخاء سيجد الله بجانبه عندما يحتاج إليه، أمَّا الذي يسوِّف في تعزيز تلك العلاقة يحكم على نفسه بمواجهة مصاعبه ومصارعة تجاربه بمفرده إلى أن يتمكن ـ بالحكمة والتسليم الكامل ـ من التوجه إلى الله وقرع بابه الكريم.

إنَّ الذين لا يبحثون عن الله كضرورة قصوى للحياة لا يفقهون معنى الدِّين، لماذا يسعى كل الناس في طلب المال؟ لأنَّهم يعتبرونه ضرورياً لتزويدهم بما يحتاجون إليه من أجل راحتهم ورفاهيتهم، إنَّهم

لا يحتاجون أحداً كي يعلمهم هذه البديهية لأنَّهم يعرفونها حقَّ المعرفة، ولكن لماذا إذاً لا يفهم معظم الناس ضرورة التعرف على الله؟

قد نظن جهلاً أنَّنا نعرف الله عزَّ وجلَّ.. ولكن كل سلوكياتنا وتصرفاتنا وأفكارنا تدعو إلى غير ذلك.. من يعرف الله حقاً يجب أن يمتلىء قلبه بالمحبة والسلام، فهما جناحا الطيران إلى مملكة الله تعالى..

التأمُّل:

عزيزي.. قد أُنبِّهك في رسالتي هذه إلى أمرٍ في غاية الأهمية فاستمع لما أقول.. يوجد العدد من طرق التأمُّل المخادعة حول العالم.. ولكن لا بُدَّ أن تدرك أنَّ حقيقة التأمُّل هي شيء بسيط جدّاً.. هي اللحظة التي تعيشها بوعي ومع نفسك..

التأمُّل ليس في ترديد كلمات أو نغمات أو استخدام المسابح مع الترانيم والألحان.. هذه كلها وسائل للتنويم الإيحائي.. يمكن أن تشعرك بالراحة.. وهو أمر جيد جداً إن أردت الاسترخاء والهدوء.. لكن إن أردت أن تعرف حقيقة نفسك أكثر وتزيد وعيك أكثر تصبح هذه الوسائل حواجز ولن تكفي لتأخذك إلى برِّ الأمان..

اعلم أنَّ التأمُّل ببساطة يعني تحويل اللاوعي إلى وعي..

فعقل الإنسان يتكون من ٩٠٪ من اللاوعي والـ ١٠٪ الباقية فقط هي وَعي يعيشه ويختبره.. فقط جزء بسيط من العقل.. طبقة رفيعة لديها النُّور الداخلي، أما باقي البيت فهو في ظلام عاتم قاتم.. التحدي الأكبر لحياة الإنسان على هذه الأرض هو تحويل ذلك

الظلام إلى نور.. هو الذي يجعل كامل البيت يفيض بالنُّور ويملأه بالزهور والعطور..

عندما يملأ النُّور بيتك الداخلي ستصبح الحياة معجزة تختبرها في كُلِّ لحظة وثانية.. لأنَّ الحياة هي سحر ينتظر أن تراه.. عندها لن تكون الحياة روتيناً يومياً تعيشه بيأس وأنت تنتظر الموت.. بل ستصبح الحياة مدهشة ورائعة وتعشق عيشها.. عندها سترى الوحل وروداً وستصبح الأشياء الصغيرة بالحياة ذات قيمة عظيمة.. سترى الحجارة جواهر، والتُّراب معابد .

في اللحظة التي تصل فيها إلى ذاتك وتختبر نورك الداخلي سيتحول كل الوجود إلى نور.. ستختبر حقيقة نور من نور.. أما إن بقيت تعيش في الظلام سيكون الكون كله غارقاً معك في الظلام.

حياتك كلها متوقفة عليك.. فماذا تختار؟

عندما تكون في حال من الاستسلام والتسليم تبدأ الأزهار بالزهو من حولك وبداخلك.. ستبدأ أشياء كثيرة بالحصول في حياتك.. تلك الأشياء هي التي يريدها الخالق لك وليست تلك التي تملأ غريزتك ورغابتك.. عليك أن تتناغم وتتفاعل مع الوجود لا أن تضع الموجود تحت أمرتك وتصرفك.. هذا هو الفرق بين التأمُّل والمتبصِّر..

المتبصِّر يريد من كل شيء أن يكون وفقاً لما يريد.. يُسخِّره ويستعبده ويحاول تملُّكه، لكنَّه في الحال يكون في حال من الضياع والانصياع.. فكيف يمكن للمحدود أن يسخِّر اللامحدود، كيف يمكنه أن يكون وفقاً لتوقعاته الموقعة من أنانيته وكيانه، وفقاً لطلباته ومتطلباته.. ما أن يضع لنفسه أهدافاً وغايات يكون قد حدَّد لنسه

الحضرة التي سيقع فيها، ومهما حاول فالأهداف ستبقى في الخيال ولا سبيل للوصول إليها إلَّا في الأحلام والأوهام.. ولن يصل..

أمَّا التأمُّل فهو انتظار المجهول بولهِ المنتظر.. انتظارٌ حالٍ من التوقع والوقوع في الأوهام.. انتظارٌ لا يملأه سوى المحبوب.. كُلَّما كان الانتظار صاف وشفَّاف كُلَّما أحسسنا بالوئام وارتوى الظمآن.. هذا ما علينا فعله.. أن ننتظر بدون رغبة في شيء ولا فروغ الصبر من هذا الشيء.. عندها تهطل النعم كما يهطل المطر.. سننال من البركات ما عدده بعدده حبات الرِّمال ونجوم السَّموات وأكثر.. إنَّها أكبر ممَّا نحلم بكثير وأبعد من حدود العقل والتفسير.

لا يوجد شيء أن تتوقعه وترغب فيه.. فالخالق أحكم من أحكامك وهو أدرى منِّي بحالي وكياني.. ما أن تكون مستسلماً بمحبَّة وهيام حتى تبدأ بالذوبان في محيط النُّور.. حياة من الاستسلام والتسليم بدون أي توقع وتوقيع هي حياة التديُّن وانصهار الرُّوح في النُّور..

اعلم عزيزي.. أنَّ الخالق تبارك وتعالى منبع الرحمة التي فاضت على جميع الخلق والمخلوقات.. ولكن هذه الرحمة لا يراها إلَّا الذين لا يطلبون ولا يتململون وإنَّما يتهلهلون بحبِّه وعشقه.. اللارغبة هي الباب لكُلِّ ما في الحياة من سعادة.. عليك بالانتظار بصبر وتأمُّل وكل ما في الوجود سيزهر ويظهر لك وبداخلك..

الأفضل ألا تطلب أي شيء وإلَّا ستُصاب بالإحباط.. فقط عليك أن تثق بصمت المؤمن وتنتظر بصبر المتأمِّل وستمتلك كل ما في الحياة ويمتلىء وجودك بسرّ وأعاجيب الكون والمكوِّن، وأي أعظم أُعجوبة من أن تتعرف على ذاتك وتكتشف سرّ الله حين يقول: «وأنا أقرب إليك من حبل الوريد».

اعلم بُنيَّ. . عندما تبدأ التأمُّل تبدأ في رؤية الأشياء بمنظار آخر. . قد تمرُّ بمحاذاة الأشياء التي تمرُّ بها كل يوم ولكن حين تمتلك الرؤيا سوف ترى الأشياء تفيض بنور الله وعندها لا يصبح العالم أحجبة ولا يبقى مشكلة، ولا يبقى سؤال، إنَّه ليس سؤالاً يجب الإجابة عنه ولكنَّه يعدو سرّاً غامضاً يجب أن تعيشه.

اعرف نفسك فأنت الملك:

أعلن كل الرُّوحانيِّين الكبار أنَّ الإنسان يولد ملكاً سماوياً دون أن يعي هذه الحقيقة، وأنَّ جهلنا بمعرفة عالمنا الداخلي الخاص بنا، يجعلنا نبقى غير واعين لمملكتنا، لأنَّنا نجهل المملكة التي ننتمي إليها، والتي هي ملكنا للأبد، إنَّنا نستمر في تمني وتسول الأُمور الصغيرة، لكنَّنا نتوهم فقط عندما نعتبر أنفسنا متسولين.

وحين يستيقظ المرء من أحلامه ويواجه مفاجأة عظيمة يجد أنَّه ليس متسولاً. . بل هو ملك.

وهذا هو الهدف الكامل للتأمُّل، أن تصبح واعياً لمملكتك مهما كانت صغيرة أو كبيرة، أن تصبح واعياً لأقصى طاقاتك الممكنة، ومتى بدأت تصبح واعياً تصبح الرحلة سهلة، فقط تحتاج للقليل من اليقظة. . وما لم تستيقظ لن تصير المملكة حقيقية ولن تتحقَّق كما قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٢].

الولادة الثانية:

بُنيَّ. . اعلم أنَّ المتأمل يعني الولادة الثانية. . كانت الأولى للأُمّ. . والثانية هي ولادة التأمُّل، لذلك قال تعالى: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤] وقال عيسى بن مريم عليه السلام:

«فقط حين تولد مرة ثانية تستطيع أن تدخل إلى ملكوت السَّموات». الولادة الثانية تزيل ما علق بالنفس من تشويش.

دع التفكير جانباً:

حقيقة التأمُّل هو حالة من اللاتفكير، فقط حالة نقية من الصفاء.. لكن مع هذا الصفاء واللاتفكير يكون الوعي قائماً وحاضراً أكثر ممَّا كان، لأنَّ كل ما كان مختبئاً خلف الأفكار لم يعد مختبئاً، كل ما كان متورطاً في أفكار معيَّنة لم يعد متورطاً، كل الطاعة التشويشية جرى التخلص منها، لقد أصبح المرء بحيرة من الطاقة، بحيرة ساكنة وصامتة، حتى أنَّه لا موجة واحدة تظهر على السطح،. وفي بحيرة الوعي الصامتة تلك، بحيرة الطاقة، ينعكس الوجود، هكذا نتأهل لأن نعرف خزائن أسرار الله تبارك وتعالى.

أن تضع العقل جانباً هو المهم والمطلوب للتعرف على عالم النُّور، وهذا هو كل ما يفضي إليك التأمُّل، لا بُدَّ أن توقف العقل المناقش باستمرار، الثرثار من غير سبب على الإطلاق، إنَّه مشغول باستمرار من غير وظيفة معيَّنة مناطة له.

ضع العقل جانباً.. وكن أنت السيِّد والمرشد له بدل أن يتعبك بتفكيره المستمر المؤرق.. منذ أن تحرك عقلك في الطفولة فإنَّه لا يتوقف عن العمل، ولن يتوقف حتى ساعة الموت.. حتى في المنام هو يعمل ويؤرق مناماتنا بالأحلام المزعجة،.. من يدخل ملكوت التأمُّل يتوقف العقل عندهم عن العمل وفجأة نصبح واعين لوجود الشمس التي كانت مختبئة خلف غيوم العقل، هذا الوعي بالضوء الأوَّل بالشمس الأولى بالنُّور الأوَّل هو المعرفة الإلهيَّة.

يحيا الإنسان الذي لا يعرف شيئا عن التأمُّل حياة عارية قاحلة،

كما لو كانت صحراء مقفرة معتقدين أنَّ صحراء حياتهم هي الشاطىء، بينما حياتهم صحراء قاحلة.

معنى التأمُّل ألَّا تبقى فرداً من الأفراد.. الأنا وحدها تموت، أمَّا حقيقتك فخالدة، عندما ترحل كل المتاعب والهدوء تستريح في راحة كلية، التخلي عن الأنا هو بداية التأمُّل، والراحة هي الإحساس أن لا شيء يثير المخاوف في ذاتك، وهذا يعني أنَّك قد عدت إلى ذاتك..

الإيمان:

لا إيمان بلا تأمُّل.. التأمُّل يوصلك إلى الإيمان، ويجعلك تمنح الآخرين تجربتك، فتصبح أنت العبير والعطر معاً.. وتكون قادراً على تحويل الغضب إلى سكينة، حتى الغبار سيتحول إلى ذهب إن لامسته، تلك هي قدرة الإنسان المؤمن، والإيمان هو ذلك السحر الذي يخطفك إلى أعلى، ولا انخطاف دون تأمُّل، دون سكينة روحيَّة التي ترشدك إلى دروب الإيمان، إلى منابع العبير والعطر، لذا لا أهمية للصلاة دون سكينة، السكينة تفجر ذاتك عطاء ومحبة، إنسانية وإيماناً.

الصلاة:

لا معنى للصلاة دون إيمان ولا قيمة لها، إذ تكون مبنية على اعتقاد وراثي أو اسمي أو شكلي.. صلاة بلا مضمون وبلا اتصال حقيقي وعملي.. كيف تكون صلاة بلا صلة؟ صلاة ليس فيها تواصل بينك وبين الله سبحانه.. كيف يكون هذا؟ تريد أن تخدع الآخرين كما تخدع نفسك؟ الإيمان هو أساس الصلاة.. كثيرون هم الذين يصلّون دون إيمان، يصلّون ويصلون وكأنَّهم يتنشقون زهوراً اصطناعية متوهمين أنَّها زهور طبيعية.. دون رائحة أو عبير.. حياتهم مستنقعات، وهم ونهم، وجشع وخداع، حياتهم لا لون لها ولا طعم.

التديُّن يبدأ من الإيمان، والإيمان حالة صمت واسترخاء، ليس حولها ما يزعجعها أو يحرجك منها.. الصمت هو الشعور بالامتنان لله الذي أعطاك النعمة، الذي منحك تجربة سماع موسيقى الصمت التي من خلالها يمتلىء قلبك بالإيمان وتنحني أمام الله بخشوع.

البحث عن الحقيقة:

تأمَّل كلماتي.. ولا تُقلِّد الآخرين تقليداً أعمى.

يقول العلماء: إنَّ لعقل الإنسان قدرة استيعابية لا حدود لها، حتى أنَّ عقل إنسان واحد قادر على اختزان كل ما احتوته مكتبات العالم من معلومات، لكن هذا الاختزان لن يجعل منه حكيماً كسقراط.. ولا إنساناً يمتلك قدرة الشعور المنفتح الذي تنهمر عليه بركات السَّماء، ولا وعاءاً يجمع رذاذ السَّماء.. ويبقى غير قادر على السعي على ما هو أبعد من حدود الكلمة الجامدة، ومن حدود ما اختزن في رأسه من معلومات ونظريات..

لا تكن ببغاوياً مكتفياً بمعرفة المعلومات، بل عليك تحويل هذه المعرفة إلى قدرة لا حدود لها.. قدرة الالتقاء مع ذاتك والاستغراق في التأمُّل..

تأمَّل وجودك وتأمَّل ما يحيط بك، لأنَّك بهذا تكون تتخطَّى حدود الكلمة الجامدة إلى معنى الحياة، تكون أدرك أنَّك ما تزال بحاجة للمزيد من المعرفة.. وللاندهاش أمام كل معرفة جديدة تكون استعدت براءة الطفولة، التي هي أشبه بمرآة لا غبار عليها، ولا تعكس سوى الحقيقة، الحقيقة الناصعة النقاء، ومتى عرفت الحقيقة، تكون قد اكتشفت ذاتك.

حتى تكون قادراً على قول الحق والصدق عليك أن تولد من جديد، وتبدأ بتعلم الأشياء بناء لإرادتك، ولادتك الجديدة هي فرصتك الوحيدة لإدراك أنَّ تراكمية المعرف، لا توصل إلى الحقيقة، بل اختبار المعرفة، وحتى إن اختبرت المعرفة تدرك أنَّ الأنا ليست سوى مجرَّد وعاء فارغ لا تأخذ منه إلَّا ممَّا وضعنا فيه.

استمر الناس في غيِّهم وجهلهم لسنوات طويلة باحثين عن مملكة في كُلِّ الأمكنة، في كُلِّ الزوايا، إلَّا حيث هي، إنَّ الطريق إلى معرفة مملكة الله تبدأ داخل نفوسنا. . ولأنَّنا ابتعدنا عن هذا المنهج فقد تهنا وضعنا لسنوات طويلة وتشكَّلت الفرق والأحزاب والطوائف، بينما لو اتجهوا للداخل فسوف يتوحدون في كُلِّ شيء، لأنَّ منبع كل شيء واحد وهو الله سبحانه خالق كل شيء.

الحقيقة لا تخترع بل تكتشف هي موجودة داخل كل إنسان، والموجود يكتشف ولا يخترع، فقط علينا تذكُّر أنَّنا نولد وتولد الحقيقة معنا، أن نعي هذا ونتصرف بموجب هذا الوعي، حتى لا نبقى نقول الحقيقة، وإلَّا نكون كمن يحب النوم، حتى يبقى مبتهجاً بالأحلام، ومخافة اكتشاف مدى سخافة هذه الأحلام، بعد أن يستفيق فلماذا لا نبحث ن البهجة في ذاتنا. . لماذا نبحث عن الله في الأشياء المادية بينما الحقيقة في نفوسنا وطالما أنَّنا نمتلك الطاقة الكاملة والقدرة على اكتشاف الحقيقة إنَّما المهم أن تستيقظ وتعي.

التأمُّل:

التأمُّل مسألة روحية وليس مسألة فلسفية، التأمُّل يوجب عليك التنبيه إلى أهمية نفسك إلى اكتشاف الحقيقة، ابتعد عن القيل والقال

وابدأ في استشعار ما ينبض به شعورك الداخلي واستعن على إثارته بكلمات الله وكتابه.

لا تُقلِّد الآخرين تقليداً أعمى.. ولا تستجب لتعاليمهم بل ابق نقياً بريئاً، استغرق في التأمُّل واغرق في الصمت وادخل إلى ذاتك كي تتعرف على ما فيها من كنوز وخيرات، العقل يحلّل بينما التأمُّل هو ذاتك، به تصبح حرّاً مستقلاً وبواسطتك تكتشف الحقيقة والمحبة، ومن خلال التأمُّل تسمع همسات تخرج من داخلك تخبرك بأنَّك خالد إلى أبد الآبدين طالما أنت مع الله.. فمن كان مع الله كان الله معه.

ليس هناك حاجة إلى أن تصبح كاملاً، لأنَّك كامل أصلاً، لكنَّنا لا نحيا ذلك الكمال في كليته، بل في حدِّه الأدنى، نحن لا نستعمل طاقاتنا الكامنة، بل جزءاً صغيراً منها.

التأمُّل هو العملية التي تؤدِّي إلى نضوج طاقاتك باتجاه السلام الداخلي أوّلاً، وصول إلى السلام الخارجي لاحقاً.

التأمُّل أشبه ما يكون بالموسيقى الكاملة، موسيقى بلا صوت، موسيقى الصمت إنَّها موسيقى الأكثر غنى، والأكثر عمقاً من أية موسيقى، نستطيع أن نخلقها من خلال الصمت، لأنَّ الصوت أي صوت، ليس أكثر من إزعاج، نحن نجعله محبوباً، ولكنَّه يبقى إزعاجاً بينما الصمت هو غير ذلك، لا شيء يتحرك.. في الصمت موسيقى عظيمة، وفي تناغم مع العالم بلا أصوات تزعجك.. التأمُّل يقودك إلى حالة الصمت تلك، وما لم يعرف الإنسان ذلك الصمت فإنَّه ليس واعياً بما يحمل في قلبه، وغير مدرك لقيمة المملكة الداخلية الخاصة به، وغير مدرك لقيمة غناه الداخلي وكنوزه الداخلية.

لن تدخل أشعة الشمس بيتك طالما الأبواب مغلقة، وهكذا

ستبقى في ظلام دامس حتى ولو فتحت الأبواب لعبور الشمس وبقيت مغمض العينين، ستبقى كذلك في الظلام، كذلك هي محبة الله، إنَّه في كُلِّ مكان، ولكن علينا أن نفتح له قلوبنا . . كن دائم الاستعداد لتقبل النعمة الإلهيَّة بتناغم وانسجام، وهكذا تمتلك النعمة.

حين تستغرق في التأمُّل تكون قد بدأت أولى خطواتك للابتعاد عن الكراهية والاقتراب من المحبة والشعور بذاتك وبكل مخلوقات الله، تكون بدأت رحلة الصعود إلى عالم النُّور.

الفردية والوحدة والمجتمع

عزيزي الحبيب.. سواء شئت أم أبيت فأنت فرد فريد.. واحد متوحد.. الوحدة هي طبيعتك وفطرتك.. فرادى أتيتم، فردى تعيشون وفرادى ترحلون، لكنَّك تسعى وتحاول جاهداً الخروج من هذه الحقيقة فتهرب إلى المجتمع.. الأصدقاء.. الأهل.. الأحباب.. الاختلاط بالزحام.. الانتساب إلى الأحزاب.. لكن مهما فعلت سيبقى مجرَّد سقف مستعار.. هناك عميقاً داخلك ما زالت الوحدة منتظرة لمستك ووعيك.

لو نظرت قليلاً لوجدت أنَّ هناك أمراً غريباً يحدث للبشر.. وهو أنَّ طفل الإنسان هو الطفل الوحيد في الطبيعة الذي يحتاج العائلة.. هو الطفل الأضعف في الوجود.. فيما تخلق باقي الحيوانات كاملة وقوية.. الكلب مثلاً يبقى كلباً، صحيح أنَّه سيتقدَّم بالعمر لكنَّه لن يتطوَّر أو يرتقي، لن يصبح أكثر ذكاءً، لن يصبح أكثر وعياً، لذلك ولادة الحيوانات وموتها أمر واحد.. مسار حياتها أُفقي.

لكن الإنسان هو فقط من يحمل إمكانية تغيير المصير، الوحيد القادر على تغيُّر مسار النمو والتحول من الأُفقي إلى العامودي، هناك فرق بين أن تتقدَّم بالعمر، وبين أن ترتقي بالوعي والإدراك.

منذ ولادة الإنسان نجده محاطا بجدران العائلة والجيران

والمجتمع، بعيداً عن وحدته وفرديته، ومن هنا يكتسب هذا الشعور بأنَّه يجب ألَّا يبقى وحيداً، لأنَّه عندها سيشعر بالعزلة والخوف.. وجوده مع الآخرين يشعره بالراحة والأمان.. ومن هنا نجده في سعي دائم للانضمام إلى المؤسسات والجمعيات والنوادي و.. و.. وكُلّها تصبُّ في مصبّ واحد.. وهو ألَّا يبقى الإنسان وحيداً.. ألَّا يلتفت للفرد الساكن داخله صامتاً..

لذلك تجدنا ننظر للوحدة على أنَّها إحدى حالات الموت.. وهي كذلك في الحقيقة.. الوحدة موت، موت للأقنعة والدروع التي قضيت عمرك تجمعها في زحمة العالم والمجتمعات والمؤسسات و.. و..

عزيزي.. في الزحام، تعلم تماماً من أنت، أنت هوية، اسم ورقم، منصب عمل ومهنة، صفة اجتماعية، جواز سفر، بطاقة ائتمان أو بطاقة صراف.. أنت عدد..

لكن عندما تنسحب من الزحام ماذا يبقى؟

تختفي كل تلك الجدران والأرقام والأسماء.. لا حاجة لجواز سفر لتدخل فيه إلى محراب روحك، لا حاجة لهوية لتعرف نفسك، لا عدد بعد الآن.. أنت عدَّة ولست عدداً.. قلبك ليس عربياً ولا غربياً.. وجودك لا يسعه حاجز ولاحدود جغرافية.. وعيك لا تحتويه مؤسسة ولا منظَّمة.

عزيزي حيث تسأل نفسك من أنا؟ هنا تبدأ شخصيتك بالتلاشي.. تسقط الأقنعة والوجوه المستعارة.. هنا تسأل لمرة الأولى عن ذاتك.. عن حقيقتك النقية الصافية.. تصل عندها إلى نقطة الفراغ.. لا شيء من الأرقام والأعداد والترهات السابقة.. لكن لا أحد يرضى بهذه القناعة.. لا أحدى يرضى أن يكون اللاأحد..

عندما تكون في حالة الوحدة هذه لن تجد أحداً.. فقط حضور وحضرة.. لا اسم، لا صيغة، لا قالب، لا هوية.. لكن هذا يحتاج الشجاعة.. فقط الإنسان الشجاع يعيش هذه الحالة.

صديقي الحبيب.. بالحب فقط تولد الشجاعة.. محبتك لنفسك.. للحياة، للوجود ولكُلِّ موجود.. هذه الشجاعة هبة وُضعت في قلبك دون إذنك ودون اهتمامك واكتراثك بها.

عندما تحب أيُّها الإنسان، تمدُّك الشجاعة دائماً بالعطاء وتغذيك بنهر من المحبة والجمال وتدعمك لتبقى فريداً واقفاً بشموخ وحيداً كأشجار الأرز.. عالية حتى تطال النُّجوم بوحدتها.

كل الحكماء والأنبياء ضربوا لنا الأمثلة في الوحدة والتوحُّد، علَّمونا فنّ وجمال التميُّز والتفرُّد، وما كانت طرق التعبُّد والصلاة سوى وسائل لتصل من خلالها إلى داخلك.. إلى ذاتك.. إليك أنت.

من الصعب أن تكون ملازماً لأحد، لكنَّنا للأسف تعودنا منذ ولادتنا أن نكون مع الآخرين وأن نكون اجتماعيين.. ولن نصل لذواتنا ما لم نتجاوز هذا الحاجز.

في الواقع القلَّة القليلة فقط من الناس أحبوا بصدق.. كلنا نتظاهر بالحب وندَّعي أنَّنا نحب ولكنَّك لن تستطيع أن تحب بوعي وصدق طالما أنَّك تعيش مع الجمهور ولأجله، طالما أنَّك لست مع نفسك.

أوَّلاً اعرف نفسك..

بوحدتك وبوعيك ينهر الحب ويتدفَّق..

هذا لا يعني مطلقاً أنَّك يجب أن تغادر إلى الجبال وتعتزل الناس، على العكس..

لا نقصد بالخلوة العزلة وإنَّما أن تكون ذلك وأن تعيش طبيعتك باستقلال . .

سواء كنت وسط الزحام أم في أعالي الجبال . . الحال هو الحال . .

التسامح والصفح

لا أكفّ عن قول كلمة.. سامح، اصفح، اغفر.. لقد آن الأوان لكي تتعلَّم كم تكون جميلاً حين تصفح.. واسأل نفسك ما هدفك من وراء إبقاء جرحك حيّاً ينزف باستمرار؟

هل لتبرر غضبك وتشعر بنفسك بالرِّضا إزاء تخطيطك للانتقام؟ ليس هناك من خير في عقل مليء بالكراهية.

عندما لا تصفح، فإنَّك تتجمَّد من الكراهية، لا تريد أن تصفح؟ ربَّما يكون لديك قائمة طويلة من الأسباب الوجيهة لذلك، بدون الدخول في جدال حول حقيقة أنَّك قد جُرحت، فإنَّ هناك سؤالاً لا بُدَّ أن يُطرح ألا وهو لماذا أنت الوحيد الذي ما زال يعاني؟

إنَّ الصفح هو الخطوة التالية والأخيرة أيضاً.

إنَّ الصفح هو أن تتحرر من إحساسك بالجرح والألم.. الصفح هو إزالة ما علق بقلبك من آثار الآخرين ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المَائدة: ١٣]، الصفح يجعلك مرآة مصقولة تسقط عليها أنوار السَّماء وتكون حينها من المحسنين.

إذا كنت مستمراً في إلزام نفسك بالبقاء في قيد ألمك لأنَّك تريد أن توضح لمن جرحك قدر الألم الذي سبّبه لك، أو تتصرف على نحو

انهزامي، وتميل دائماً تجاه الإحساس بالفشل، وتدع النجاح يتسرب من حياتك، وتبرر ألمك بتمثيلك دور الشخص المدمر، فأنت بذلك ترتكب خطأً جسيماً.

مدهشة تلك الكلمات الربَّانيَّة التي لم تعيها حين يربط الحق تبارك وتعالى خلق السَّموات والأرض والساعة تلك الآيات الكبرى بالصفح ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحِجر: ٨٥] هل سألت نفسك يوماً لماذا ربط الله عملية الخلق والحق والساعة بالصفح.!؟ إذن هو الصفح المقدَّس.. الغفران المقدَّس.. الحب المقدَّس.. وليس الحقد المقدَّس.. أو التشفِّي والثأر المقدَّس.

فإذا كان الشخص الذي جرحك قد تأثر بمعاناتك حتى شعر بالذنب والندم، وسارع بإرضائك تعويضاً لك عمَّا بدر منه تجاهك، فأغلب الظن أنَّ هذا الشخص لم يكن ليقصد أبداً أن يجرحك في المقام الأوَّل.

إنَّ الحياة دائماً ما تصبح معقدة عندما تخفي إحساسك بالألم في انتظار قدوم الآخرين لكي يعتذروا، إنَّ كبحك ألمك يتحول إلى غضب ويجعلك تشعر وكأنَّك ضحية.

إذا كنت تتوقع من الآخرين إصلاح ما أفسدوه، فإنَّ خيبة الأمل ستلازمك.

إنَّك بحاجة إلى أن تصفح عن الآخرين بالقدر الذي تستحق أن يصفحوا به عنك.

الموت

إنَّك فان، وكُلّ ما على الأرض فان ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦-٢٧] وكونك مفرطاً في الحذر يُسبِّب لك مشكلة، فأنت في حاجة لأن تعتني بنفسك دون أن يستبد بك القلق بشأن صحتك حتى تظل في مأمن ولديك القدرة على خوض المخاطرات على نحو صائب وتقوم بالمهام الصحيحة.

تقبل فكرة الموت ولا تخف منه.. إنَّ الموت ينبغي أن يأتي كصديق في أواخر أيَّامك عندما يتسرَّب إليك ذلك الشعور بالانتقال إلى العالم الآخر، فجسدك قد لا يقوى على اجتياز الأزمات، لا أن يأتي لأنَّك خضت مغامرات هوجاء كي تختبر حقيقة فنائك، إذا حاولت أن تنكر الموت، فسوف تنتهي بك الحال إلى أن تخسر حياتك.

إنَّ الموت ليس اختياراً، إنَّه مفروض علينا تماماً مثل الحياة.

إنَّ أفضل استعداد للموت هو أن تعرف نفسك، فمن عرف نفسه عرف ربّه.

إنَّ مكانك الذي تقف فيه على طريق الحياة حينما تلاقي الموت ليس مهماً بقدر أن تلقاه وأنت على الطريق الصحيح، تسلك الاتجاه الصحيح نحو الوجهة التي اخترتها.

إنَّ حياتك هي مغامرتك، هي كل ما قمت به خلال فترة بقاءك، وما موتك سوى مجرَّد تذكير آخر لك، إنَّ اعترافك بالنهاية يجلي أمامك ضرورة اختيار البداية الصحيحة، من أنت؟ لماذا أنت هنا؟ إلى أين أنت ذاهب؟ ماذا ستترك بعد رحيلك؟

حياتك تزهو عندما تكون صادقاً في كُلِّ لحظاتها، عندما تواجه كل ما تطل به الحياة عليك من مشكلات، عندما تتحرر من آلامك بشكل صريح، باستسلامك لمشيئة الله والرِّضا بقضائه، بالعطاء في الحب، وبألَّا تتوقع شيئاً من الآخرين.

إنَّ حياتك هي جائزتك الوحيدة.. عش حياتك بالشكل الصحيح لكي تكون جديرة بأن تموت من أجلها.

الأنـا

الأنا شيء مزيف مكوَّن من الأفكار التي تحدُّ نموّ الإنسان وتجعله في حال من الهوان. . الأنا أن تتمحور حول جسدك المادي وتعلي من شأنه على حساب النُّور الداخلي، لذلك عادة ما يخشى صاحب (الأنا) من الموت لأنَّه يعتقد أنَّ ذاته التي أعلى من شأنها هي حقيقته التي سيفقدها عند الموت، ولا يعلم أنَّ هذا الجسد ما هو إلَّا لباس نرتديه ثم نخلعه بعد فترة من الزمن. . لذلك فإنَّ الأنا والموت شيئان متصلان وغير منفصلين. . الأنا والموت وجهان لعملة واحدة. . إذا كانت الأنا تملأ كيانك وبنيانك فالموت عندها أكيد ومنه ستخاف وتحسب له الوعيد. . عندها الموت سيأتي إليك في كُلِّ لحظة وثانية لأنَّك متعلّق بوهم غير موجود في هذا الوجود. . فإلى متى يمكنك التعلُّق بتلك الأنا المزيفة؟. . عاجلاً أم آجلاً ستكتشف أنَّك بنيت منزلك على رمل متحرِّك. . يمكن أن تغلق عينيك أو تتجاهل ذلك. . لكن إلى متى؟. . سرعان ما ستكتشف أنَّك خدعت نفسك لفترة قصيرة وعن الأبد بعيدة. . الموت هو موت الأنا الصغيرة. . هو موت الجدران التي تبنيها حولك وتعزلك عن محيطك. . ولكن لأنَّك أصبحت ترى الجدران حقيقة. . وأصبحتْ تلك الجدران هي الإنسان وأصبحتَ أنت في خبر كان. . أصبح الإنسان خائفا من الموت لأنَّه سيزيل تلك الجدران. . أنت محاط بأخبار الموت من كُلِّ حدب وصوب. . مئات

بل آلاف من البشر يموتون حول العالم. . وكُلَّما مات إنسان يثور في ذهنك البركان ليعلن اقترابك من الموت خطوة. . حتى أصبحت طنَّة كل جرس أو صوت أي مأذنة يُذكِّرك باليوم الذي ترفع فيه صوتها معلنة مماتك. . لكن لماذا كل ذلك الخوف من الموت؟ الأنا شيء مزيف لكن يمكنك استعمالها كما تستعمل اسمك. . فالاسم أيضاً مزيف لأنَّ جميع الأطفال تأتي بلا اسم. . لكن نحن علينا أن نطلق الأسماء على كُلِّ وافد إلى هذه الأرض وإلَّا ستعمُّ الفوضى في أرجاء المكان. . فكيف سنناديه ونرسل له الرسائل والمسائل. . كيف سنأخذ منه المال أو نُقدِّم له المال. . كيف سنجرَّه إلى المدارس والمعابد والمحاكم؟. . بلا أسماء ستغرق الأرض في فوضى بل وستصبح عالماً جديداً عن ما نعرفه اليوم. . بلا أسماء سيصبح من المستحيل أن تتذكَّر زوجتك أو من هم أولادك. . لذلك فالأسماء ضرورية لكنَّها مزيفة وغير حقيقية. . فعندما تعطي اسماً لطفل. . أنت تعطي اسماً لما ليس له اسم. . تعطي اسماً لغير المُسمَّى. . هذه هي حال الأنا. . مع خلاف واحد وهو أنَّ الاسم للآخرين ليستخدموه معك. . أما الأنا فهي لك ولداخلك لتستخدمها مع نفسك. . تخيَّل لولا وجود الأنا فكيف ستعبّر عن نفسك وحاجاتك؟. . فعندما تشعر بالعطش يمكنك القول: أناعطشان. . في الحقيقة لا وجود لتلك الأنا العطشانة لأنَّه لا وجود إلَّا للعطش فهو الحقيقة والأنا هي المزيفة. . لكن إذا كنت في مكان عام وشعرت بالعطش وقلت هنالك عطش فسيكون من الصعب فهم الحالة التي أنت فيها. . لذلك فتلك الأنا ضرورية كما هو اسمك ضروري. . لكن عليك أن تفهم وتعيش وتعلم بأنَّ تلك الأنا هي مزيفة وهي تعبّر فقط عن حالة كلامية ولا وجود لها في الحقيقة. . عندها يمكنك استعمالها واستخدامها بحريَّة دون أن تقع في فخها ونصبها. . فالأنبياء والحكماء

استخدموا تلك الأنا لكنَّهم عرفوها على حقيقتها لذلك فقط امتلكوها دون أن تمتلكهم. . المشكلة الحقيقية هي عندما تعطي القيمة لما ليس له قيمة. . في زمان ومكان غير بعيد عن هذا الأوان ربح جحا وقبيلته قضية هامة جداً في المحكمة. . وكان الفصل في ذلك للمحامي نعسان صاحب الذكاء والعقل النبهان. . فدعاه جحا ليعبّر عن امتنانه وعرفانه له، وعندما حضر نعسان إلى مكان ردِّ الجميل والعرفان وجد مأدبة فيها ما لذَّ وطاب من الطعام ومكان جحا شاعراً ليملأه نعسان ويحاضر. . تردَّد نعسان وقال: لا يمكن أن أجلس في مكان جحا قائد القبيلة وصاحب العزيمة، فذلك المكان هو لك وأنت صاحب الشأن والمال وعليك أن تجلس في ذلك المكان. . كان الكرسي على رأس الطاولة وحولها كل الكراسي الأُخرى التي ملأها أفراد القبيلة. . وبعد طول مماطلة من نعسان ضحك جحا وقال: أينما أجلس يكون هو رأس الطاولة فأنا الذي أعطي القيمة للكرسي وليس الكرسي هو صاحبة المنصب والشأن شأن. . فأجلس في ذلك المكان يا نعسان وتلذَّذ بأطيب الطعام وأعذب الألحان. . الأنا هي اعتقاد وإيمان بفرديتك وخصوصيتك وتميُّزك عن الكون. . هي إيمان مبني على أساسات زائفة زائلة غير موجودة إلَّا في الأفكار. . غير قائمة على الحقيقة الأزلية الكونية. . عندما تشعر أنَّ الأنا مجرَّد لباس بالغت في الاهتمام به طوال هذه السنين، وجدار يحوي بداخله نفحة مباركة من روح الله. . عندما تشعر بذلك يمكن استخدام كلمة أنا دون أن تستخدمك الكلمة. . وعندها ستعيش الحقيقة الكائنة خلف كل كائن. . لأنَّ الحقيقة واحدة، لكن بوجوه كثيرة. . الوجوه هي أقنعة مزيفة والحقيقة خلفها ساكنة. . فعليك يا إنسان ألَّا تتعلق بالوجوه، وإنّما أن احفر خلفها لترى النُّور القابع فيها واجعله وسيلتك للوصول إلى سيِّد الأكوان.

الإنسان

عزيزي.. يا من تقرأ كلماتي، فقد أثقل عليك بصراحتي وقد تجدها صعبة الفهم والإدراك، لكنَّه أمر لا بُدَّ من معرفته.. أو تعلم من أنت؟ ما أنت؟ أو تعلم من الإنسان؟.. الإنسان خليفة الرَّحمٰن، خلاصة الأكوان، مظهر الأنوار، نتيجة الأدوار، مقصود الأفلاك، مسجود الأملاك، نخبة الكون والمكان، نقطة دائرة الإمكان، مركز المحيطات والمحطات، علَّة إيجاد الأرض والسَّموات، سبب تكوين جميع الموجودات، من مركز الأرض إلى جميع الجهات، وإليه مرجع كل المخلوقات والممكنات.

خلقه الله بقدرته، وأبدعه ببديع فطرته، من أمرين متباينين، وجوهرين متباعدين، أحدهما روح لطيف، سماوي علوي نوري قدسي ملكي رحماني، والآخر جسد كثيف أرضي سفلي عنصري ظلماني لحماني.

فسمِّي بالإنسان من تثنية أنس، كما يُقال: جنس جنسان، وركب فيه وهو العالم الأصغر جميع نظائر ما في العالم الأكبر، وجعله جامعاً لأشباه أنواع الموجودات، وأُنموذجاً لمتفرق ما في الأرض والسَّموات.

اعلم عزيزي إنَّ لهذا الكائن السماوي ساعاتٌ ينسى خلالها الإنسانُ العالمَ..

ساعات يقترب فيها من آفاق النعيم، حيث تستقل النفس بذاتها وتكون في حضرة العلي القدير، فيهدأ صراخ الرغبات ويصمت ضجيج الحواس ويصبح الوجود الأوحد لله عزَّ وجلَّ.

لتعلم عزيزي. . ما من محراب أطهر وأقدس من الفكر النقي. . الفكر المركّز على الله.

أمَّا آفاق السلام التي يؤمّها الفكر عندما يستغرق العقل كُلّياً في الله وعندما تصعد الأفكار إلى بارئها الأعظم فتغني عن المِسك والبخور وعن كُلِّ الطقوس والنذور.

النقاء ـ الفرح السكينة السلام ـ. تلك هي مرتكزات التأمُّل حيث يبزغ الوعي الرُّوحي في تلك الساعات الصامتة المقدَّسة وتقترب النفس من مصدرها المبارك.

جدول الشخصية يتمدَّد ويتسع في تلك الساعات ليصبح نهراً متعاظماً ينطلق باتجاه الذات العليا التي هي الوعي الإلهي الأوحد الذي لا ثانٍ له.

في ساعات التأمُّلات تستقطب النفس كُل طاقاتها التي تؤهلها للإحساس بالحقِّ والخلود والتحرُّر من الهموم والمخاوف.

فيا أيّتها النفس اعتصمي بحبل الله وثقي به وبذاتك وابحثي عن الحقّ في ساعات السكون.

واعلمي أيّتها النفس أنَّ ذاتك انبثقت عن جوهر الحقيقة وأنَّ الله يسكن قلب القلب، فالقلب عرش الرّحمٰن.

لا تخشي كل ما هو زائل لأنّه ظلٌ لا دوام له، المظاهر الوهمية

دائمة التقلب بينما الحقيقة راسخة لا تخضع للتغيير ولا يتطرق إليها التبديل.

أيُّها المريد الباحث عن الحق والحقيقة.. اعلم أنَّ شكلك هو حلم صغير ضمن الحلم الكوني الكبير، وثق أنَّ روحك المتأصلة في النفخة الإلهيَّة لا شكل لها، فهي ليست الفكر أو مادته، والرغبات والأحداث لا تمس جوهرها النقي الذي هو نفخة من روح الله الخبير القدير.

تذكَّر أنَّ الحياة مسرحية ينبغي تمثيل أدوارها دون تحقُّق وارتباط.. وأنَّ مادة الحياة الدُّنيا هي أحلام بأحلام، بينما جوهر الرُّوح يبقى أصيلاً وإن كانت خلف سراب الوهم ودخان الضلال.

فاكتسبْ المعرفة وتحرَّر من قيودك التي تصدّك عن مواصلة السير وتشدّك إلى هذا المستوى الأرضي الكثيف.

وحين تتناغم مع ذاتك الرُّوحيَّة ستشعر بالسلام يغمر قلبك، ويسري في عروقك، فيوقظ خلايا دماغك، ويفتح بصرك الرُّوحي، وتعلم أنَّك قريب من الله وهو منك قريب، وأن لا انفصال بين المحب والحبيب ما دام التواصل موجوداً والوجد متواصلاً.

في رحاب الله تعالى

* عزيزي. . كن على يقين أنَّك ما دمت تؤمن بالله فإنَّك ستشعر بأنَّه معك دوماً، يلهمك، يواكبك، ويردّ عنك الأذى أو يُخفِّفه عنك لدرجة الاحتمال، عندئذٍ ستدرك معنى قوله ﷺ: «من كان مع الله، كان الله معه» واستحالة الانفصال عن مصدرك الربَّاني الذي لا دوام إلَّا له ولا بقاء إلَّا به في الوجود.

لقد آن الأوان كي تهجر الأحلام وتبصر شمس اليقظة الرُّوحيَّة ساطعة قوية في كيانك.

إنَّ شعاعاً واحداً من تلك الشمس المباركة كفيل بتبديد ظلمة الدهر بمثل لمح البصر. ومع ذلك السطوع الفوري القوي يأتي الإحساس بشفاء القلب من الهموم والأوهام والمخاوف والآلام.

طب نفساً ولينشرح صدرك، ومتى التهبتْ نيران الشوق في أعماقك ستشعر من جديد بالحضور السعيد وستدرك أنَّك على اتصال مع محقِّق الأماني والآمال، أجل. . ستسمع عندئذٍ صوت الحق هامساً، مشجعاً، ومباركاً.

لا تجزع من صروف الدهر ولا تتصدع أمام لكمات الحياة ولطمات التجارب مهما كانت عنيفة عاتية.

كن كالبوصلة التي كيفما حرَّكتها تتجه إبرتها نحو الشمال، هكذا ليتجه عقلك دوماً نحو قطب الحق السرمدي، ولينبض قلبك بحبِّ الله وأنبيائه وأوليائه ومحبِّيه والبشرية جمعاء، وستخف أثقالك وتثقل موازينك في نظر الرَّحمٰن.

فتوكَّل على الله وانتظر الوعد الحق، فكل آتٍ قريب ووعد الله لا يخيب.

جزاء الأعمال:

حبيبي وصديقي تأمَّل فيما أقول.. إنَّ المتاعب والمضايقات التي تحدث لك في كثير من الأحيان، إنَّما هي بسبب أعمال ماضية قمت بها في مكانٍ ما وفي زمنٍ ما، فما قمت به تجني ثماره عاجلاً أو آجلاً.. فمعاناتك الحالية ناجمة عن أفكار وأفعال صدرت عنك فتجسَّدت بذوراً تغلغلت في تربة الوعي فأنبتت نبتاً وأخرجت ثمراً له نفس مواصفات الأفكار التي أطلقتها والأفعال التي قمت بها ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [هُود: ١٠١]، وهذه سُنَّة الله في الحياة.

ولكن لتعلم أنَّ هذه المحن والبلايا لا تأتي لتحطمك وتشلُّ إرادتك، بل لتجعلك تقدِّر الله حقَّ قدره وتحترم قوانينه التي من خلالها يمكن الحصول على السعادة الحقيقية، لذا عليك حين تواجهك المحن أن توقظ وعيك من سبات الغفلة وتنتشله من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة.

في معظم الأحيان تعدنا الحواس بقليل من المسرات الوقتية الزائلة لكنَّها تمنحنا في النهاية آلاماً ومعاناة طويلة، أمَّا الفضيلة والسعادة الحقة فلا تعدانا الكثير، لكن في لنهاية تمنحانا فرحاً نقياً ودائماً، لهذا السبب اعتبر السعادة الباطنية الدائمة فرحاً والملذَّات الحسِّيَّة المؤقتة متعاً.

* عزيزي. . إن كانت هناك عادة سيِّئة تضايقك وتقض مضجعك فللتخلص منها يمكنك تجنُّب كل ما من شأنه أن يوقظها أو ينبهها، دون التركيز عليها بغية قمعها، تلك هي الطريقة غير المباشرة لمكافحتها، ولكن هناك أيضاً طريقة إيجابية مباشرة تكمن في توجيه الفكر نحو عادة طيِّبة والعمل على تنميتها حتى تصبح جزءاً من حياتك يمكن الركون إليه والاعتماد عليه.

* واعلم. . أنَّ ذوي الخُلق القويم هم عادة أسعد الناس. فهم لا يدينون أحداً على مضايقات ومشاكل تحصل لهم، بل يعزونها إلى أنفسهم ويعتبرون أنَّهم هم المسؤولون عنها شخصياً.

هم يدركون جيِّداً أنَّ ما من أحد له القدرة على إسعادهم أو تكديرهم ما لم يسمحوا لأفعال وأقوال الآخرين وأفكارهم بالتأثير عليهم سلباً أو إيجاباً.

يجب أن تحيا بكل أفكارك ومشاعرك وبصيرتك وأن تكون يقظاً ومتنبهاً لكُلِّ ما يدور حولك، تماماً كالمصوِّر البارع الذي يتحيَّن أنسب الفرص لالتقاط أروع الصور لأبهج المناظر.

* سعادتك الحقيقية تكمن في استعدادك الدائم للتعلُّم والتصرُّف السليم والمحترم، وكُلَّما قوَّمت نفسك كُلَّما ساعدك ذلك في ترقية الآخرين من حولك وإسعادهم.

قلائل هم الذين يحللون أوضاعهم ويقررون ما إذا كانوا يتقدمون على الطريق أم يتراجعون للخلف.

ونحن ككائنات بشرية مزوَّدة بالإدراك والحكمة والفهم واجبنا الأكبر توظيف حكمتنا ومدركاتنا بطرق صحيحة حتى نعرف ما إذا كنَّا نتقدَّم للأمام أو نعدو للخلف.

وإن داهمنا الفشل على نحو متكرر فيجب أن لا نيأس ولا نفقد الأمل، الفشل يجب أن يعمل كمحفِّز لا كمثبِّط لنمونا المادي والرُّوحي. . حقاً إنَّ فصل الفشل هو أفضل وأنسب المواسم لغرس بذور النجاح، يجب اجتثاث الفشل من الجذور وحرث حقول الحياة بهمَّة وعزيمة وزرعها ببذور الخير من أجل جني محصول وفير بعونه تعالى الذي لا يضيِّع أجر العاملين. . و﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصَّافات: ٦١]! يجب عدم التفكير بالخسارة والفشل. . بل تجديد المحاولة المرَّة تلو الأُخرى مهما كانت المحاولات الفاشلة كثيرة ومريرة.

كما ينبغي الموازنة ما بين الطموحات المادية والأشواق الرُّوحيَّة، دون السماح لأحدها بأن يطغى على الآخر.

ما من إنسان روحاني بحيث يمكنه الاستغناء عن النجاح المادي، وما من إنسان مشاغله المادية متراكمة لدرجة تصدّه عن التفكير بالله وتخصيص الوقت اللازم للتأمُّل والخدمة والواجبات الرُّوحيَّة.

الفاشل المزمن لم يتعلم بعد دروس الحياة. . والرُّوحاني الأناني يُعاقب نفسه بفقدان التوازن العقلي بسبب تجاهله للحياة المادية، يجب أن لا نكون وحيدي الجانب. . بل ينبغي موازنة فعالياتنا وإعطاء أعمالنا وواجباتنا الأولوية، بحسب أهمية كل نها. .

لدى كل إنسان قدرات كامنة لم يستثمرها بعد، ولديه كل القوى التي يحتاج إليها، العقل بحدِّ ذاته هو قوَّة عظمى. . ويجب تحريره من العادات والمفاهيم المقيَّدة البالية.

إنَّ تأثير الكواكب والنُّجوم على حياة البشر ناجم عن القوى المتداخلة من جذب ودفع بين الكواكب وأجسام البشر.

الأفكار الشريرة تقود صاحبها إلى بيئة شريرة كي يعبّر عن ذاته

حسبما يشتهي ويريد، لكن الإنسان يمكنه تغيير كره ووعيه بقوَّة الإرادة، ويمكنه بالتالي تغيير بيئته، أما إن بقي الشخص في بيئة شريرة لفترة طويلة فإنَّ تلك البيئة تبدأ بالتأثير عليه بصورة لا شعورية.

ومع مرور الأيام يخسر كلياً حريته في اختيار بيئة سليمة وصحية ويصبح رهن المؤثرات السلبية للبيئة السيِّئة.

أمَّا صاحب الإرادة القوية فيتوافق مع الله.. ولا ينتظر حتى تتفضَّل عليه الكواكب والنُّجوم بابتساماتها.. بل يتابع مسيرته كالشهاب الثاقب، غير متأثر سور بنجم الله الهادي.. الذي هو شمس الشموس.. وربّ الناموس والنُّفوس.

الكنز الداخلي

أحبَّتي. . أعزائي. . رسالتي لكم اليوم عن سبب ألمنا وبؤسنا وأقولها باختصار ودون تردُّد. . إنَّ سبب معاناتنا لأنَّنا نسينا أنفسنا، نسينا عالمنا الداخلي. . وصار كل ما هو خارجك عالمك وحياتك كلها. . وهذا تماماً كإنسان يقف على رأسه وقد نسي كلياً كيف يقف على قدميه.

وحين تقف على رأسك ستكون حياتك صعبة حقاً. . إذا أردت الذهاب إلى مكانٍ ما. . أو فعل شيءٍ ما. . كل شيء سيصبح صعباً جداً أو مستحيل تقريباً. . فكيف ستنجز أعمالك وأنت تقف على رأسك.

وهذا هو ما يحدث. . البشر مقلوبون رأساً على عقب. . فالخارج صار أكثر أهمية من الداخل. . كل الاهتمام أصبح نحو الخارج وما في الداخل قد أهمل وصار منسياً. .

الكنز الحقيقي موجود في الداخل. . من الخارج بمقدورك فقط أن تحصل على الإشارات نحو الكنز في الداخل. . ستجد فقط أسهماً تشير نحو صميم أعماقك. . في الخارج لا يوجد سوى دلالات. .

لكن لا تتعلق بالإشارة. . وتنسى البشارة. . لا تظن بأنَّها الهدف وأنَّك قد وصلت.

تذكَّر أنَّ الشخص العادي يعيش حياة شاذة جداً. . لأنَّ قيمه مقلوبة رأساً على عقب.

المال أهم من التأمُّل والحال. . المنطق أهم من الحب والجمال.

الأُمور المادية الفانية أهم من إيجاد الكنوز التي لا يفنيها حتى الموت. .

الأشياء كلها مقلوبة ومشوشة. . ولهذا يوجد الكثير من البؤس والتعاسة.

وكان الجميع يركضون خلف سراب وظلال. . وهم يعلمون جيداً بأنَّه لا شيء منها سيحدث.

لكن ما العمل؟ الوقوف جانب الطريق والناس يركضون مندفعين يبدو سخافة وجنوناً. . من الأفضل أن تجري مع الحشود!

عزيزي. . دع هذه الكلمات ترسو في أعماق قلبك:

ما لم يصبح العالم الداخلي أهم من الخارجي، ستبقى تعيش حياة شاذة جداً.

الإنسان الطبيعي هو الذي يكون باطنه هو المنبع والمصدر لكُلِّ ما يفعله.

كُلُّ شيءٍ خارجه هو مجرَّد وسائل مساعدة لتحقيق الشيء الداخلي.

ومن العالم الداخلي سوف تنبع الثقة بنفسك، وبالعالم، وبالخالق. . ستجد أنَّ ثقتك به تصل إلى درجة التوكل، فتوكل حياتك كلها إليه، فهو من سيديرها ومن سيهتم بها. . فقط اجتهد واعرف ما بداخلك. .

هل سألت نفسك يوماً.. كيف نصدر أحكامنا على أيٍّ شيء ونحن لا نحيط به علماً؟

إذا كنت لا تعرف البحر.. كيف تقول إنَّه مخيف.. أو أنَّه جميل وساحر؟

إذا كنت لا تعرف الشمس كيف يمكنك الجزم بحرارتها ودفئها؟

وهكذا نحن.. دائماً وأبداً نستمر بإطلاق أحكام مسبقة على كُلِّ الأشياء في الحياة.. وحتى على الأشخاص من حولنا وعلى تصرفاتهم.. كل شيء ندفعه إلى متاهة الفكر الأعمى داخلنا.. أجل الأعمى.. لأنَّنا لا نعرف.. لا نعرف الآخر.. كيف نعرفه إن كنَّا لا نعرف حتى أنفسنا؟.. الأب لا يعرف أولاده وكذلك الأُمّ.. الزوجة لا تعرف زوجها.. حتى الصديق لا يمكنه إدراك كيان وأعماق صديقه.. وهكذا.. لا يمكننا أن نعرف نوايا الآخر أو هواجسه.. فكره الذي يعمل في اللاوعي.. إن كان ذلك فعلاً، فكيف يمكننا تسمية الأشياء بالصحيحة والخاطئة؟

لماذا هذه الانفعالات والمشاعر السلبية والإيجابية تجاه أُمور ظاهرة خادعة؟.. احتفظ بمشاعرك ووفرها لنفسك!

إليكم أحبَّتي هذه القصة الجميلة..

كان هناك عاشقان.. يركبان زورقاً في إحدى البحيرات الجميلة.. فجأة حدثت عاصفة وبدأ القارب يموج.. وكانا بعيدين عن الشاطىء.. وهنا بدأ الخوف يتسلل إلى قلب الفتاة.. فيما بقي الشاب هادئاً مطمئناً.. استغربت محبوبته.. فبادرته السؤال قائلة: ألست خائفاً؟ العاصفة تشتد ونحن بعيدون عن الشاطىء!

وهنا استل الشاب وبهدوء سيفه من الغمد ووضعه على رقبة حبيبته حتى كاد يلامس نحرها وسألها: ألست خائفة؟ وهنا ضحكت الفتاة وقالت بثقة: «كيف أخاف من السيف وهو بيدك طبعاً لست خائفة، لأنَّني أثق بمحبتك وأنَّك لن تؤذيني»..

وهنا أعاد الشاب السيف إلى الغمد وقال لها: هذا هو الجواب، عندما توجد الثقة يختفي الخوف.. الثقة لا تترك سوى الاستسلام للمشيئة الكونية.. مشيئة المحب.. التي ستصل بنا دائماً إلى برٍّ الأمان.. أنا أثق بالله.. بالطبيعة وبخالقها.. لن يؤذيني لأنَّه يحبني.. إن اشتدت العاصفة ومتنا فهذا هو الأفضل لنا.. وإن نجونا.. فهذا الأفضل لنا كذلك.. هو من يعلم.. هو من يعرفني ويعرفك ويعرف كل شيء.. هو من يحب.. ومن يرحم.. هو المحبة والرحمة.. إذن لتكن مشيئته.. لأنَّ مشيئته هي الحق.

المعاناة والأحزان

أحبَّتي.. أعزائي.. أنتم تعتقدون أنَّكم تعانون من مشكلة كبيرة مع الحزن، مع الإحباط، مع الغضب، مع القلق، مع المعاناة والبؤس والشقاء.. وتريدون الفرار منها.. الفرار بعيداً جداً.. أنَّكم تريدون منها الخلاص، وتعتبرون أنَّ هذه مشكلة تنغِّص عليكم حياتكم.. تعتبرون هذه مشكلتكم الرئيسية.. أليس كذلك.

ولكنِّي أُعلِّمكم طريقة هي أفضل بكثير من الفرار.. تعلَّموا فن العيش معها.. ما من طريقٍ متاح وما من دربٍ أمامكم مفتوح حتى تلوذوا بالفرار.. إنَّها الأرض التي تقف عليها الحياة حتى تَكتمل وتنمو وتَسمو، إنَّها تحديات الحياة، تقَبلوها جميعاً ولا تحاولوا الهرب منها. إنَّها النِّعمة ترتدي ثوب المحنة فتذكَّروا من يختبىء في الداخل ولا يستغفلكم الرداء.

لا بُدَّ أن تعلموا أنَّ المشاكل تولد حينما ترغبون بالخلاص منها، عندما تفكِّرون بالهرب بعيداً عنها، والسبب يكمن في أنَّ الهارب من شيءٍ ما لن ينظر في عيونِ ذلك الشيء مباشرة أبداً، لن يلاقيه وجهاً لوجه حقاً، هكذا يبدأ ذلك الشيء بالاختباء منه حيث أنَّه لا يريد أن يراه، هكذا يبدأ ذلك الشيء بالسفر بعيداً وعميقاً في أودية اللاوعي المظلمة.. هكذا يختبىء في أكثر زوايا الكيان ظُلمة حيث محال أن

تتضح الرؤية فلا يمكنك إيجاده بتاتاً، آخر غرفة داخل الكيان، الغرفة الملجأ داخل الكيان هي ملاذ ذلك الشيء ومخبأه، تراه كُلَّما أبحر داخل الكيان عمقاً، خلق مشاكل أكبر وأعظم حجماً، حيث إنَّه بدأ يعمل ويتمدَّد من قلب الزوايا المجهولة، من داخل الغرف المهجورة في أروقَة الكيان فيغدو الإنسان في مواجهته عاجِزاً ضعيفاً لا حيلة له.

لذا، فأوَّل ما تتعلمونه هوأن لا تكبتوا هذه الحالات والأحوال، هذه المشاعر أجمع، أبداً. مهما كان الحال اقبلوه، لأنَّه ببساطة هو الحال.. هكذا هو الحال، اقبلوه ودعوه يأتيكم فيواجهكم ويلاقيكم.

إنَّ عبارة لا تكبتوا هذه الحالات والأحوال هي عبارة ليست بكافية، فإن سمحتم لي، سأقول لكم أكثر من هذا.. أقول لكم صادقوا هذه الحالات والأحوال.. هذه المشاعر والأحاسيس.

أتشعر بالحزنِ الآن؟ صادق حزنك وصاحبه، امنحه رحمة وكأنَّك تهديه وردة، للحزن أيضاً كيان، فلتسمح له بأن يكون.

رحِّب به، عانقه واجلس معه، ضع يديك في يديه، كُن ودوداً، كن محباً عطوفاً سموحاً معه.

إنَّ الحزن جميل، لا شيء في الحزن سقيم، من ذا الذي أخبرك بأنَّ في الحزنِ ما لا يليق؟ الحقيقة تقول بأنَّ وَحده الحزن يمنَح الإنسان بعداً ويهديه عمقاً، ويبقى الضحك سطحياً، والسعادة عشوائية لا عمق فيها ولا أبعاد لها، أما الحزن فيغزوك متوجهاً نحو العظام، نحو اللب مباشرة في القلب، لا شيء يبحر في بحور الكيان أعمق من الحزن.

لا تقلق إذاً، صادق الحزن وابقى معه ولسوف يصبح حزنك شراعك يوجه سفينتك إلى الكنز الذي بداخلك.. إلى لب قلبك، إلى أصلك، إلى مصدرك، سيغدو بإمكانك امتطاء حزنك لتتعرف على

بضعة أشياء جديدة تتعلمها عنك، عن كيانك. . أشياء لم تعرفها من قبل. . أشياء ما خطرت على بالك من قبل، أشياء لا تتجلَّى ولا تكشف عن نفسها إلَّا في حال الحزن وحده، أشياء يستحيل أن تبوح عن نفسها في حال الفرح والسعادة.

أحبَّتي. . إنَّ من يقدر على الصبر برفقة الحزن. . إنَّ من يحزن بصبر، لسوف يلاقي ذات يوم سعادة تشق طريقها متصاعدة من أعماق قلبه، سعادة مصدرها من أعالي السَّماء حيث القوَّة المطلقة لربِّ السَّماء. . هي هديتك وهبة الجليل لك إن طال صبرك على حزنك. . إن كنت حزيناً بحق. هي هديتك وهبة الوجود لك لو كنت يائساً فاقداً للأملِ بحق. . لو كنت محبطاً، بائساً تعساً، لو عشت في جحيم. . عندها يكون النعيم هديتك، قد دفعت الثَّمن.

لذا أحبَّتي. . واجهوا الحياة، قابِلوا الحياة وجهاً لوجه، وإنَّكم ملاقون على دروس عيش الحياة الصعب من اللحظات، إلَّا أنَّكم سوف تجدون أنَّ الصعب من اللحظات قد التقاكم لأجل أن يمنحكم قوَّة، قد أهداكم قوَّة لأنَّكم واجهتم هكذا لحظات، قدر الله لهذه الأوقات الصعبة أن تكون، وقدر لكم أيضاً أن تواجهونها اوبها تلتقون، لحظات صعبة هي، قاسية وأنتم فيها تعبرون. عاجلاً أم آجلاً سوف ترون أنَّها كانت سبيلكم الذي هداكم إلى وِحدتكم من داخلكم وتوحدكم، بدونها ما كنتم لتجدوا مركزاً، شاهداً ساكناً. . أرضاً صلبةً في داخلكم.

عبروا عمَّا به تشعرون ودعوا التعبير يكون رفيق دربكم في الحياة، حتى وإن قدر لكم أن تعانوا بسبب ما تعبرون عنه وبه تبوحون، فلتعانوا، لن تكونوا من الخاسرين أبداً، هذه المعاناة ستكون دافعكم لأجل مزيد من الاستمتاع بالحياة، مزيد من الاحتفال بالحياة.

الولادة الحقيقيَّة

منذ أن ولد الإنسان وأصبح يدبُّ على وجه الأرض وهو أشبه بآلة ميكانيكية، لقد ولدته أُمّه بيولوجياً وليس روحياً. . الولادة الرُّوحيَّة لا تتم إلَّا بالمعرفة الشاملة، إلَّا بامتلاك المحبة والحقيقة. . إذن أنت لست بحاجة لمعلِّم يُعلمك كيف تولد ثانية وبإرادة منك. . أنت بحاجة لمن يعلمك كيف تدخل إلى ذاتك لتكتشف ما فيها من مكنونات وقدرات. . ومتى فعلت هذا تكون قادراً على خلق ذاتك مجدَّداً على أن تولد ثانية ليس بيولوجياً بل روحياً. . كل فرد قادر على فعل هذا إلَّا إذا اشتغل عن هذا الفعل بتفاهات الدُّنيا البالية. .

ليس مهماً أن تحاول، المهم أن تكون مثابراً على هذه المحاولة. . وحين تولد من جديد بمقدورك أن تجعل ذاتك أكثر التصاقاً بالنعمة الإلهيَّة، بمقدورك أن تكون متفاعلاً مع الوجود ومنفعلاً به.

بعد أن تولد ثانية عليك التسليم أنَّ الحياة جديدة أمامك وأنَّ عليك أن تصبح أكثر وعياً وإدراكاً، وكُلَّما تعمقت بالوعي اقتربت من النعمة ومن فيض النُّور الإلهي.

اشكر هدية الله تعالى:

الحياة هدية من الله تعالى كذلك الولادة والحب والموت هدايا،

إذا عرفنا كيف نكون شاكرين لله، فكل شيء يتحول إلى هدية، الآخرون يفتقون إلى الإحساس بالشُّكر، ومن الناس من يدين الآخرين دائماً ويتذمرون ويطلبون المزيد والمزيد. بينما النوع الأوَّل فقط، هو الذي يصبح ورعاً وشكوراً، على عكس الثاني الذي لا يستطيع ذلك، لأنَّهم اتكاليون ويظنون أنَّ الله يجب عليه أن يلبي كل طلباتهم، ولذلك يكفرون أحياناً. . إذا لم تلب طلباتهم، وهؤلاء يشعرون دائماً أنَّهم مكبوتون وأنَّ كل ما يحدث باطل ومخادع، إذ لا شيء يلبي طلباتهم ورغباتهم، لا شيء يملأ قلوبهم بالرِّضا، دائماً تحدث الأُمور الحسنة بعيداً عنهم، أنَّهم يعيشون في بؤس وشقاء لأنَّهم يحملون دائماً الشكوى والحقد ونكران الجميل، كما لو أنَّهم مبعدون عن شيءٍ ما.

التحول:

أيُّها الإنسان كن مع الحياة متحركاً ومتحولاً ولا تكتف بالنظر إلى ما يجري دونما اهتمام، بل بهدف التعرف على التحول الذي يصيب الأشياء ولا تكتف بما عرفت، بل ثابر على اكتساب المعرفة، هكذا ترى الأشياء واضحة.

مهما عرفنا يبقى هناك الكثير من الأشياء والأُمور التي عرفنا وتعرفنا عليها، ففي كُلِّ لحظة شيءٌ جديد، حتى أنا الآن لست أنا بعد الانتهاء من كتابة هذه الكلمة، أقول «الكلمة» وليس الكلمات، فالحياة مستمرة في التحول، ولا تتألف من الغموض، والله لا ينزل فيضه إلَّا بأولئك الذين هم قادرون على التحوُّل والراغبون في التعرُّف.

كن أنت نفسك:

كيف يمكننا أن نعرف ذاتنا الحقيقية؟! إنَّ عملية البحث عن الذات أشبه برحلة شاقة، إذ يجب علينا إسقاط جميع الأفكار الموروثة

عن أنفسنا، فالإنسان يجمع كل ما يقوله الناس عنه، ويجعله هويته، إنَّنا ننسى صفاتنا الأصيلة ووجهنا الحقيقي، ويصير هدفنا الحصول على إعجاب الناس وتقديرهم ورضاهم، وللأسف.. العالم الذي نعيش فيه ليس متحضراً كما يدَّعي، بل هو عالم بربري يمجد القوَّة والكرسي والمنصب التي غالباً ما تكون وحشية وظالمة ومناقضة.

إنَّ إنسان اليوم في حالة نفسية بائسة حقاً، معظم حواسه معطَّلة يعيش في حالة تجمّد، متشبِّث بعقائد جامدة تعيقه عن التواصل الحقيقي مع الناس عقائد جامدة فارغة من الرُّوح والحب، حتى حديث الناس مع بعضهم فارغ، إذ إنَّنا نصغي لبعضنا بدافع التهذيب وليس إصغاءً حقيقياً.. إصغاء عقل لعقل وقلب لقلب..

جازف لتكون حقيقياً.. فكل الوقت الذي عشناه باستخدام الشخصية الزائفة هو انتحار بطيء نمارسه على أنفسنا.

امتلاك الحقيقة:

حين يمتلك الإنسان الحقيقة الكاملة لا يعود بحاجة للكذب.. ولماذا الكذب؟ وما الذي يدفعه لعمل ذلك؟ الإنسان الذي يمتلك الحقيقة لا يعود يهتم بالأُمور الدنيوية ولا الناتجة عن امتلاك المال أو السلطة أو الكرسي أو الوجاهة.. لقد أصبح يعي أنَّ الحياة ليست هنا.. أصبح يعي أنَّ بيده مفتاحاً سحرياً يفتح له باب النعمة المحبة إذن كن جميلاً ترى الوجود جميلاً.. ترنم بكلمات الجمال وعبّر عن بهجتك وفرحتك، كما تعبر عن الطبيعة عن جمالها الآخاذ.

محبَّة الله عزَّ وجلَّ

نمِّ محبَّة الله فيك.. كُلّ الأشكال الأُخرى للحب ليست حباً على الإطلاق، لكنَّها روابط مؤقتة وزائلة، الجهل الأكبر في الإنسان أنَّه ينسى الله عزَّ وجلَّ، بل قد يتخذ له إله غيره ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] يجب على الجميع أن يدركوا أنَّ أرواحهم نفحة من الله، الكل من ذلك النُّور، وعلى كُلِّ إنسان أن يسعى ليقترب أكثر وأكثر من الله، تلك هي الممارسة الرُّوحيَّة الحقيقية.. يجب عليك أن تشعر أنَّ الله يسكن في قلبك، عليك أن تُنمِّي الرَّحمة في قلبك، فبدونها القلب مجرَّد حجر، تلك هي رسالة الأنبياء والرُّسل.. رسالة المحبة، المحبة هي الله، عش بالمحبة، ابدأ يومك بالحب، هذا هو الطريق إلى الله، فقط الشخص المفعم بالحب سيكون عزيزاً عند الله عزَّ وجلَّ.

الصوت الداخلي:

الصوت الداخلي هو اسم آخر للذكاء الوجداني، هذا الصوت الداخلي يُرشد الإنسان في تعاملاته وتصرفاته في الحياة، عندما تظهر المشاكل فإنَّه ينتظر توجيهات الصوت الداخلي، إذا لم تأتِ أجوبة مُرضية من صوته الداخلي، فلن يحصل على أي قناعة أو رضا في الحياة، بعبارة أُخرى، رضا المرء بالعالم الخارجي هو نتيجة لرضاه مع عالمه الداخلي، الذي يُمثِّله الصوت الداخلي، أحياناً تسمع الناس

يقولون: «ضميري ليس مرتاحا، أو ضميري لا يرضى عن هذا..». هنا، الضمير يشير إلى هذا الصوت الداخلي، فقط عندما تتبع ما يمليه عليك ضميرك تستطيع أن تصل إلى القصد والهدف الصحيح.. فإذا كان داخلك مفعماً بالسلام والحب والخير والبركة فسيكون صوتك الداخلي هو من يرشدك الطريق لأنَّ توجيهاته ستتأثر بذلك النُّور القابع فيك.

سيطر على حواسك:

السلام الحقيقي يُكسب بالسيطرة على الحواس، بتهدئة هيجان الفكر التي تتمايل كالأمواج، تسوية الاضطرابات والدوَّامات من الحب والكراهية، الحزن والفرح، الأمل واليأس، يتحقَّق السلام ويُصان، للحصول على السلام الحقيقي فإنَّ المحبة هي الوسيلة الوحيدة، وقود المحبة ينتج شعلة السلام الإلهيَّة، المحبة تؤدِّي إلى توحيد البشرية كلها، وجمع هذا لتوحيد مع المعرفة الرُّوحيَّة سيؤدِّي إلى السلام.

لذا يجب عليك أن تطرد أية أفكار سلبية وشريرة بداخلك، وهذا لن يتم إلَّا إذا اعتقدت اعتقاداً جازماً بأنَّك روح خالدة واعية ومدركة وليس هذا الجسد.

الأعداء الداخلية:

الأعداء الداخلية الستة: الرغبة، الغضب، الجشع، التعلقات (الروابط)، الكبرياء (الفخر) والحسد، يمكن اجتثاثها فقط باتباع تعاليم الأنبياء والأولياء الصالحين، محبة الله، المعرفة ومحبة الأتقياء، إنَّ قلب الإنسان الذي لا يسعى ليزرع الأفكار المقدَّسة في فكره سيكون بالتأكيد جثَّة للشَّر والفساد، ينبغي أن يؤخذ هذا الأمر بعين الاعتبار من أولئك الذين يتوقون للخلاص ولن يأمل الصعود إلى العظمة.

طهارة النفس والتوبة:

هناك طريقان يقودان إلى السَّماء، طريق الطهارة وطريق التوبة.

طهارة النفس هي الأبسط والأجمل، على هذا الطريق يسير كثير من الأطفال والذين يقلدونهم في الطفولة الرُّوحانيَّة المتضمنة البساطة، التسليم والألفة.

يحول الله عزَّ وجلَّ نظره نحو الطاهرين ويستعمل كُلَّ الوسائل لحمايتهم من الشَّر، إن كانوا يعملون حسب وصاياه فستزهر فيهم القداسة.

من خلالهم سيكون الصراع ضد الشَّر ثابت، أنَّهم يشبهون زهور الحقل الجميلة التي ببساطتها تُسبِّح الله وتُهلِّله، التي لا أحد يعطي لها قيمة، والتي يدوسها الكثيرون ويقتلعونها ويهملونها لأنَّها لا تظهر كما تظهر زهور الحدائق الجميلة المعطرة.

يُحبُّ الله الطاهرين الذين لم يلوثوا قلوبهم بأية خطيئة مميتة، والذين زرعوا حياتهم بالخير والمحبة، والذين وهبوا حياتهم للجميع.. لكن أنت من هؤلاء الطاهرين.

حدِّد أهدافك

الإنسان كائن عاقل في منتهى الذكاء والوعي، لكنَّه لا يعرف أين يُوجِّه عقله، لا يستخدمه الاستخدام الصحيح حتى عندما يعرف ما هو الصواب، وإذا سُئل من هو المسؤول عن هذه الحالة من الأحداث، فهو غير مستعد لقبول مسؤوليته الشخصية.

عليك أوَّلاً أن تملك فهماً واضحاً لطبيعة الهدف. الله أو الجوهر أو الحقيقة الكونية المطلقة، مهما يكن الاسم ـ عظمته، جلاله، إحسانه، جماله ـ، ثم ذلك الإدراك نفسه سيُلهمك ويدفعك باتجاهه، الكون الذي أنت جزء منه صافٍ نقي، أبدي وغير محدود، تَفكَّر وتأمَّل فيه والأبدية ستظهر نفسها أكثر وأكثر كل يوم.

ربَّما كدَّسْت ثروة طائلة، اكتسبْتَ ثقافةً واسعة ونِلْتَ الصحة والقوَّة. . لكن بالإضافة إلى كل ذلك، إذا لم تملك رؤية الحاكم الأعلى، والطموح لتبقى إلى الأبد في نشوة تلك الرؤية، فكل ما جمعته وكدَّسته لا يعدو شيئاً لا قيمة له.

لقد أعطي لك الجسد الإنسان لغاية كبرى. . وصوَّره الله في أبدع الصور. . والسؤال هنا، إذا كانت لديك سيارة مجهزة تجهيزاً كاملاً وبحالة جيِّدة، ستحتفظ بها في المرآب السيارة مخصصة بالدرجة الأولى للذهاب في رحلة. . استقلّها وانطلق، عندها فقط تستحق أن

تمتلكها، كذلك الأمر مع الجسد، استمر، امضِ قدماً باتجاه الهدف، تعلَّم كيف تستخدم قدرات الجسد، الحواس، الفكر والعقل لإدراك الهدف ومتابعة المسير بثبات، هذا الجسد أعطي للإنسان ليقوم بالأفعال الجيِّدة والصالحة.

من بين كل الكائنات الحية حياة الإنسان هو الأنْدر، لا تعتبر نفسك وضيعاً وغير مستحق، حياة الإنسان يجب أن تُسلِّم لله، للأسف الإنسان يرجع إلى الوراء إلى مستوى الحيوانات، إنَّه في عجلة معكوسة الدوران، يجب ألَّا تستخدم هذا الدوران المعاكس، طبِّق نظام الشد الأمامي وتقدَّم بثبات، ـ تابع سيرك إلى الأمام، عليك ألَّا تتوقف في مسيرك للأمام عند أيِّ نقطة ـ حتى تصل إلى هدفك، غايتك، يوجد محطة واحدة فقط، تلك هي طريق السفر عبر هذه الحياة، أنت في رحلة حجّ في ميدان العمل، يجب عليك أن تبلغ هدفك وتُحقِّق التزاماتك، هذه هي الغاية الحقيقية للحياة.

فوائد الانضباط:

الطيور والحيوانات وبدون أي أثر للمعرفة أو التعليم تتبع نظامها بكُلِّ صدق، بينما الإنسان مع كل ذكائه لا يتبع الحدّ الأدنى من الانضباط الذي تلتزم به هذه الطيور والحيوانات.

من أجل انضباط سليم، هناك متطلبات معيَّنة، ينبغي أن تحافظ على جسدك صافياً ونظيفاً، للمحافظة على الجسد نقيّاً عليك أن تلتزم بالأفعال الجيِّدة، من خلال التطبيق الجيِّد فقط يُنقَّى الجسم، تستطيع تنقية فكرك من خلال الأفكار الجيِّدة، عندما تنقي هذين الاثنين (الجسد والفكر)، سيصبح الذهن صافياً، هذه هي فوائد الانضباط.

الشباب.. فاكهة حلوة قدّمها لِلَّهِ تعالى:

الشباب مثل الفاكهة الحلوة، فاكهة قلبك وفاكهة عقلك يجب أن تقدّم لله تعالى، من الصعب أن تُفكِّر في الله في سنّ الشيخوخة عندما تفقد السيطرة على الحواس، ابدأ باكراً، انطلق متمهلاً، تصل آمناً، ينبغي أن تبدأ بالصلاة لله من هذا العمر الصغير الحسَّاس، إذا لم تبدأ بالصلاة الآن وجسدك قوي، متى سيكون عقلك حاضراً ومتى ستكون قدرتك على الرُّوحانيَّة في ذروتها متى سيكون الوقت أفضل؟

تماماً في هذا الوقت عندما تكون قوي الجسم، حواسك تحت السيطرة، عندما يكون عقلك مليء بالإيمان قدِّم زهرة قلبك لله، هذه هي التقدمة والهدية الصحيحة لله، لكنَّك لا تقوم بمثل هذه التقدمة ولا تقدم مثل هذه الهدية! إنَّك تنغمس في حواسك، تمضي كل وقتك في التَّمتُّع بكُلِّ الحواس، تركت توازن الحياة حتى لم تعد تقدم شيئاً لله، أنت تقدم تويجات زهرة حملتها الرياح بعيداً عندما تفقد كل الحواس قوتها، استطاعتها قدرتها وإمكانياتها ما الذي سيقدِّم لله عزَّ وجلَّ؟ عليك أن تخدم الله عندما تكون في ذروة القوَّة الجسدية، عندما تكون الحواس قوية، الفكر مستقر متوازن، التمييز صافٍ وأنت ممتلىء بالحكمة.

إذا لم تُسلم لله في هذا الوقت الصحيح فمتى ستفعل؟

ابدأ الآن!! وإلَّا فإنَّ الوقت سينقضي والعالم الجديد سيحل قريباً.

الحياة البشرية في منتهى القدسية

حياة الإنسان هي الأكثر قدسية بين جميع مخلوقات الله. . الإنسانية نقية، غير مدنَّسة، تتجاوز الصفات، هذه الحياة الإنسانية المقدَّسة لُوِّثت بالرغبات الشريرة، وهكذا يُدَنِّس الإنسان الولادة البشرية نفسها، ولادة الإنسان هي الأندر بين جميع الكائنات الحية، الله خلق كل شيء في هذا الكون، من أصغر شيء إلى أكبر شيء (الكون بأكمله)، إذا لماذا أعطى أهمية قصوى لحياة الإنسان وحدها؟ الإنسان فقط يمتلك قدرات معيَّنة لا يملكها أي كائن حي آخر.

لماذا خلق الله الإنسان؟ على المرء أن يفتش من خلال التجربة الداخلية لهذا الأمر، حياة الإنسان ستصل للكمال (الرِّضا) عندما يُدرك غاية الولادة البشرية، جسد الإنسان مُنح لخدمة الله، لا لتلبية الحاجات الأنانية، جسد الإنسان هو أولى وسائل تحقيق الحق، الاستقامة، التعامل الأخلاقي، لقد أعطى الله الجسد للإنسان ليخدم أخيه الإنسان لكنَّه نسي واجبه الأساسي في خدمة الآخرين.

في مرحلة الطفولة ينغمس الإنسان في اللعب والمرح، في الشباب يستسلم لإغراءات المتع الحسِّيَّة، في منتصف العمر يمضي كل وقته في تكديس الثروة، في سن الشيخوخة بدلاً من التأمُّل والتفكُّر في الله يعيش حياةً من السخط والاستياء، غير قادر على التخلِّي عن عاداته

السيِّئة، لا يملك القوَّة والتشوق ليتبع طريق التفاني، أصبح محاصراً في مستنقع من الفعل وردّ الفعل وفي النهاية يلقى حتفه.

هذه ليست الطريقة التي يجب على المرء أن يضيع حياته بها، الحياة التي أعطاها الله بحب وأمل عظيمين.

تحت كل الظروف على المرء أن يكون مستعداً لاستغلال أية فرصة تأتي في طريقه لخدمة الآخرين، حياة الإنسان يجب أن تفيض بالمثالية، هذا هو التَّفرُّد في الحياة البشرية، لكن إنسان اليوم يعيش حياة وحش في غابة، إنَّه لا يُفكِّر ولا حتى لحظة واحدة.

ما الغاية، ما الأصل أو الهدف من حياة الإنسان؟ أيُّها الإنسان، فكِّر قليلاً ما إذا كنت أحرزت السعادة بنسيانك الله والكفاح المتواصل من الفجر إلى الغسق لتدبُّر وسيلة العيش.

لمصلحة من أنت تعيش؟ افهم هذا وستعرف غاية الحياة.

لماذا تتجلَّى بركة الله وأنواره في الوجود؟ إنَّها تتجلَّى لتهدي الإنسان إلى الطريق الصحيح.

عند الولادة يكون الإنسان نقياً تماماً ومقدَّساً، لكن مع نموّه، يفقد قيمه الإنسانية بسبب رغباته المفرطة والارتباط بالعلاقات الدنيوية، إنَّ قدسية الولادة البشرية عظيمة جداً، اليوم أصبحت القيم الإنسانية منقرضة (غير مستعملة) يجب على الإنسان أن يبقى نقياً كما كان وقت ولادته. . مثلما فقد الذهب (النقود) نقاءه على مدى فترة من الزمن الإنسان أيضاً فقد القيم الإنسانية، الرغبات المفرطة هي المسؤولة عن تدنِّي القيم الإنسانية في الإنسان، باعتبارك ولدت كإنسان يجب عليك ممارسة القيم الإنسانية.

الجسد مخصص لممارسة الحق، الفضيلة، الاستقامة، لكن الإنسان نسي هذه المبادىء وانغمس في أعمال أنانية، لا أحد يستطيع الهروب من نتائج أفعاله.

أيُّها الإنسان، لا تبنِ قصوراً في الهواء، ليس من الممكن أن تزرع نوعاً معيَّناً من البذور وتجني ثماراً من نوع مختلف، أنت تجني ما تزرع.. فلا أحد يزرع حنظلاً وينتظر ريحاناً..

أنتم جميعاً تمشون على طريق الحقيقة، العالم كله واحد، احترم جميع المعتقدات والأديان والمذاهب على حدٍّ سواء، فالعالم نسيج مترابط كسيمفونية واحدة متناسقة ومتوازنة، عندما تكون الخيوط في تناغم سيكون العالم سعيداً.

فوائد التأمُّل

عندما نمارس التأمُّل لعبض الوقت لوحدنا، قد نجد أنفسنا نتساءل، لماذا أفعل هذا على أية حال، خصوصاً إذا شعرنا أنَّنا نتقدَّم بشكل بطيء، في لحظة كهذه يجب علينا أن نذكِّر أنفسنا بأهم الأسباب والفوائد التي نجنيها من الممارسة المستمرة، والتي تتمثَّل في:

١ ـ بناء الوعي الذاتي:

إنَّ أبسط تعريف للتأمُّل هو بناء الوعي الذاتي الذي من غيره لا يمكنك معرفة ما تقوم به من الأخطاء المرتبطة بالأفكار والمشاعر في الواقع.. لا يمكنك حتى معرفة إن كانت مشاعرك وأفكارك نابعة منك أنت، أم أنَّها من تأثير الآخرين عليك ومن صنعهم.. عندما تتوهم أنَّ الآخرين مسؤولون عمَّا تشعر به فإنَّك ستتتعب نفسك كثيراً كما ستعتمد على مصادر خارجية لتحفيزك، ولتشعر بالرِّضا، وما تلبث أن تلعب دور الضحية!! إنَّ التأمُّل يرفع من وعيك الذاتي ومسؤوليتك الذاتية.

٢ ـ التحكم الذاتي:

في العالم الخارجي نميل إلى تعريف التحكم على أنَّه السيطرة على الأشياء والتعامل مع الناس والقضايا بحزم.. أما في العالم

الداخلي فالتحكم بالأفكار والمشاعر لا يأتي عن طريق السيطرة عليها أو الصراع أو محاولة إخفائها. . السيطرة الداخلية تحصل عند عمل العكس من هذا. . علينا إطلاق العنان لها وعدم مراقبة الأفكار والمشاعر، وهذه هي الخطوة الأولى في ممارسة التأمُّل الذي سيمنحك القدرة على أن تكون القائد والمسيطر على أفكارك ومشاعرك.

٣ ـ تحديد الموقف:

في عالم تكاد أن نركِّز فيه كُلّياً على العمل، من السهل أن ننسى أنَّنا كائنات بشرية أوَّلاً، وأنَّ لوجودنا على الأرض هدف سامي وعظيم. . فمن السهل أن ننسى أنَّ كل ما نقوم به ينطلق من وضع البداية فقلَّة منَّا من يعلم كيفية تحديد بدايته، ولكنَّنا جميعاً نعلم أنَّه إذا بدأنا يومنا بمزاج سيِّء لن نلتفت إن كان اليوم جميلاً، وسيبقى المزاج متعكِّراً وسيِّئاً طوال اليوم، ولكن بمجرَّد أن تصبح أكثر وعياً تجاه أفكارك ومشاعرك. . وعندما تتساءل عن الأسباب، وتستعيد السلطة في الاختيار والتحكُّم سيمكنك العمل على مستوى أعمق وبذلك تستطيع أن تُحدِّد موقفك.

كما يفعل عمَّال مناجم الفحم العميقة تحت الأرض. . فإنَّ التأمُّل يعطيك القدرة على العمل في مستوى أعمق من وعيك الخاص ومن هنا ستجد نفسك وصلت إلى السلام والمحبة والفرح الحقيقي الذي ينبع من الداخل ولا يعتمد على المؤثرات الخارجية.

٤ ـ التواصل من القلب:

الحياة مجموعة من العلاقات، والعلاقات عبارة عن تواصل، ونجاحنا ورضانا في هذه الحياة يعتمد إل حدٍّ كبير على مدى قدرتنا على التواصل مع الآخرين، إنَّ طرق تواصلنا معظمها مكتسبة من العالم

المحيط بنا وتأثيراته الخارجية كأبوينا ومجتمعنا ممَّا يجعل الكثير منَّا يجد صعوبة في التواصل من أعمال قلبه.. من القلب الحقيقي.

إنَّ ممارسة التأمُّل هو أساس المرحلة إلى القلب فهو يساعد على رؤية وفهم الحواجز الداخلية وكذلك العقبات والأعباء التي تحول بين تواصلك مع الآخرين بطريقة فعَّالة، كا يمنحك التأمُّل القدرة على كسر حواجزك الداخلية وشفاء قلبك في الوقت الذي تُحدِّده، وبالسرعة التي تشاء وعلى طريقتك.

التأمُّل هو رحلة وليس غاية كُلَّما مارسته بصبر ومثابرة فإنَّ تدرُّجك في التأمُّل يرتقي بك نحو الكمال.

٥ ـ سموٌ الشخصية:

سموٌ الشخصية يأتي عبر التأمُّل.. على الرغم أنَّ الناس يجدونه من الأُمور الصعبة إلَّا أنَّه يطور بصيرتك.. تبدأ برؤية الأشياء كما هي، وكامل حياتك تتغيَّر مع هذا النُّور الجديد، مع هذه الرؤيا الجديدة.. لا يمكنك تضليل أيٍّ كان لأنَّك الآن وعبر التأمُّل تدرك بأنَّك لست منفصلاً عن الآخرين.. لا يمكن أن تكون عنيفاً، لا يمكن أن تستمتع في أذية أحد لأنَّك الآن تعلم بأنَّ الآخر هو جزء منك، نحن جزء من نظام الكون، لسنا كيانات منفصلة على الإطلاق.

عندما يكون لديك سموّ يأتي عن طريق نزيه، لذا تذكر لا بُدَّ للتأمُّل من أن يكون مصدر الشخصية الحقيقية، يمكن للمرء أن ينسى كل ما يتعلق بشخصيته فقط ركِّز طاقتك على التأمُّل ومنه تبرز شخصيتك.. هي ليست شيئاً يوضع إلى جانبك، هي تأتي بصورة عفوية، وعندما تكون عفوية يكون لديها جمالها الخاص، وفرحها الخاص، وأُنسها الخاص.

قم بإعداد جدول لتحديد أوقات التأمُّل للسبعة أيَّام المقبلة واحرص على الالتزام به، وفي نهاية الأسبوع اكتب ما تشعر به وما اكتسبته من ممارستك للتأمُّل.

تأمَّل كلماتي.. ولا تجعل الحزن رفيقاً لك

لماذا يكون دائماً الحزن هو الرفيق.. لأنَّنا في حزننا نجد ذلك الأمان الذي يخدعنا بهدوئه، وفي حزننا نجد ذلك الانطواء الذي نختبىء في حضنه ليجعلنا نعتقد أنَّ في حناياه حناناً.. ولكن..؟!

هل جربنا أن نختبىء في حضن السعادة مرة لنشعر بعالمها..؟ وهل يمكن لهذا العالم أن يكون الصدق.. حتى يصبح الصديق والرفيق..

إنَّ الحزن عادة.. كما السعادة عادة.. اعتدنا الحزن لأنَّنا اعتدنا أن نكسب من حزننا، اعتدنا أن نحصل على كل أنواع العواطف ممَّن حولنا بل والأهم من نفسنا اعتدنا أن نحنو على نفسنا لأنَّها حزينة.. نشفق عليها لأنَّها حزينة.. ننطوي معها أكثر لأنَّها حزينة، ننطوي أكثر لننغلق أكثر ونغلق أكثر دائرة الوجود لنحوم من جود الموجود اللامحدود فينا..

إنَّ الحزن عادة، لأنَّه أسهل عادة.. أنت اليوم حزين وغداً ستكون حزيناً أيضاً فقط لأنَّك كنت البارحة حزيناً، فالحزن سيأتي بكُلِّ سهولة لأنَّك خلقت له أساساً واستمرارية.. واليوم الذي بعد غد، لن تُفكِّر حتى قبل أن تحزن.. فالحزن سيأتي وحده دون دعوة ودون سبب.. لأنَّك اعتمدت أن تحزن فقد صار رفيقاً مألوفاً لديك يدخل دارك دون أن يستأذن لأنَّك أنت سمحت له بذلك..

ولكنَّك لا تحب هذا الرفيق الذي تراه يدخل ويطيل المكوث ويصبح وجوده ثقيلاً يوماً بعد يوم. . وكم مرَّة أحببت أن تخرج منه وتخرجه منك، أن ترميه بعيداً، وتعيد الكرة في كُلِّ مرَّة ولكنَّك كنت تعود حزيناً كل مرة. .

لأنَّ الخروج من الحال ليس فقط بأن لا تحب البقاء فيه، أو أن تحب الخروج منه، بل حريتك من حالك هذا ستكون في لحظة وعي وإدراك عميقة بأنَّك لا بُدَّ لك من أن تفك أسرك من عادة طالما أسرتك. .

وفي لحظة الإدراك هذه يأتي القرار. ويأتي البديل والسبيل. . والسبيل لتغيير العادة. . هو عكس العادة، فإن اعتمدت أن تكون حزيناً. . حاول أن تكون سعيداً.

وهل هناك أحلى من هذه العادة. . عادة السعادة.

فكما اعتمدت أن تكون حزيناً اجعل من السعادة عادة. . إنَّها عادة صعبة ولا بُدَّ منها، فالسعادة يجب أن نذهب نحن إليها. . أن نخلقها خلقاً فينا، ولا بُدَّ أن يكون خلقاً حقاً حتى يحمل عالمه والنُّور معه.

أمَّا الحزن فهو من يأتي إلينا ودون أدنى جهد منَّا.

إنَّ في القديم دائماً أمان لأنَّنا اعتدناه، إنَّه يأتي بسهولة إليك فقد ألفته وألفك، ولكن الجديد غريب دائماً، مع أنَّ هذا الغريب يحمل كل الحب معه، فقط يحتاج لأن تمد يدك عالياً أكثر. وتفتح قلبك نوراً أكثر. . وتتنفس حباً أكثر.

تنفس. . وهل هناك أسهل من هذه الدعوة، فقط تنفس بعمق. . تنفس بوعي. . تنفس بحب، وستصبح دائماً السعادة عادة. .

إنَّ فينا طاقة الحب والنُّور فلم نحبسها في حزن وشجون؟ أطلق سراح النُّور فيك ولن تجد مسكنا لك إلَّا السعادة ولن تجد حضناً لك إلَّا السعادة.

وحالما تخرج من دائرتك التي أغلقتها بالحزن، وبمجرَّد إدراكك لهذا الخروج تكون قد أطلقت سراح طاقة كانت حبيسة عادتك، هذه الطاقة التي انطلقت تركت مكانها فراغاً لا بُدَّ له من ساكن جديد، وإلَّا ضعت وعدت للقديم.

فاستقبل ساكناً جديد وليكن دائماً عكس القديم.

كنت حزيناً.. فلتصبح سعيداً.

أخلق هذه العادة فيك، وأعد خلقها مرات ومرات.. وليكن خلقك لها أقوى من أيِّ رغبة في العودة للعادة القديمة فقط كن حاضراً دائماً، وعندما تجد نفسك تعود لعادة تحاول تركها.. فقط افعل شيئاً ما.

إن اعتدت أن تكون حزيناً، وعندما يبدأ الحزن يشدك لتغرق فيه.. قم وامش.. امش طويلاً دون أن تُحدِّد الهدف فقط، امش، امش بكيانك وليس فقط بجسدك، امش بعقلك وقلب وجسدك ونفسك.. كن واعياً لخطواتك ولتناغم هذه الخطوات مع نفسك امش طويلاً وشيئاً فشيئاً لن يتمكن الحزن منك.

إنَّ المشكلة ليست في الحزن نفسه، وليست في أيِّ حال سلبي نعيشه، ولكن المشكلة في قدرتنا على عدم العودة لمنغلق رسمناه بعقلنا وطاقتنا، المشكلة في الرغبة بعدم العودة لتلك العتمة الصغيرة ثانية..

إنَّ العادة أيّاً كانت أو مهما كانت، تحمل قوَّة كبيرة بداخلها وفي

كل مرة نكررها ونعيدها، نكون بذلك نشحنها بالطاقة من جديد، وتتضاعف قوَّتها أكثر فأكثر، حتى نجعلها نسيطر على العقل..

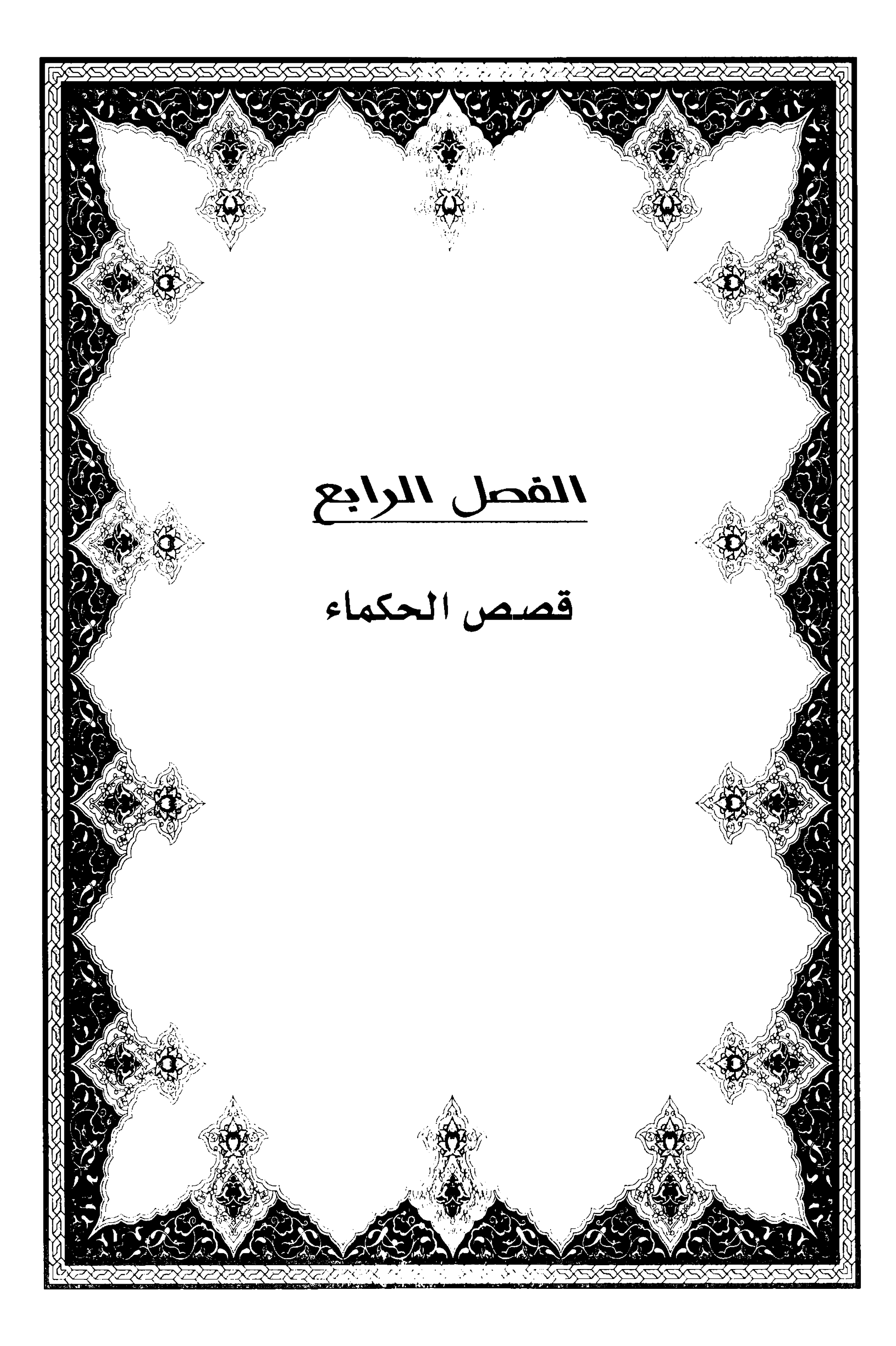
وحتى نترحر من أيِّ عادة فقط علينا أن نجردها من هذه الطاقة والقوَّة التي منحناها إيَّاها بإرادتنا، ولكي نجردها من هذه القوَّة علينا أن نخلق هذه الطاقة في فعل جديد كل مرة.. فالغضب لن يبقى غضباً إن استطعنا أن نتنفس عميقاً في كُلِّ مرة يسيطر فيها الغضب على عقلنا.. والحزن لن يبقى حزناً إذا استطعنا أن نخلق حالاً جديداً يأخذنا من حزننا في كُلِّ مرَّة، فالعقل لن يستطيع أن يعود بك إلى حال قديم إن خلقت الطاقة بفعل جديد كل مرة.

إن حزنت مش طويلاً.. إن حزنت قف تحت الماء واغسل حزنك بقلبك.. إن حزنت.. افرح.

وهل هناك أحلى من هذه الدعوة، فكما تفكرون تصبحون.. فكر حزناً وستجد الحزن رفيقاً دائماً..

فكّر فرحاً.. ستجد الفرح يأتيك أمواجاً.. وسيحملك إلى حيث عالم النُّور، إلى حيث تستطيع أن تحيا مع نفسك بأجمل سلام..

فلنجعل من السعادة عادة.. لأنَّ في هذه العادة مفتاح ألف سعادة وسعادة.



الفصل الرابع

قصص الحكماء

لقمان الحكيم

لقمان الحكيم أحد أعظم الحكماء الذين شهد القرآن الكريم بحكمتهم بتعبير صريح وبليغ قائلاً: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]، وسرد بعض تعاليمه الحكمية للأجيال اللّاحقة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ * وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٢-١٩].

سِرّ نيل لقمان الحكمة:

أهمّ ملاحظة في حياة لقمان، وأكثرها بعداً تربويّاً، هي السِّرّ الكامن وراء نيله الحكمة، وبعبارة أُخرى: ما الذي فعله لقمان في

حياته فمنَّ الله عليه بنعمةِ الحكمة؟ فلو كُشف عن هذا السِّر لغدا بميسور الآخرين أيضاً أن يُسخّروا طاقاتهم وجودهم لنيل نور الحكمة.

وتتلخَّص الإجابة الإجمالية عن هذا السؤال في أنَّ لنور الحكمة ـ وفقاً لمقتضيات السُّنَّة الإلهيَّة ـ مبادِئه الخاصَّة، وأهمّ هذه المبادىء هو: الإيمان، والإخلاص، والعمل الصالح، والزهد، وأكل الحلال. ومِن ألمَع الأقوال الجامعة لمبادىء الحكمة، قول منسوب إلى إمام الحكماء عليّ عليه السلام يقول فيه: «مَن أخلص لله أربعين صباحاً، يأكل الحلال، صائماً نهاره، قائماً ليله، أجرى الله سبحانه ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[1].

أمَّا الإجابة التفصيلية عن التساؤل الآنف ذكره بشأن لقمان، فقد أُشير في روايات مختلفة إلى أُمور متعدِّدة من مبادىء الحكمة، كالذي ورد في الحديث النبويّ الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «حقاً لم يكن لقمانُ نبيّاً، ولكن كان عبداً صمصامةً، كثير التَّفكُّر، حسن الظَّنِ، أحبَّ الله فأحبَّه، وضمن عليه بالحكمة، كان نائماً نصف النَّهار إذ جاءه نداءٌ: يا لقمان، هل لك أن يجعلك الله خليفةً في الأرض تحكم بين الناس بالحقِّ؟

فانتبه فأجاب الصَّوت، فقال: إن يجبرني ربِّي قبلت، فإنِّي أعلم إن فعل ذلك بي أعانني وعلَّمني وعصمني، وإن خيَّرني ربِّي قبلتُ العافية ولم أقبل البلاءَ.

فقالت الملائكة بصوتٍ لا يراهم: لِمَ يا لقمان؟

قال: لأنَّ الحاكم بأشدِّ المنازل وأكدرها يغشاه الظُّلمُ من كلِّ

---

(١) بحار الأنوار: ج١٣، ص٤٢٤.

مكانٍ ينجو ويُعانُ وبالحريِّ أن ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنَّة، ومن يكن في الدُّنيا ذليلاً خيرٌ من أن يكون شريفاً، ومن يختر الدُّنيا على الآخرة تفتنه الدُّنيا ولا يصيب ملك الآخرة.

فعجبت الملائكة من حسن منطقه، فنام نومةً فغُطَّ بالحكمة غطّاً فانتبه فتكلَّم بها، ثمَّ نودي داوود بعده فقبلها ولم يشترط شرط لقمان... وكان لقمان يؤازره بحكمته وعلمه، فقال له داوود: طوبى لك يا لقمان، أُوتيت الحكمة وصُرفت عنك البليَّة، وأُوتي داوود الخلافة وابتُليَ بالرَّزيَّة أو الفتنة»[١].

وجاء في رواية أُخرى: «وقف رجلٌ على لقمان الحكيم فقال: أنت لقمان أنت عبدُ بني النَّحاس؟

قال: نعم.

قال: فأنت راعي الغنم الأسود؟

قال: أمَّا سوادي فظاهرٌ، فما الذي يعجبك من أمري؟

قال: وطءُ الناس بساطك، وغشيِّهم بابك، ورضاهم بقولك.

قال: يابن أخي، إن صنعت ما يقول لك كنت كذلك.

قال: ما هو؟

قال لقمان: غضِّي بصري، وكفِّي لساني، وعفَّةُ مطعمي، وحفظي فرجي، وقيامي بعدَّتي، ووفائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيَّرني كما ترى»[٢].

---

(١) حكم لقمان: ص٤١.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٧.

ونقرأ في نقلٍ آخر: «قيل للقمان: ألست عبد آلِ فلانٍ؟

قال: بلى.

قيل: فما بلغ بك ما نرى؟

قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني، وغضُّ بصري، وكفُّ لساني، وعفَّة طعمتي، فمن نقص عن هذا فهو دوني، ومن زاد عليه فهو فوقي، ومن عمله فهو مثلي»[١].

وجاء في رواية أُخرى: «إنَّ رجلاً مرَّ بلقمان عليه السلام والنَّاس عنده، فقال: ألست عبد بني فلان؟

قال: بلى.

قال: الذي كنت ترعى عند جبلٍ كذا وكذا؟

قال: بلى.

قال: ما الذي بلغ بك ما أرى؟

قال: صدقُ الحديث، وطول السُّكوت عمَّا لا يعنيني»[٢].

وقال قطب الدِّين الراوندي في كتاب «لبّ اللباب»: «إنَّ لقمان رأى رُقعةً فيها بسم الله، فرفعها وأكلها، فأكرمه بالحكمة».

وأجمع كلمة تضمنت أسباب نيل لقمان للحكمة، هي ما قاله الإمام الصَّادق عليه السلام: «أما والله ما أُوتي لقمان الحكمة بحسبٍ ولا مالٍ ولا أهلٍ ولا بَسطٍ في جسم ولا جمالٍ، ولكنَّه كان رجلاً قويّاً في أمر الله، متورِّعاً في الله، ساكتاً، سكيناً، عميق النَّظر، طويل الفكر، حديد

---

(١) حكم لقمان: ص٤١.

(٢) المصدر نفسه.

النَّظر، مستعبراً بالعِبر، لم ينم نهاراً قطُّ. ولم يره أحدٌ من النَّاس على بولٍ ولا غائطٍ ولا اغتسالٍ؛ لشدّة تستُّره وعمق نظره وتحفُّظه في أمره.

ولم يضحك من شيءٍ قطُّ مخافة الإثم، ولم يغضب قطُّ، ولم يمازح إنساناً قطُّ، ولم يفرح بشيءٍ إن أتاه من أمر الدُّنيا، ولا حزن منها على شيءٍ قطُّ.

وقد نكح من النِّساء وولد له الأولاد الكثيرة، وقدَّم أكثرهم إفراطاً، فما بكى على موت أحدٍ منهم. ولم يمرَّ برجلين يختصمان أو يقتتلان إلَّا أصلح بينهما، ولم يمض عنهما حتى يحابّا، ولم يسمع قولاً قطُّ من أحدٍ استحسنه إلَّا سأل عن تفسيره وعمَّن أخذه. وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشى القُضاة والملوك والسَّلاطين، فيرثي للقضاة ممَّا ابتُلوا به، ويرحم الملوك والسَّلاطين لغرَّتهم بالله وطمأنينتهم في ذلك، ويعتبر ويتعلَّم ما يغلب به نفسه، ويُجاهد به هواه، ويحترز به من الشَّيطان، فكان يُداوي قلبه بالفكر ويُدواي نفسه بالعِبر، وكان لا يظعن إلَّا فيما ينفعه، فبذلك أُوتي الحكمة ومُنح العصمة»[١].

---

(١) بحار الأنوار: ج١٣، ص٤٠٩، ح٢.

قصص لقمان الحكيم

حكمة الصمت:

قال أنس: «إنَّ لقمان عليه السلام كان عند داوود وهو يسرُد الدِّرع، فجعل يفتله هكذا بيده، فجعل لقمان عليه السلام يتعجَّب ويريد أن يسأله، ويمنعه حكمته أن يسأله، فلمَّا فرغ منها صبَّها على نفسه فقال: نعم درع الحرب هذه، فقال لقمان: الصَّمت من الحكمة وقليلٌ فاعله، كنت أردت أن أسألك فسكتُّ حتَّى كفيتني»[1].

القلب واللِّسان:

عن خالد بن ثابت الرِّبعيّ: إنَّ لقمان كان عبداً حبشيّاً نجَّاراً، وأنَّ سيِّده قال له: اذبح لي شاةً. قال: فذبح له شاةً. فقال: ائتني بأطيِّبها مضغتين، فأتاه باللِّسان والقلب.

فقال: ما كان فيها شيءٌ أطيب من هذين؟ قال: لا، فسكت عنه ما سكت.

ثمَّ قال: اذبح لي شاةً، فذبح له شاةً، قال: ألقِ أخبثها مضغتين، فألقى اللِّسان والقلب، فقال له: قلت لك ائتني بأطيبها، فأتيتني

---

(١) مجمع البيان: ج٨، ص٤٩٦.

باللِّسان والقلب، ثمَّ قلت لك: ألقِ أخبثها مضغتين، فألقيت اللِّسان والقلب!

قال: ليس شيءٌ أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبُثا»[١].

رضى الناس:

وروي أنَّ لقمان الحكيم قال لولده في وصيَّته: «لا تعلِّق قلبك برضا النَّاس ومدحهم وذمِّهم؛ فإنَّ ذلك لا يحصل ولو بالغ الإنسان في تحصيله بغاية قدرته.

فقال له ولده ما معناه: أُحبُّ أن أرى لذلك مثلاً أو فعالاً أو مقالاً.

فقال له: أُخرج أنا وأنت، فخرجا ومعهما بهيمٌ فركبه لقمان وترك ولده يمشي خلفه، فاجتازا على قومٍ، فقالوا: هذا شيخٌ قاسي القلب، قليل الرَّحمة، يركبُ هو الدابَّة وهو أقوى من هذا الصَّبيِّ، ويترك الصَّبيَّ يمشي وراءه، إنَّ هذا بئس التَّدبير.

فقال لولده: سمعت قولهم وإنكارهم لركوبي ومشيك؟ فقال: نعم.

فقال: اركب أنت يا ولدي حتَّى أمشي أنا، فركب ولده ومشى لقمان فاجتازا على جماعةٍ أُخرى، فقالوا: هذا بئس الوالد، وهذا بئس الولد، أمَّا أبوه فإنَّه ما أدَّب هذا الصَّبيّ حتى ركب الدابَّة وترك والده يمشي وراءه، والوالد أحقُّ بالاحترام والرُّكوب، وأمَّا الولد فإنَّه قد عقَّ والده بهذه الحال، فكلاهما أساء في الفعال.

---

(١) البداية والنهاية: ج٢، ص١٢٧.

فقال لقمان لولده: سمعت؟ فقال: نعم.

فقال: نركب معا الدابَّة، فركبا معاً فاجتازا على جماعةٍ، فقالوا: ما في قلب هذين الرَّاكبين رحمةٌ، ولا عندهم من الله خيرٌ، يركبان معاً الدابَّة يقطعان ظهرها، ويحملانها ما لا تطيق، لو كان قد ركب واحدٌ، ومشى واحدٌ كان أصلح وأجود.

فقال: سمعت؟ قال: نعم.

فقال: هاتِ حتى نترك الدابَّة نمشي خاليةً من ركوبنا، فساقا الدابَّة بين أيديهما وهما يمشيان فاجتازا على جماعةٍ فقالوا: هذا عجيبٌ من هذين الشَّخصين يتركان دابَّةً فارغةً تمشي بغير راكبٍ ويمشيان، وذموهما على ذلك كما ذموهما على كُلِّ ما كان.

فقال لولده: ترى في تحصيل رضاهم حيلةً لمحتالٍ؟ فلا تلتفت إليهم، واشتغل برضا الله جلَّ جلاله، ففيه شغلٌ شاغلٌ، وسعادةٌ، وإقبالٌ في الدُّنيا ويوم الحساب والسُّؤال»[١].

كما تزرع تحصد:

وروى أنَّ سيِّده أمره أن يزرع له في أرضه السِّمسم، فزرع الشَّعير، فلمَّا دنا الحصاد، قال له سيِّدُهُ: لِمَ زرعت الشَّعير، وقد أمرتك بزرع السِّمسم؟

فقال لقمان: كنت رجوت من الله أن يُنبت لك السِّمسم.

فقال له سيِّده: هل يكون ذلك ممكناً؟

---

(١) بحار الأنوار: ج١٣، ص٤٣٣، ح٢٧.

فقال لقمان. أراك تعصي الله تعالى وترجو منه الجنَّة، فقلت: لعلَّ ذلك يكون، فبكى سيِّده فتاب على يده، فأعتقه[١].

الوصايا الثلاث:

وروى أنَّه أوصى ولده بثلاثة أشياء وقال: «يا بُنيَّ، لا تفش سرَّك بين يدي امرأتك، ولا تستقرض من جديد الكيس، ولا تؤاخ الشُّرطيَّ أبداً.

فلمَّا توفِّي لقمان أراد ابنه أن يُجرِّب وصيَّته، فذهب إلى السّوق، واشترى شاةً مسلوخةً، وجعلها في حوالق، فأتى إلى امرأته، وقال: إنِّي قتلت نفساً، وأدفنُها في بيتي، فلا تقولي لأحدٍ، فدفنها عندها.

فذهب إلى أحد جديد الكيس فاستقرض منه، وأوقع الصُّحبة مع شرطيٍّ.

فلمَّا مضت أيَّامٌ، تشاجر مع امرأته فضربها، فصاحت وقالت: قتلت رجلاً، وتريد أن تقتلني، فأخبرت الملك بذلك، فهرب إلى بيت الشُّرطيِّ، فلمَّا ذهب الشُّرطيُّ إلى الملك، ورأى المرأة عنده فقال له الملك: أين أطلبه؟ فقال الشُّرطيُّ: أنا أعرف مكانه لأنَّه صديقي، فذهب إليه ليأخذه، فقال له: سبحان الله أنت صديقي وقد التجأتُ إليك، قال الشُّرطيُّ: هذا دمٌ، أمر الأمير أشدُّ من أن أكتُمك عنه، فأخذ به يجرُّه إلى الأمير إذ وصل إليه صاحب الدَّين فتعلَّق به، وقال: لعلَّك تقتلُ أو تُصلب فأين مالي؟ قال: اصبر حتى أُخلِّص من أيديهم، فقال: لا أُوجِّلك حتى تقضي ديني أوَّلاً، فلمَّا دخل على الملك قال له الملك: يابن لقمان، ما كنت جديراً بهذا، فلِمَ قتلت نفساً من غير حلِّها؟

---

(١) محبوب القلوب: ج١، ص١٩٧.

قال: أعزَّ الله الأمير، أرسل أحداً حتَّى يحضر القتيل، ففتَّشوا وفتحوا رأس الجوالق، فأخرجوا شاةً مسلوخةً، فضحك الأمير، فقال: كيف الحالُ؟

فقال: إنَّ أبي أوصاني بثلاثة أشياء، فأردت أن أُجرِّبها فجرَّبتها، فكان كما قال»[١].

الخير فيما وقع:

عن سعيد بن المُسيِّب: قال لقمان لابنه: «يا بُنيَّ، لا ينزلنَّ بك أمرٌ رضيته أو كرهته إلَّا جعلت في الضَّمير منك أنَّ ذلك خيرٌ لك.

قال: أمَّا هذه فلا أقدر أن أُعطيكها دون أن أعلم ما قلت إنَّه كما قلت.

قال: يا بُنيَّ، فإنَّ الله قد بعث نبيّاً، هَلُمَّ حتى نأتيه فعنده بيان ما قلت لك.

قال: اذهب بنا إليه.

قال: فخرج وهو على حمارٍ، وابنه على حمارٍ، وتزوَّدوا ما يصلحهم من زادٍ، ثمَّ سارا أيَّاماً وليالي حتى تلقَّتهما مغارةٌ، فأخذا أُهبتهما لها، فدخلاها فسارا ما شاء الله أن يسيرا حتى ظهرا وقد تعالى النَّهار، واشتدَّ الحرُّ، ونفذ الماء والزَّاد، واستبطئا حماريهما، فنزل لقمان ونزل ابنه، فجعلا يشتدَّان على سوقهما.

فبينا هما كذلك إذ نظر لقمان أمامه، فإذا هو بسوادٍ ودخانٍ، فقال في نفسه: السَّواد سحرٌ، والدُّخان عمرانٌ وناسٌ.

---

(١) محبوب القلوب: ج١، ص١٩٨.

فبينما كذلك يسيران إذ وطىء ابن لقمان على عظم ناتىءٍ على الطَّريق، فدخل من باطن القدم حتى ظهر من أعلاها، فخرًّ ابن لقمان مغشيّاً عليه، فحانت من لقمان التفاتةٌ، فإذا هو بابنه صريعٌ، فوثب إليه فضمَّه إلى صدره، واستخرج العظم بأسنانه، واشتقَّ عمامةً كانت عليه فلاث بها رجله، ثمَّ نظر إلى وجه ابنه فذرفت عيناه فقطرت قطرةٌ من دموعه على خدِّ الغلام، فانتبه لها، فنظر إلى أبيه وهو يبكي.

فقال: يا أبت أنت تبكي وأنت تقول: هذا خيرٌ لي، كيف يكون هذا خيرٌ لي وأنت تبكي؟ وقد نفد الطَّعام والماء، وبقيت أنا وأنت في هذا المكان، فإن ذهبت وتركتني على حالي ذهبت بهمٍّ وغمٍّ ما بقيت، وإن أقمت معي متنا جميعاً، فكيف عسى أن يكون هذا خيرٌ لي وأنت تبكي.

قال أمَّا بكائي ـ يا بُنيَّ ـ فوددت أنِّي أفتديك بجميع حظِّي من الدُّنيا، ولكنِّي والدٌ، ومنِّي رقَّةُ الوالد.

وأمَّا ما قلت: كيف يكون هذا خيرٌ لي، فلعلَّ ما صرف عنك ـ يا بُنيَّ ـ أعظم ممَّا ابتُليت به، ولعلَّ ما ابتُليت به أيسر ممَّا صُرف عنك.

فبينا هو يحاوره إذ نظر لقمان هكذا أمامه فلم يرَ ذلك الدُّخان والسَّواد، فقال في نفسه: لم أرَ ثَمَّ شيئاً!؟ قال: قد رأيت، ولكن لعلَّ أن يكون قد أحدث ربِّي بما رأيت شيئاً.

فبينا هو يتفكَّر في هذا إذ نظر أمامه فإذا هو بشخصٍ قد أقبل على فرسٍ أبلق، عليه ثيابٌ بياضٌ، وعمامةٌ بيضاء يمسح الهواء مسحاً، فلم يزل يرمقه بعينه حتى كان منه قريبا فتوارى عنه ثمَّ صاح به فقال: أنت لقمان؟

قال: نعم.

قال: أنت الحكيم؟

قال: كذلك يُقال، وكذلك نعتني ربِّي.

قال: ما قال لك ابنُك هذا السَّفيه؟

قال: يا عبد الله، من أنت أسمعُ كلامك، ولا أرى وجهك؟

قال: أنا جبريل، لا يراني إلَّا ملكٌ مقرَّبٌ، أو نبيٌّ مرسلٌ، لولا ذلك لرأيتني، فما قال لك ابنُك هذا السَّفيه؟

قال: قال لقمان في نفسه: إن كنت أنت جبريل، فأنت أعلم بما قاله ابني منِّي.

فقال جبريل: ما لي بشيءٍ من أمركُما على أن حفظتكما، ائتيني، فقد أمرني ربِّي بخسف هذه المدينة وما يليها، ومن فيها، فأخبروني أنَّكما تريدان هذه المدينة، فدعوت ربِّي أن يحبسكما عنِّي بما شاء فحبسكما الله عنِّي بما ابتُلي به ابنُك، ولولا ما ابتُلي به ابنك لخسفت بكما مع من خسفت.

قال: ثمَّ مسح جبريل يده على قدم الغلام فاستوى قائماً، ومسح يده على الذي كان فيه الطعام فامتلأ طعاماً، ومسح يده على الذي كان فيه الماء فامتلأ ماءً، ثمَّ حملهما وحماريهما فزجل بهما كما يزجل الطَّير، فإذا هما في الدَّار التي خرجا منها بعد أيَّامٍ وليالي»[١].

تحديد المسير:

كان لقمان ذات يوم جالساً إلى جانب عين ماء، فمرَّ من هناك رجل فسأله: كم ساعة بقي لأصل إلى القرية التالية؟

---

(١) الدرّ المنثور: ج٦، ص٥١٤.

فقال له لقمان: سِر.

فظنَّ الرجل أنَّ لقمان لم يسمع كلامه، فأعاد عليه السؤال: ألم تسمع؟ سألتك كم ساعة بقي لأصل إلى القرية التالية؟

فقال له لقمان: سِر.

فظنَّ الرجل أنَّ لقمان مجنون، ومضى على سبيله. فلم يمشِ الرجل إلَّا بضع خطوات حتى صاح لقمان وراءه: ستصلها بعد ساعة.

فقال له الرجل: لماذا لم تخبرني بذلك منذ البداية؟

فقال لقمان: لأنَّني لم أرَ سيركَ، ولم أكن أعلم أسريع هو أم بطيء، فلمَّا رأيت سيرك علمت أنَّك ستصل إلى تلك القرية بعد ساعة».

ممَّن تعلَّمت الحكمة؟

قيل للقمان: مِمَّن تعلَّمت الحكمة؟ قال: من العِميان؛ لأنَّهم لا يضعون أقدامهم في محلٍّ حتى يختبروه».

وقيل له: مِمَّن تعلَّمت الأدب؟ فقال: مِمَّن لا أدب لهم، فاجتنبت كلّما استهجنته منهم».

لا تُعطى الحكمة لغير أهلها:

«أغار جماعة من قطَّاع الطريق على قافلة كانت تسير في أرض اليونان، فسلبوا كلّما تملكه من مال ومتاع، فناحت القافلة وأعولت وتشفَّعت بالله ورسوله فلم يجدها ذلك نفعاً.

وكان في القافلة لقمان الحكيم، فقال له أحد المسلوبين: ألا تُلقي يا سيِّدي على هؤلاء كلمات من الحكمة والموعظة، فعسى أن

يتركوا بيدنا بعض ما سلبوه منَّا، فوأسفا على هذه النعمة الوافرة التي تضيع سُدىً.

فقال له لقمان: ويا حسرة لكلمة حكيمة تُلقى على أمثال هؤلاء.

إنَّ الحديدَ متى أودى به صدأُ فليس بالصقل تبدو منه آثارٌ
لا يدخلُ الوعظُ قلباً مظلماً أبداً ولا يغوصُ بقلب الصخر مسمارُ[1]

(١) حكم لقمان: ص١٠.

سلمان الفارسي

وهو من أعاظم أصحاب رسول الله ﷺ، وكبار الحكماء وأصحاب السِّر، فعن الإمام علي عليه السلام: «سلمان الفارسي كلقمان الحكيم» وعنه عليه السلام: «سلمان منَّا أهل البيت، ومن لك بمثل لقمان الحكيم»[١].

وكان من حكمته الإعراض عن الدُّنيا والعمل للآخرة فكان يلبس الصوف ويركب الحمار ببرذعته بغير إكاف ويأكل خبز الشعير، وكان ناسكاً زاهداً، فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص: أوصني يا أبا عبد الله. قال: اذكر الله عند همّك إذا هممت، وعند لسانك إذا حكمت وعند يدك إذا قسمت، فجعل سلمان يبكي، فقال له: يا أبا عبد الله ما يبكيك؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ في الآخرة عقبة لا يقطعها إلَّا المخفون»، وأرى هذه الأساود حولي، فنظروا فلم يجدوا في البيت إلَّا إداوة وركوة ومطهرة»[٢].

ودخل قوم على سلمان وهو أمير على المدائن، وهو يعمل الخوص، فقيل له: تعمل هذا وأنت أمير يجري عليك رزق؟ فقال: إنِّي أحب أن آكل من عمل يدي»[٣].

---

(١) نفس الرَّحمٰن: ص٣٧٤.

(٢) خمسة من العرفاء: ص٩٤.

(٣) المصدر نفسه: ص٩٣.

من كلماته الحكمية

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال سلمان رحمة الله عليه: «عجبت بستّ، ثلاث أضحكتني وثلاث أبكتني، فأما التي أبكتني ففراق الأحبة محمَّد وحزبه، وهول المطلع، والوقوف بين يدي الله عزَّ وجلَّ، وأما التي أضحكتني فطالب الدُّنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملىء فيه، لا يدري أرضي الله أم سخط»[١].

---

(١) المصدر نفسه: ص١٠٣.

التزوّد للعالم الآخر

ورد في الخبر أنَّ (ذا القرنين) لما سار مع قومه طالباً عين الحياة، وصل إلى وادي الظُّلمات، فوطأ جماعته بأقدامهم شيئاً دون أن يعرفوا ما هو، فسألوه عنه، فأجابهم بكلام مجمل: «هذه الأرض من حمل منها شيئاً ندم، ومن لم يحمل منها شيئاً ندم..» فالبعض قال: طالما أنَّ العاقبة هي الندامة، فلماذا نحمل؟ والبعض الآخر قال: نحمل فلن نخسر شيئاً..

فلما صاروا إلى النُّور نظروا وإذا ما في أيديهم مجوهرات، فالذي لم يحمل ندم، والذي حمل أيضاً ندم، لأنه لم يحمل أكثر..

وهكذا نحن الآن، أشبه ما نكون في هذه الدُّنيا بوادي الظُّلمات، وعندما نخرج إلى عالم النُّور، إلى عالم الآخرة، ستنجلي الحقيقة أمام أعيننا، فالذي لم يعمل شيئاً لآخرته سوف يندم، والذي عمل سوف يندم أنَّه لماذا لم يقدم أكثر؟ وسوف يتحسَّر على ما فاته من رفيع الدرجات.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مَريَم: ٣٩].

كتم الأسرار

حُكي أنَّ شخصاً من أكابر العلماء كان في حضرة الشيخ أحمد الأحسائي وصار يتذاكرا في حديثٍ رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله [علَّم أمير المؤمنين ألف ألف باب من العلم، فقال]: «علَّمني رسول الله ألف باب من العلم، ينفتح من كُلِّ باب ألف باب» غير أنَّ الناس يقرؤون آية منها ولا يعرفون معناها، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[النمل: ٨٢]».

فسأل ذلك العالم الشيخ عن طريق استنباط تلك الأبواب من هذه الآية الشريفة.

ولمَّا كان الشيخ يعرف بالفراسة من قول النبي صلى الله عليه وآله: «اتقوا فراسة المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله»[(١)]. والتوسم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[الحِجر: ٧٥] عرفَ أنَّه ليس ممَّن ينشر عنده هذا العلم، أجابه وقال: قال أمير المؤمنين عليه السلام روحي له الفداء: «ما كل ما يعلم العالم يقدر أن يفسره، فإنَّ من العلوم يحتمل، ومنها ما لا يحتمل، ومن الناس من يحتمل، ومنهم من لا يحتمل»[(٢)]، فلم يقنع ذلك العالم، وألحَّ بمطالبة الجواب.

---

(١) الكافي: ج١، ص٢١٨.

(٢) نصّ الحديث في التوحيد: ص٢٦٧، ح٥، الباب ٣٦.

فقال له: قال مولانا الإمام الصَّادق عليه السلام: «ما كل ما يُعْلَم يُقال: ولا كُلُّ ما يُقال حانَ وقته، ولا كُلُّ ما حان وقته حضر أهله»[١] فلم يكتفِ ذلك العالم بما ذكر أعلى الله شأنه من الحديثين، وآثر بمطالبة الجواب، وفي كل يقينه واعتقاده أنَّ الشيخ لم يخيِّب ظنَّه، ويُنيل مأموله.

قال مولانا الشيخ له:

ومُستخْبِراً عن سرِّليلى أجبْتُهُ   بِعمياءَ مِن ليْلى بِلا تَعْيِينِ
يقُولُون خبِّرْنا فأنْتَ أمِينُها   وما أنا إن خبَّرْتهم بأمِينِ

فلم يكتفي ذلك العالم بما ذكره من البيتين، وأصرَّ بمطالبة الجواب.

فقال الشيخ: أنت لا تخلوا بين حالتين، إمَّا أن تعرفني حكيماً عالماً بصيراً بالأمور، عالماً بدقائقها وخفاياها، واضعاً كل شيء في موضعه، مؤدِّياً بالأمانات إلى أهلها، أم لا تعرفني حكيماً، بل جاهلاً عابثاً، فإن عرفتني حكيماً، فها أنا أقول لك: كُفَّ عن هذا السؤال، إذ لا مصلحة لك فيه، وإن لم تعرفني فلماذا تسأل الجاهل العابث؟

فسكت الرجل[٢].

العبرة:

العبرة من هذه القصة أنَّ الحكمة تقتضي أن لا تُعطى الأسرار إلَّا لأهلها، ولهذا ورد في الروايات الشريفة أنَّ الأئمَّة عليهم السلام كتموا الكثير من العلوم لأنَّهم لم يجدوا لها حملة.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٣، ص١١٥، الباب ٢٩.

(٢) شمس هجر: ص١٦٨.

السير إلى اللّٰه تعالى

القصة:

عن الشيخ أحمد الأحسائي أعلى الله مقامه أنَّه لقي في البصرة رجلاً من أصحاب الكمال ـ وكان حاكماً في البصرة ـ فالتمس الشيخ رضوان الله عليه منه التدريس في الحكمة، فامتنع من ذلك، واعتذر باشتغاله بأمر الحكومة.

فالتمس الشيخ رضوان الله عليه منه بعد ذلك أن يمنحه بكلمات كليات من الحكمة، تكون رسالة إلى المطالب الحكمية على سبيل الإجمال.

فقال: «لا تنظر إلى الحركات انظر إلى المحرِكات، لا تنظر إلى الأسباب انظر إلى المسبِّبات، إنَّ الحيوانات تسيرُ إلى الله في سلسلة الطول، والجمادات تسير إلى الله في سلسلة العرض ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النّمل: ٨٨]».

فقال الشيخ الأوحد رحمه الله «فانحلَّ بسماع تلك الكلمات من ذلك الرجل الكامل أكثر المشاكل التي كانت في بالي من المطالب الحكمية، وانفتح لي أبوابٌ من العلوم.

فسألته أن يرشدني إلى طريق السلوك إلى الله.. فقلت: كيف الوصول إلى الحق؟

فقال: ألْقِ الدُّنيا. فخرجت من مجلسه ولم يبقَ في قلبي شيءٌ من محبة الدُّنيا»[١].

(١) شمس هجر: ص١٦١.

حكمة الدُّعاء

كان أحد الأولياء مع أصحابه، فمرَّ بهم صبيان يضربون بالملاهي فقال له أصحابه: أما ترى هؤلاء يعصون الله، فادع عليهم، فرفع يده إلى السَّماء وقال: إلهي وسيِّدي كما فرحتهم في الدُّنيا أسألك أن تفرحهم يوم القيامة، فقالوا له: إنَّما سألناك أن تدعو عليهم لا لهم، فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدُّنيا ولم يضرّكم ذلك.

العبرة:

- ينبغي للداعية إلى الله أن يكون شفقياً على الناس محباً لهم.

- إذا دعونا للعصاة دخلوا الجنَّة وهو ما يفرح الرَّحمٰن، وإذا دعونا عليهم دخلوا النار وهوما يفرح الشَّيطان، فأيُّ الدُّعائين أفضل؟

الاتقان

يحكى أنَّ أمبراطور اليابان قبل مئات السنين أمر أشهر رسامي عصره برسم صورة لطير معيَّن فريد من نوعه، وتروي القصة أنَّ الأمبراطور انتظر شهوراً وسنوات دون أن يعود إليه الرسام ويجيب مطلبه، فغضب الأمبراطور وذهب بنفسه ليزور الرسام في متحفه ليسأله عن سبب تأخيره.

وعند وصول الأمبراطور أجلسه الرسام وأحضر لوحة بيضاء وبدأ يرسم الطير حتى انتهى من لوحته في وقتٍ وجيز، وكانت لوحة في قمَّة الإبداع والاتقان أذهلت الأمبراطور وحاشيته فأبدى تعجبه من سرعة ومهارة وإبداع الرسام ودقَّة اللوحة وعنايتها بالتفاصيل، ثم سأله الأمبراطور ما الذي أخَّرك عنَّا سنوات وقد قمت بالعمل أمام أعيننا في وقتٍ وجيز. . فلم يجب الرسام وإنَّما ذهب إلى مخزنه وأخرج مئات اللوحات وقد رسم فيها أجزاء مختلفة من الطير المذكور، فقد رسم الرأس والعينين والمنقار والرقبة والجناحين والأرجل والمخالب وحتى الريش ولم يترك جزءاً إلَّا ورسمه على حدة في لوحات عدة.

ووضع هذه اللوحات الواحدة تلو الأُخرى بترتيب أمام الأمبراطور الذي أومأ برأسه علامة الموافقة والرِّضا والإعجاب والامتنان.

أمَّا الحكمة اليابانية المتوارثة والمستوحاة من هذه القصة فهي: إنَّ

اتقان العمل بمجمله ما هو إلَّا محصلة اتقان كل جزء فيه.. والاتقان أساس النجاح.

فإذا أردت أن تحيا حياة ناجحة فاسع لأن يكون عامك ناجحاً.

وإذا أردت أن يكون عامك ناجحاً فاسع لأن يكون شهرك ناجحاً.

وإذا أردت أن يكون شهرك ناجحاً فاسع لأن يكون يومك ناجحاً.

وإذا أردت أن يكون يومك ناجحاً فاسع لأن تكون ساعتك ناجحة.

الحياة الناجحة المتقنة هي محصلة لحظات ناجحات متقنات.

والحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أولى الناس بها.

وإنَّ الله يُحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه..[١].

---

(١) آفاق من الحياة: ص٩٧.

الحكمة في توجيه النصيحة

روى أنَّه أتى رجل من البادية إلى النبي ﷺ يستنصحه فقال له النبي ﷺ: «لا تغضب».

وعندما رجع الرجل إلى قبيلته أُخبر بأنَّ بعض صبيانها سرقوا مالاً من قبيلة أُخرى فعوملوا بالمثل، فأسفرت النتيجة باصطفاف القبيلتين للقتال وإشعال نار الحرب، فلما سمع الأعرابي بهذا الخبر اضطرمت نار الغضب في داخله، فقام وطلب سلاحه والتحق بصف قومه. وبينما هو كذلك إذا بشريط الذكريات يتوالى في ذهنه فتذكَّر أنَّه ذهب إلى المدينة وطلب من النبي أن ينصحه، وكانت نصيحة النبي ﷺ له: «لا تغضب».

ساعتئذٍ ثاب الأعرابيّ إلى رشده ورجع إليه عقله، ففكَّر في نفسه: فيم الانفعال؟ ما هذا الاستعداد للحرب والقتال؟ وفيم الغضب من غير ما سبب؟ وإذا بنصيحة الرسول ﷺ تدعوه إلى نصح زعماء أعدائه فناداهم قائلاً: يا قوم علام هذا النزاع؟ إن كان لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعليّ في ما لي أنا أو فيكموه، فليس هناك من سبب للقتال وسفك الدماء.

فلما سمع زعماء القوم كلامه تحرّكت في نفوسهم الغيرة والشهامة

وقالوا: «فما كان فهو لكم، ونحن أولى بذلك منكم» فتصالح الطرفان ورجع الصفان كُلٌّ إلى قبيلته[١].

وجاء رجل إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله، أوصني؟

فقال له النبي ﷺ: «فهل أنت مستوص إن أنا أوصيتك؟

فقال: نعم يا رسول الله.

فكرَّر ﷺ فهل أنت مستوص إن أنا أوصيتك؟

فأجابه الرجل: نعم يا رسول الله.

وأعاد الرسول ﷺ سؤاله للمرَّة الثالثة: فهل أنت مستوص إن أنا أوصيتك؟

نعم يا رسول الله.

وبعد أن اطمأن النبي ﷺ بأنَّه سيعمل بنصيحته، لفت نظره إلى أهمية ما يريد أن يتفوه به وقال: «إذا هممت بأمر فتدبَّر عاقبته فإن يك رشداً، فامضه وإن يكن غيّاً فانته عنه»[٢].

العبرة:

إنَّ الحكيم يُشخِّص حالة الإنسان فيعلِّمه ما يناسب حاله، فقد أدرك النبي ﷺ حال البعض فنصحهم بعدم سرعة الغضب وأدرك حال البعض فنصحهم بالتأني والتدبُّر، وهكذا.

---

(١) قصص الأبرار: ص١٨.

(٢) المصدر نفسه: ص١٢١.

موتوا قبل أن تموتوا

ذهب أحد المسافرين من الهند إلى أفريقيا ليبتاع بعض المنتجات المحلية والحيوانات، وبينما كان في الغابة رأى آلاف الببغاوات المتعدِّدة الألوان والجميلة والتي تتحدث، فقرر أن يمسك بأحد هذه الببغاوات المتكلمة ويأخذه معه إلى بلاده.

وفي المنزل وضع الرجل هذا الببغاء في أحد الأقفاص وقدم له البذور الرائعة والعسل وعزف له الموسيقى وعامله بطريقة جميلة، وعندما كان الرجل مسافراً مرة أخرى إلى أفريقيا بعدها بعامين، سأل البغاء إن كان لديه رسالة يستطيع أن يسلمها لأصدقائه في الغابة، أخبر الببغاء سيِّده بأن يقول لهم: إنَّه سعيد جداً في قفصه وأنَّه يستمتع بكُلِّ أيَّامه وطلب منه أن ينقل لهم حبه.

وعندما وصل المسافر عائداً إلى أفريقيا قام بتسليم الرسالة للببغاوات في الغابة، وفي اللحظة التي أتم فيها الرسالة، سقط أحد الببغاوات والدموع تنساب من عينيه ميتاً، انزعج الرجل وقال لا بُدَّ أنَّ هذا الببغاء كان صديقاً حميماً لهذا الذي في القفص، وهذا هو السبب في حزنه ووفاته.

وعندما عاد المسافر إلى الهند، أخبر ببغاءه بما حدث وعندما انتهى من قصته، ترغرغت عين الببغاء بالدموع وانقلب ميتاً في قفصه،

شعر الرجل بالدهشة ولكنَّه علَّل موت طائره المدلَّل بأنَّه أصابه اليأس عندما سمع بموت صديقه الحميم في الغابة.

فتح التاجر القفص وألقى بالطائر الميت في كومة القمامة، وسرعان ما طار الببغاء المدلَّل عالياً إلى أحد فروع الشجرة بالخارج.

قال له التاجر: «أنت لم تمت، لماذا فعلت ذلك إذاً؟»

أجاب الببغاء بقوله: «لأنَّ هذا الطائر الذي في أفريقيا أرسل لي رسالة هامة».

لقد قال لي: «إذا أردت أن تهرب من قفصك؛ يجب أن تموت وأنت على قيد الحياة».

العبرة:

وفي الحقيقة فنحن يجب أن نموت بينما نحن على قيد الحياة لكي نتمكن من النظر إلى الوراء، إلى الإدراك في حالة اليقظة، ونرى أنفسنا وهي حبيسة في القفص ـ والذي يتمثل في الجسد في حالتنا نحن ـ وعندئذٍ سيتضح لنا إلى أي مدى يكون من غير الضروري أن نظل داخل القفص».

قوة الحكمة الباطنية

يُحكى أنَّ رجلاً التقى براهب كان يحمل حجراً ثميناً، فعرض عليه أن يشتريه بمال وفير، فقال الراهب: إنِّي لا أبيع الحجر بل هو هدية لك بلا مقابل وليست بحاجة للمال، فأخذه الرجل مدهوشاً. . ثم عاد إلى الراهب وقال له: إنِّي أعيد إليك الجوهرة على أن تعطيني تلك القدرة التي جعلتك تهبني الحجر الثمين دون مقابل.

العبرة:

إنَّ من يمتلك قوَّة النفس بما فيها من حكمة ووعي ونور فهو أغنى الناس على الإطلاق.

التركيز

«أرسل أحد التجار ابنه لكي يتعلَّم سرَّ السعادة من أكبر حكيم بين البشر. سار الفتى، طوال أربعين يوماً، في الصحراء قبل أن يصل أخيراً إلى قصر جميل يقع على قمة جبل، حيث يعيش الحكيم الذي يبحث عنه. وبدل أن يلتقي رجلا قدِّيساً، دخل قاعة تعجُّ بالحركة والناس، تجار يدخلون ويخرجون، وأُناس يثرثرون في إحدى الزوايا، وجوقة تعزف قطعاً موسيقية عذبة، ومائدة حافلة بأشهى أطعمة هذه المنطقة من العالم، وكان الحكيم يتكلَّم إلى هؤلاء وأولئك، فاضطر الفتى أن يصبر ساعتين كاملتين قبل أن يحين دوره.

استمع الحكيم بانتباه إلى الفتى وهو يشرح سبب زيارته، لكنَّه قال: إنَّ لا وقت لديه الآن، ليكشف عن سرّ السعادة، واقترح على الفتى أن يقوم بجولة في القصر، وأن يعود إليه بعد ساعتين.

وأضاف الحكيم، وهو يعطي الفتى ملعقة صغيرة فيها نقطتا زيت: «بيد أنَّني أريد منك أثناء تجوالك أن تمسك بهذه الملعقة، على نحو لا يؤذي إلى انسكاب الزيت منها».

بدأ الفتى يصعد وينزل على سلالم القصر مثبتاً عينيه، باستمرار على الملعقة، وعاد بعد ساعتين إلى مقابلة الحكيم.

سأله الحكيم: هل شاهدت السجاجيد الفارسية في غرفة طعامي؟

هل شاهدت الحديقة التي استغرق إنشاؤها عشر سنوات عل أيد أمهر بستاني؟ هل لاحظت الرقَّ الجميل في مكتبتي؟

اعترف الفتى مرتبكاً، أنّه لم يشاهد شيئاً، بل كان همَّه الوحيد عدم انسكاب نقطتيْ الزيت اللتين عهد الحكيم بهما إليه.

فقال الحكيم: حسناً غدِ الآن وتعرَّف إلى روائع عالمي الخاص، لأنَّنا لا نستطيع الوثوق برجل، إذ نحن لم نتعرَّف إلى المنزل الذي يسكنه.

أخذ الفتى الملعقة، وقد غدا أكثر ثقة بنفسه، وعاد يتجوَّل في القصر، مولياً انتياهه، هذه المرة إلى شتَّى التحف الفنية المعلَّقة على الجدران، وعلى السقوف. وشاهد الحدائق والجبال المحيطة بها، وأناقة الأزهار، ورهافة الذوق في وضع كل تحفة فنية في المكان الذي يلائمها. ولدى عودته إلى الحكيم، تحدَّث بدقَّة عن كل ما شاهده. وحين سأله الحكيم: أين هما نقطتا الزيت اللتان عهدت بهما إليك؟ أدرك الفتى، وهو ينظر إلى الملعقة حينذاك ضياعهما.

عندئذٍ قال حكيم الحكماء: «تلك هي النصيحة الوحيدة التي يمكنني أن أسديها إليك إنَّ سرَّ السعادة هو في أن تشاهد كل روائع الدُّنيا دون أن تنسى إطلاقاً نقطتيْ الزيت في الملعقة».

المعلمون الثلاثة

كان أحد كبار متصوفي الإسلام، وسوف ندعوه هنا حسن، يحتضَر، عندما سأله تلميذ من تلاميذه:

من كان معلِّمك أيُّها المُعلِّم؟

أجاب: «بل قل المئات من المعلمين، وإذا كان لي أن أسمّيهم جميعاً، فسوف يستغرق ذلك شهوراً عديدة، وربَّما سنوات، وسوف ينتهي بي الأمر إلى نسيان بعضهم».

فقال التلميذ: لكن ألم يكن لبعضهم تأثير عليك أكبر من تأثير الآخرين؟

استغرق حسن في التفكير دقيقة كاملة، ثم قال:

«كان هناك ثلاثة في الواقع، تعلَّمت منهم أُموراً على جانب كبير من الأهمية:

«أوَّلهم كان لصاً، فقد حدث يوماً أنَّني تُهت في الصحراء، ولم أتمكَّن من الوصول إلى البيت إلَّا في ساعة متأخرة جداً من الليل، وكنت قد أودعت جاري مفتاح البيت، ولم أملك الشجاعة لإيقاظه في تلك الساعة، وفي النهاية صادفت رجلاً طلبت من المساعدة، ففتح لي قفل الباب في لمح البصر.

أثار الأمر إعجابي الشديد، ورجوته أن يعلِّمني كيف فعل ذلك، فأخبرني بأنَّه يعتاش من سرقة الناس، لكنَّني كنت شديد الامتنان له، فدعوته إلى البيت في منزلي.

مكث عندي شهراً واحداً، كان يخرج كل ليلة، وهو يقول: سأذهب إلى العمل، أما أنت فداوم على التأمُّل، وأكثر من الصلاة، وكنت دائماً أسأله عندما يعود ما إذا كان قد غنم شيئاً، وكان جوابه يتخذ على الدوام، منوالاً واحداً لا يتغيَّر: لم أوفَّق في اغتنام شيء هذا المساء. لكنَّني إذا شاء الله سأعاود المحاولة في الغد».

كان رجلاً سعيداً لم أره يوماً يستسلم لليأس جزاء عودته صفر اليدين، من بعدها وخلال القسم الأكبر من حياتي، عندما كنت أستغرق في التأمُّل يوماً بعد يوم، من دون أن يحدث أيّ شيء، ومن دون أن أحقِّق اتّصالي بالله، كنت أستعيد كلمات ذلك اللص: «لم أوفَّق بشيء هذا المساء، لكنَّني إذا شاء الله، سأعاود المحاولة في الغد»، كان ذلك يمنحني القوَّة على المتابعة».

ومن كان المعلِّم الثاني؟

كان كلباً فقد حدث أن كنت متوجهاً إلى النهر لأشرب قليلاً من الماء، عندما ظهر هذا الكلب كان عطشاً أيضاً لكنَّه عندما اقترب من حافة النهر شاهد كلباً آخر فيه، ولم يكن هذا غير انعكاس لصورته في الماء.

دبَّ الفزع في الكلب فتراجع إلى الوراء وراح ينبح، بذل ما بوسعه ليبعد الكلب الآخر، ولكن شيئاً من هذا لم يحصل بالطبع، وفي النهاية قرَّر الكلب، وقد غلبه الظمأ الشديد أن يواجه الوضع فألقى بنفسه في النهر، وكان أن اختفت الصورة هذه المرة.

توقَّف حسن قليلاً، ثم تابع:

أخيراً كان معلِّمي الثالث ولداً فقد حدث أن رأيته يسير باتجاه الجامع حاملاً شمعة بيده فبادرته بالسؤال: هل أضأت هذه الشمعة بنفسك؟ فردَّ عليَّ الصبي بالإيجاب، ولمَّا كان يقلقني أن يلعب الأولاد بالنار، تابعت بإلحاح: اسمع يا صبيّ في لحظة من اللحظات كانت هذه الشمعة مطفأة أتستطيع أن تخبرني من أين جاءت النار التي تشعلها؟

ضحك الصبي وأطفأ الشمعة ثم ردَّ يسألني وأنت يا سيِّدي أتستطيع أن تخبرني إلى أين ذهبت النار التي كانت مشتعلة هنا؟

أدركت حينها كم كنت غبيّاً، من ذا الذي يُشعل نار الحكمة؟ وإلى أين تذهب؟ أدركت أنَّ الإنسان على مثال تلك الشمعة، يحمل في قلبه النار المقدَّسة للحظات معيَّنة، ولكنَّه لا يعرف إطلاقاً أين أشعلت، وبدأت منذ ذلك الحين، أسرّ بمشاعري ولأفكاري لكُلِّ ما يحيط بي، للسُحب والأشجار والأنهار والغابات، للرجال والنساء، كان لي طوال حياتي الآلاف من المعلمين، وبتُّ أثق بأنَّ النار سوف تتوهَّج عندما أحتاج إليها، كنت تلميذ الحياة وما زلت تلميذها، لقد استقيت المعرفة وتعلَّمت من أشياء أكثر بساطة، من أشياء غير متوقَّعة مثل الحكايات التي يرويها الآباء والأُمَّهات لأَولادهم[١].

---

(١) الخيميائي: ص٤٥.

الوعي

كان هناك معلِّم قصده أحد اللصوص الذي كان يكنُّ له احتراماً شديداً وسأله: «هل هناك إمكانية لصلاح أمري؟ ولكن يجب أن أوضح لك الأُمور أولاً: أنا لص ولا يمكنني التخلي عن هذه المهنة، فالرجاء أن لا تشترط عليَّ ذلك. سأفعل كل ما تقوله لي ولكنَّني لن أتوقف عن السرقة. لقد حاولت ذلك مراراً ولكنَّني لم أتمكَّن من ذلك. لقد قبلت قدري، أي أنَّني سأبقى لصاً، فدعنا نتحاشى الكلام عن هذا الأمر، أردت أن أوضح ذلك لك من البداية».

قال المعلِّم: «لماذا يتملكك الخوف؟ من الذي سيتحدث عن مهنة السرقة؟».

تملَّكت اللص السعادة وقال: «هذا يعني أنَّك موافق، يبدو أنَّ بإمكاني أن أصبح تلميذك، أنت المعلِّم المناسب».

قبَّله المعلِّم وقال له: «يمكنك أن تذهب الآن وتفعل ما يحلو لك، ولكن عليك أن تتقيَّد بشرط واحد: «كن واعياً!» اذهب واسرق المنازل، خذ جميع الأغراض التي تعجبك؛ افعل ما تشاء، هذا لا يهمني على الإطلاق؛ أنا لست لصاً ولكن افعل كل ما تفعله بوعي تام».

ولم يعلم اللص أنَّه على وشك الوقوع في الشرك، قال: «إذاً كل شيء على ما يرام سأحاول».

بعد مضي ثلاثة أسابيع عاد اللص إلى المعلِّم وقال: «لقد أوقعت بي لأنَّني إذا أصبحت واعياً، لا أتمكَّن من السرقة، وإذا سرقت يختفي الوعي أنا في ورطة».

قال المعلِّم: «كفى حديثاً عن السرقة، هذا الأمر لا يهمني؛ أنا لست لصاً، القرار لك الآن، إمَّا أنَّك تريد الوعي أم لا، عليك أن تقرر».

قال اللص: «لقد أصبح الأمر صعباً بالنسبة لي، لقد تذوقت طعم الوعي، ووجدته بمنتهى الطيبة، سأتخلى عن كل شيء، وسأفعل كل ما تقوله، منذ عدة ليال ولأوَّل مرَّة، تمكنت من دخول قصر الملك، فتحت الكنز كان بإمكاني أن أصبح أغنى رجل في العالم ولكنَّك كنت تتبعني وكان عليَّ أن أكون واعياً، عندما أصبحت واعياً، فجأة فقدت الرغبة بالكنز، لم أشعر بأيِّ دافع يشدني إليه، عندما أصبحت واعياً، بدا لي الماس كالحجارة، حجارة عادية. وعندما أضعت الوعي ظهر الكنز مجدداً ثم انتظرت وفعلت ذلك مرَّات عديدة، أصبحت واعياً ولا أتمكن حتى من لمس الكنز الآن الأمر يبدو في متهى الحماقة والسخافة إنَّها حجارة عادية، ماذا أفعل هنا؟ أضيع نفسي من أجل الحجارة؟ ولكن بعد ذلك أضيع الوعي؛ ويصبح الماس جميلاً من جديد، ولكن في النهاية قررت أنَّ الكنز لا قيمة له».

العبرة:

عندما تتعرَّف إلى الوعي، تكون قد تعرَّفت إلى نعيم الحياة؛ وفجأة تفقد باقي الأشياء قميتها، تصبح تافهة، تفقد الدافع، تفقد الرغبة؛ لقد اختفى الحلم.

اليقظة

كان أحد معلمي الزن ينقل بعض الماء من بئر عندما صادف واحداً من المؤمنين كان قد سمع أخباره وقطع مسافة طويلة ليتمكن من رؤيته، وعندما رأى الرجل هذا الشخص ينقل ماء من البئر ظنَّ أنَّه أحد الخدَّام في الدير فسأله: «أين يمكنني أن أجد رئيس هذا الدير؟».

ضحك المعلم وقال: «أنا الشخص الذي تبحث عنه».

لم يصدق الرجل المؤمن ما رأت عيناه: «لقد سمعت الكثير عنك ولكنَّني لم أتخيلك تنقل ماءً من البئر».

قال المعلم: «ولكن هذا ما كنت أفعله قبل أن أصبح مستنيراً، أنقل الماء من البئر، وأقطع الحطب هذا ما كنت أفعله في السابق ولا أزال أفعله الآن، أنا شديد المهارة في جر الماء وتقطيع الحطب، رافقني ما سأفعله لاحقاً هو قطع الحطب، راقبني!».

ولكن ما هو الفرق إذاً؟ قبل أن تصبح مستنيراً كنت تقوم بهذه الأعمال، وبعد أن أصبحت مستنيرا ما زلت تقوم بنفس الأعمال ما هو الفرق إذاً؟».

ضحك المعلم وقال: «الفرق هو في الداخل، في السابق كنت أقوم بكل الأعمال وأنا نائم، والآن أقوم بكل الأعمال بوعي، هذا هو

الفرق، النشاطات هي ذاتها ولكنَّني لم أعد نفس الشخص، العالم هو ذاته ولكنَّني لم أعد نفس الشخص، وبما أنَّني لم أعد نفس الشخص فإنَّ العالم لم يعد نفس العالم بالنسبة لي».

يجب أن يكون التحوُّل داخلياً، وهذا هو التخلي الحقيقي، لقد اختفى العالم القديم لأنَّ الكائن القديم اختفى.

كيف تخاطب الله تعالى

ذهب الأمبراطور إلى الصيد، ولما حان وقت الصلاة خرَّ ساجداً، وكانت امرأة تهرول تبحث عن زوجها فاصطدمت به ولم تبالي به فاستشاط غضباً وقال: كيف تعثرين بي ألا تنتبهي إليَّ؟

فقالت: يا مولاي كنت أبحث عن زوجي فلم أنتبه لأيٍّ شيء آخر وأنت تخاطب الله فكيف انتبهت لي.

من أنا

كان «لين تشي Lin- Chi» يحاضر في أحد الأيام عندما سأله فجأة أحد الحاضرين: «أجبني عن سؤال واحد: من أنا؟». نزل «لين تشي» عن المنبر وتوجَّه نحو الرجل وساد الصمت القاعة، كان الجميع يتساءلون عمَّا سيفعله، كان بإمكانه أن يجيب الرجل من على منبره، لكن «لين تشي» وقف أمام الرجل وهو ينظر في عينيه، لقد كانت لحظة مؤثرة، لقد توقف كل شيء، بدأ السائل يتصبَّب عرقاً، كان «لين تشي» يحدق في عينيه ثم خاطبه قائلاً: «لا توجِّه إليَّ أي سؤال، توجّه إلى داخلك وَجِد الذي يطرح السؤال، أغمض عينيك، لا تطرح السؤال توجَّه إلى الداخل وتحقَّق من الذي يطرح السؤال، من هو السائل في الداخل، لا تُعر وجودي أي اهتمام، اعثر على مصدر السؤال، اذهب إلى أعماق داخلك!».

ويُقال: إنَّ الرجل أغمض عينيه، وأصبح صامتاً، وفجأة أصبح رجلاً متنوراً، فتح عينيه وضحك ولمس قدميَّ «لين تشي»وقال؛ «لقد أجبتني عن سؤالي، لقد طرحت هذا السؤال على الكثير من الناس وحصلت على العديد من الأجوبة ولكنَّني لم أقتنع بأيِّ جواب، ولكن أنت أعطيتني الجواب المقنع».

«من أنا؟» كيف يمكن لأيِّ شخص الإجابة عن هذا السؤال؟

ولكن في تلك الوضعية، ومئات الحضور في حالة صمت، نزل «لين تشي» عن منبره، وحدَّق إلى الرجل بعينين خارقتين وقال له: «أغمض عينيك توجَّه إلى الداخل واعثر على الذي يطرح السؤال، ولا تنتظر جواباً منِّي، تحقَّق من الذي طرح السؤال»، ثم أغمض الرجل عينيه ماذا حصل في هذه الوضعية؟ لقد أصبح متمركزاً فجأة أصبح واعياً لوجود المركز الداخلي[١].

---

(١) الفهم: ص٥٣.

تذكّر هدف الحياة

كُلُّ حكمة العالم، تتمثَّل في هذه الحكاية القديمة التقليديَّة، والتي تحتوي على معانٍ كثيرة:

في مملكة بعيدة، وفي أرض مثاليَّة كان هناك ملك عادل يعيش بسعادة كبيرة مع زوجته وولديهما، وذات يوم استدعى الملك ولده وابنته، وقال لهما: حان الوقت لكما كما هي الحال مع الجميع، أن تسافرا إلى أرض أُخرى بعيدة كُلِّ البعد عن هٰهنا.

ابحثا واجلبا معكما «حجرة ثمينة»!

تنكَّر الولد والفتاة بلباس العامَّة، وذهبا إلى أرض غريبة، يعيش فيها الناس حياة مظلمة..

وهكذا فقد الأخوان أثر بعضيهما، وذهب كُلُّ واحد باتجاه دونما هدف محدَّد، وكأنَّهما نائمين...

وكانا في بعض الأحايين يريان أطيافاً لبلديهما الذي أصبح بعيداً، ويتخيلان «الحجرة الثمينة» التي يبحثان عنها، وكذا في حالهما... حتى أصبحت هذه الرؤى والأطياف كأنَّها الحقيقة الواقعيَّة!

عندما علم الملك بحالة ولديه المزرية، أرسل لهما هذه الرسالة مع رجل حكيم كان محطُّ ثقته الكاملة:

«تذكرا المهمة الموكلة إليكما، وخذا حذركما من الأحلام، وابقيا معاً..».

وحقّاً، أيقظتهما هذه الرسالة القصيرة، واستطاعا بمساعدة «المرشد» الذي جاء لمساعدتهما مواجهة الخطر المحدق بهذه الحجرة.

وبفضل المعونة التي قدَّمتها لهما صورة «الحجرة الثمينة» تمكنا من العودة إلى بلدهما، بلاد النُّور، حيث عاشا بسعادة غامرة بقية حياتهما...

العبرة:

هكذا حال الإنسان في هبوطه إلى عالم الدُّنيا، والبحث عن الكنز الذي بداخله، وغفلته عنه، واللهو عنه بزينة الدُّنيا وأحلام الحياة.

أن تتعلَّم كيف تعطي

أعلن مُعلِّم روحاني أنَّه سيقيم «احتفال العطاء»، وهو تقليد سنوي تُقدَّم فيه العطايا، فيأتي الناس من كُلِّ حدبٍ وصوب، ومن جميع الطبقات يقدِّمون الدروس والتعاليم.

أمر المُعلِّم أن توضع جميع الهدايا على الأرض وسط الغرفة، وأن يجلس الجميع حولها على شكل دائري.. ومن ثمَّ دخل هو في الدائرة، وبدأ يجمع الهبات وهم ينظرون، ثم قال لهم:

«كُلُّ هدية تحمل اسم صاحبها ترجع إليه، أمَّا البقيَّة فهي مقبولة لدينا..» ثم تابع:

لقد جئتم جميعاً للحصول على درس، وها هو ذا أمامكم.

عليكم التمييز بين السلوك الأدنى، والسلوك السامي، إنَّ السلوك الذي نسميه «أدنى» هو ما يقوم به الأطفال، وهو جزء أساسي من معارفهم البسيطة فيما يتعلَّق بالعطاء.. والأخذ! أمَّا السلوك السامي فهو يعني أنَّك تعطي دون أن تتكلَّم، ودون أن تفكِّر بمن تعطيه..

عليكم أن تكونوا مع هؤلاء، وأن تبتعدوا عن الصغار، وعن آفاقهم الضيِّقة، وأن تقفوا في صفوف الكبار، إنَّ من يحاول دائماً إرضاء نفسه سوف لن يستطيع النهوض، أنتم لا تقبلون أن يدفع لكم

ثمن ما أعطيتم إذا كنتم من الكبار، ولهذا فنحن نعلِّم مبدأ الاعتدال، فتحرَّروا من الرغبات الصغيرة التي تمنحكم النشوة لأنَّكم فعلتم ما هو جيِّد، وحقِّقوا لأنفسكم الطموح الأعلى:

إن تفعلوا ما هو مفيد..، فعلاً![1].

---

(١) أخبار حكماء الشرق: ص١٢٤.

دار الحقيقة

كان هناك حكيمان، أحدهما واهم بنفسه، ومع هذا فكثيرون يؤمنون به، والثاني كان يمتلك المعرفة الحقيقيَّة العليا، وأيضاً كان له الكثير من الأتباع.

وفجأة حدثت كارثة طبيعية، وقف فيها الحكيمان مع أتباعهما صفّاً واحداً أمام الملائكة المكلَّفين بتحديد مصير الأرواح البشريَّة...

بعد استجواب الفريقين، قرَّر الملائكة أنَّ الحكيم الأوَّل وأتباعه يذهبون إلى النار، بينما الحكيم الثاني ورهطه فهم إلى الجنَّة وكان أن حدثت بلبلة وضوضاء إثر هذا القرار، وتسائلوا عن الأساس الذي بُني عليه، فأجاب الملائكة:

لقد كان كلا الحكيمين مؤمنين، ولكن الأوَّل كان يؤمن بالأشياء الخارقة، إنَّه في الحقيقة كان يؤمن بنفسه، وأتباعه لم يكونوا ليتَّبعوه لو لم تكن في أعماقهم الرغبة بأن يمنحهم الجلال والهيبة!

أمَّا الثاني فهو لم يكن يؤمن إلَّا في الحقيقة، وتلامذته لم يكونوا مرتبطين بشخصه، ولم يظلّوا أوفياء له لنفسه، بل للحقيقة التي يتوخُّون في أقواله وأفعاله، إنَّه لم يكن هو قصدهم بحدِّ ذاته، ولكنَّها الحقيقة.

إنَّ الحياة بعد الموت هي دار الحقيقة، ولئن كانت محكومة من قِبَلِ البشر، فهي إذن غير ذلك، وهذا واقع، وليس مجرَّد نظريَّة.

وكذلك قرارنا، فهو واقع غير قابل للطعن!![١].

---

(١) المصدر السابق: ص١٤٤.

ورقة المائة درهم

حكى أنَّ مُعلِّماً بدأ إلقاء محاضرته على الطلَّاب سائلاً: من منكم يريد تلك الورقة ذات المائة درهم التي في يديَّ؟ فرفع الجميع أيديهم فقال المحاضر:

قبل أن أعطيها لأحدكم هناك شيء عليَّ فعله.

ثم ضغط عليها فكسرها في يده وقال:

من منكم لا يزال يريدها؟!

فرفع الجميع أيديهم، فقال لهم:

وماذا لو فعلت هكذا؟

ورماها على الحائط فوقعت فركلها وسحقها وأمسكها مجدَّداً وسألهم وهي متسخة، من منكم لا يزال يريدها؟!

فرفع الجميع أيديهم فقال له: يجب ألَّا تنسوا ما شهدتموه الآن ففي مرَّات عديدة في حياتنا نُكسر ونُركل ونُهاجم ونتعب وبالرغم من هذا يكون لنا قيمة كبيرة[١].

---

(١) نبع الحكمة: ص٣٢.

لتكن لك منهجية صحيحة

قصد شاب يعاني من إخفاقاته المتكرِّرة في تحقيق أهدافه، أحد الحكماء مستفسراً عن سبب هذه الإخفاقات.

فاستقبله الرجل الحكيم، واستوضح منه حاله، ففهم مكمن المشكلة عند الشاب، وأراد أن يبرهن له عملياً كيفية التصرُّف.

فقدَّم له كوباً من الشاي، واضعاً فيه ثلاثة مكعَّبات من السكر، باعتبار أنَّ الشاب يُحبُّ الشاي المحلَّى، وبعد أن أمسك بالكوب وقبل أن يُحرِّك السكَّر، طلب منه الحكيم أن يدور حول الكوب لعدَّة مرَّات، ففعل الشاب مستغرباً وبعدها قال له إشرب.

فلمَّا شرب، سأله الحكيم عن مذاق الشاي، فأجابه الشاب: بأنَّه ما زال مرّاً ومن الطبيعي أن يبقى كذلك، باعتبار أنَّه لم يُحرِّك السكَّر، وعندها قال له الحكيم:

إنَّ مكمن مشكلتك، أنَّك تبادر وتعمل، لكنَّك لا تقوم بالعمل الصحيح والمناسب، إنَّك تعرف ما تريد لكنَّك تفتقد للمنهجية الصحيحة كي تُحقِّق ما تريد..

إقرأ في كتاب الأُمّ

دخل رجل عند أحد الحكماء. . وأخذ يتفحَّص الكتب العديدة والمتنوعة في مكتبته.

وسأله قائلاً: لا شكَّ أنَّك قارىء نهم ومدمن على ذلك، فأيُّ كتاب أثَّر فيك، وترك بصمات واضحة على شخصيتك؟ فلم يجبه الحكيم مباشرة، بل أمسكه بيده وتوجَّه به إلى غرفة أُخرى، وأشار إلى صورة «أُمّه» المعلَّقة في الغرفة، وقال: هذا أهم كتاب قرأته وتعلَّمت منه وأثَّر في شخصيتي.

إستفد من مزايا التركيز

جمع أحد المقاولين الأميركيين الناجحين ثروة طائلة، فقرَّر أن يتقاعد ويرتاح ليعيش حياة هانئة، مضت فترة على تقاعده، ولم يجد ما يصبو إليه من راحة وسكينة.

ولمَّا علم بوجود رجل حكيم يملك ثلاثة أسرار مهمَّة للعيش السعيد، قصده.

وبعد طول تفتيش، وجده في قمَّة جبل، ولمَّا سأله عن الأسرار الثلاثة لتحسين المعيشة، أجابه المعلِّم الحكيم قائلاً ووسط اندهاش الرجل: «السِّر الأوَّل: ركِّز على ما يحيط بك. السِّر الثاني: ركِّز أيضاً. السِّر الثالث: ركِّز أيضاً وأيضاً، فإذا فعلت ذلك ستكتشف أشياء جديدة ومدهشة في حياتك لم تكن تراها، لأنَّك كنت تركِّز على جانب واحد في حياتك».

طلِّق ماضيك السيِّىء

قصد شاب رجلاً تقيّاً يعيش في الصحراء، وقال له: سيِّدي لقد بعتُ كل ممتلكاتي وقدَّمتها للفقراء، وقد أردت التغيير، لكنِّي احتفظت فقط ببعض الأغراض التي تحمل بعض الذكرى من الماضي..

هلا ترشدني إلى كيفية التصرُّف؟!

نصحه الرجل التقي بالذهاب إلى المدينة، كي يبيع الأغراض القليلة المتبقية، ومن ثم يشتري بثمنها لحماً، شرط أن يربط كميَّة اللحم المشتراة بجسمه في طريق العودة..

أذعن الشاب للتعليمات وفي طريق العودة، ربط اللحم إلى جسمه، وكان أن هاجمته بعض الكلاب والصقور، طمعاً في اللحم..

فوصل إلى الرجل التقي، وقد غطَّت الخدوش والجروح جسمه، وتمزَّقت ثيابه.. فبادره قائلاً: ها قد عدت إليك. ولكن أنظر إليَّ بأية حال قد عدت!!

عندها قال له الرجل التقي:

هكذا يا بُنيَّ يمكن الآن أن تتعلَّم درساً مفاده، أنَّه من أراد العبور إلى مرحلة جديدة، عليه أن يخلع «ثوب ماضيه» السيِّىء بالكامل، لأنَّه إذا ترك بعضاً منه، فإنَّه سينهشه، تماماً كما حصل معك.

اهتمَّ بفضاء الرُّوح

قرَّر رجل باحث عن الرُّوحانيَّة، زيارة أحد النسَّاك..

فقطع مسافات طويلة إلى أن وصل إليه ووجده..

وعندما التقاه، قال له: أحتاج أن أعرف عن الخطوة الأولى التي يجب أن أقوم بها، حتى أسلك في درب الرُّوحانيَّة والتعرُّف إلى الله..

لم يُجبه الناسك، بل اصطحبه إلى بئر واسعة، وطلب منه أن يتأمل صورته في الماء..

أطاعه الرجل ووجد صورته واضحة، لأنَّ صفحة الماء هادئة..

وعندها أخذ الناسك يرمي بحجارة صغيرة في البئر.. فلم يتمكَّن الرجل من رؤية صورة وجهه، لأنَّ الماء تعكَّر.

فقال له الناسك: كما استحال عليك رؤية وجهك في المياه العكرة، فإنَّك لن تخطو خطوتك الأولى في درب الرُّوحانيَّة، حتى تصفِّي داخلك وتنقِّيه من كل العكر..

حوار للاعتبار

جاء في إحدى الأساطير أنَّ رجلاً حكيماً كان يعيش في أحد أقطار الشرق، وكان قانعاً سعيداً بحكمته، ناجحاً في حياته كل النجاح، حتى أنَّ أحداً من الناس لم يكن يدانيه حكمة وسعادة ونجاحاً. ولم يكن يبخل على أيِّ قاصد له، في إسداء النصح له وإرشاده إلى طريق خلاصه من الهموم والكآبة والقلق، وكان الناس يقصدونه من كُلِّ مكان طالبين العلاج على يديه، وأكثر أولئك الزائرين كانوا يرجعون إلى قراهم بعد زيارتهم لصومعته، وقد شُفوا تماماً من متاعبهم وغدوا أسعد الناس، ولكن بعضهم كان يعود بعد اللقاء، وهو على حاله من الشقاء أو أضلّ سبيلاً!

وذات صباح كان الحكيم الفيلسوف جالساً مسترخياً على ضفة النهر قرب صومعته عندما دنا منه شاب ورجاه أن يسمح له بمقابلته، فسمح له بذلك ودار بينهما الحوار التالي:

الشاب: عذراً يا سيِّدي، أرجو أن تسمح لي بهنيهة من وقتك، فلقد قصدت صومعتك من مكان بعيد، لقد تناهى إلى أسماعي صيتك العريض ومقدرتك على معالجة العواطف المكدودة واستطاعتك جلب السعادة الشخصية، فهب لي شيئاً ممَّا عندك.

الحكيم: أبسط شكواك يا ولدي فأنا مصغٍ إليك، ويسعدني أن أمدّ لك يد العون لو استطعت.

الشاب: قل لي إذن، ما علّة إحساسي بالتعاسة الشديدة؟ فأنا شاب موفور الثراء ولديَّ مال كثير لا تأكله النيران، ولكنّني لا أحس بالرضى عن نفسي، إنَّ لي زوجة طيِّبة وأُسرة كبيرة، ولكنّنا دائموا الخصومة واللجاجة، ولا أشعر أنَّ كل الناس يحبّونني ويقدِّرونني. وتحت إمرتي جيش لجب من الفَعَلة، ولي منشآت رابحة كثيرة، ولكنَّني عندما أنام ليلاً لا يطيب لي الاستيقاظ صباحاً بل أتمنى لو بقيت على الدوام نائماً، إنَّني أتمتع بصحة طيِّبة، ولا أعاني ألماً أو وجعاً. وبالرغم من كل هذه الأُمور فإنَّني دائم الشعور بالتعاسة. فهل تستطيع أن تدلّني على سبب ذلك؟

الحكيم: جوابي هو كالتالي: إنَّك تعِس لأنَّك لا ترى الحياة رؤية صحيحة.

الشاب: ولكن ذلك لا يمكن أن يكون. فأنا أرى الحياة رؤية صحيحة، إنَّني أراك أمامي وأرى الأشجار والنهر وأشاهد الناس يلهون ويسبحون في النهر، وأرى الطيور في السَّماء، أفلا أرى الحياة رؤية صحيحة؟

الحكيم: بلى، ولكنَّك لا ترى إلَّا ما تسهل رؤيته، وتحوِّل بصرك عمَّا هو مهم أن تراه؟

الشاب: ولكنَّني أبصر ما يبصره أكثر الناس، أفلا يكفي ذلك لأن أكون مبصراً للحياة على حقيقتها؟

الحكيم: كلا. فأقوالك تدلُّ على أنَّك لا ترى إلَّا ما يراه أكثر

الناس، ولكن لكي تكون سعيداً فإنَّ عليك أن تفهم كنه ما تقع عيناك عليه.

الشاب: أؤكد لك يا سيِّدي أنَّني أرى الحياة رؤية صحيحة، أليست هذه شجرة؟ ألا يجري النهر؟ ألا توجد هذه الطيور المحلِّقة الآن؟

الحكيم: لقد صار بمقدوري الآن أن أجيب على سؤالك الأصلي جواباً أكمل وأتمّ، إنَّ سرّ شكواك يرجع أوَّلاً: إلى كونك لا ترى. وثانياً: إلى أنَّ قناعتك هي أنَّ ما تراه هو حقيقة الحياة!

الشاب: ما أزال غير قادر على فهمك!

الحكيم: إنَّ ذلك يعني أنَّك لا تريد أن تفهمني. إنَّ العناء هو الثمن الذي ينبغي عليك دفعه لكي تظل قابضاً على يقينك، ولذلك فإنَّ مراعاتك الصواب والحق في حياتك، هي أهم من سعادتك.

الشاب: ولكنَّني لا أقرّك في ذلك، إنَّني لا أريد أن أكون مصيباً، وإنَّما أفضِّل على ذلك أن أكون سعيداً ومبرأ من متاعبي، فهل تساعدني؟

الحكيم: يؤسفني ألَّا أستطيع ذلك، فأنا لا أستطيع مساعدة إنسان واثق كل هذه الثقة من نفسه، قد أتمكَّن من مدِّ يد المساعدة لك بعد حين، أيّ بعد أن تذوق طعم شيء من الشقاء، يكفيك الآن أن تتذكر الأسرار التي بحت لك بها الآن، وأن تمضي في تنعُّمك بالطيور والأشجار والنهر على نحو ما يفعله الآخرون الذين يرون ما تراه!

قصة وعبرة

ذهب أحد الأشخاص إلى النجف الأشرف لدراسة العلوم الدِّينيَّة فأمضى سنوات في الدرس ولم ينجح، فعاد إلى بلده كما ذهب، وفي أثناء الطريق رأى بئراً وعليه حجر مربوط بحبل ولاحظ أنَّ الحجر قد تآكل من حركة الحبل، فقال في نفسه: إذا كان الحجر قد تغيَّر وتآكل بمرور الزمان، فلماذا لا أتغيَّر وأصبح عالماً، ثمَّ عاد إل النجف الأشرف وجدَّ في الدرس فصار من كبار العلماء، وهكذا اعتبر من الحجر.

قصة الحكيم

كان أحد تلاميذ الحكيم «زينو» دائم الشكوى من كُلِّ شيء ومن أيِّ شيء، وفي أيِّ وقت، حتى ابتعد عنه الناس وأصبح وحيداً، فشكا أمره لزينو وقال له: إنَّ الناس يغيرون منه ويحقدون عليه، وهنا طلب الحكيم من الشاب أن يسير معه، وبالفعل سارا معاً حتى وصلا إلى طريق مظلم، فطلب «زينو» من الشاب أن يسلك الطريق بمفرده وأنَّه سيقابله من الناحية الأُخرى، وتعجب الشاب وسأل الحكيم: لماذا أسلك هذا الطريق المظلم وأترك الطرق الأُخرى التي بها نور يساعدني على الوصول إلى المكان الذي أريده؟

ولم يرد الحكيم الصيني على سؤال الشاب بل كرَّر نفس الجملة التي قالها من قبل: سِرْ في هذا الطريق وسأقابلك من الناحية الأُخرى.

ثم ترك الشاب بمفرده! فبدأ الشاب في السير في الطريق وكان فعلاً مظلماً لا يستطيع أن يرى أيّ شيء على الإطلاق حتى يديه أو أين يضع قدميه، وكان يُكلِّم نفسه ويتساءل: لماذا طلب منِّي الحكيم أن أسلك هذا الطريق؟ هل هو امتحان أم أنَّ الرجل كبر في السِّن وأصبح لا يعرف ما يقول؟

وأثناء ما كان يُفكِّر ويُكلِّم نفسه اصطدم بقوَّة في حائط صدمة قوية جعلته يصرخ من الألم وأيضاً الغضب، فابتعد عن هذا المكان واتجه

إلى مكانٍ آخر ولكنَّه لم يعرف أيّ اتجاه يسلك لكي يخرج من هذا المكان، ولم يعرف من أين أتى وأصبح في حيرة من أمره ولكنَّه سار في الاتجاه المعاكس، وهو يشعر بالغضب الشديد تجاه الرجل الحكيم وكان يُكلِّم نفسه، ويفكِّر في كُلِّ السلبيات الممكنة حتى اصطدم وجهه في حائط آخر، فصرخ من الصدمة وبدأ يسبّ الرجل الحكيم، ويلومه على ما فعل به وسلك طريقاً آخر وهو يكلِّم نفسه سلبياًويسبّ الرجل الصيني ويلومه وأيضاً يلوم نفسه لأنَّه سمع كلام هذا المعتوه، فوقع في حفرةٍ فصرخ من المفاجأة والألم وبغضب شديد راح يسبّ الرجل الحكيم بأسوأ الأسماء، وحاول أن يخرج من الحفرة ولكنَّها كانت عميقة فلم يستطع فبكى من وضعه وجلس في مكانه وهو يشعر بضياع وخوف تام حتى أُغمي عليه من شدة الصدمة.

وعندما استيقظ من الصدمة بدأ يصرخ بأعلى صوته طالباً النجدة، ولكن من الذي سيسمعه وهو في هذا المكان ففقد الأمل وظلَّ في مكانه. بعد فترة من الزمن وجد ضوء شمعة يأتي من بعيد ففرح وصرخ بكُلِّ قوته ليطلب النجدة، وجاء الشخص أمامه وكان الحكيم «زينو»شخصياً وساعد الشاب على الخروج من الحفرة وصحبه إلى خارج الطريق وهناك أوقف الشابُّ الحكيم وسأله: أريد أن أعرف لماذا فعلت بي ذلك؟ ولم يردّ الحكيم، فكرَّر الشاب السؤال وهو غاضب: لماذا فعلت ذلك معي؟ فردَّ زينو بسؤال الشاب: «ما الذي تعلمته من تجربتك؟ فردَّ الشاب بغضب وقال: «إنَّه لا يجب عليَّ أن أسمع كلام أحد ولا أثق بأحد بعد اليوم»! فمشى «زينو» ولم يرد.

وهنا وقف الشاب أمام الحكيم وقال: «أعرف أنَّ هناك درساً لما حدث وأرجو أن تعذرني لأنّني عانيت كثيراً جداً في هذا الطريق فأرجو منك أن تعلمني وتنصحني.

وهنا قال «زينو»: «هذا هو ما تعلمته أيُّها الشاب وهذا هو الدرس، أنَّ أسلوبك الأخير هو السبب الذي جعلني أردّ على سؤالك لأنَّه كان أسلوباً مهذباً وإيجابياً وله هدف تستفيد منه.

أما عن الطريق المظلم الذي طلبت منك أن تسلكه فهو يمثل أفكارك السلبية والحائط الذي اصطدمت ليس إلَّا نتيجة أفكارك السلبية، والحفرة التي وقعت فيها كانت هي الأُخرى نتيجة من نتائج أفكارك السلبية!».

ثم اقترب «زينو» من الشاب ونظر في عينيه وقال: «هذا هو التفكير السلبي أيُّها الشاب، يجعل الإنسان لا يرى الطرق المضيئة بل يجعله يسلك الطرق المظلمة التي لا يجد فيها مخرجاً، ويصطدم بكُلِّ ما يؤلمه ويجعله يشعر بالضياع والفشل والألم والغضب وكل شيء سلبي ينجذب إليه من نفس نوع أفكاره. لذلك إذا أردت فعلاً أن تكون حكيماً يجب أن تعرف أنَّ في داخلك يعيش ألد أعدائك وهي أفكارك السلبية، عندما تعرف كيف تتحكم فيها ستجدها تعمل لصالحك تماماً مثل الحصان الشارد الذي يستطيع أن يقتلك بخبطة واحدة، ولكنَّك لو علَّمته يصبح صديقاً نافعاً، وتذكَّر أنَّ أفكارك من صنعك أنت، لن يستطيع أيّ إنسان على وجه الأرض أن يغيِّرها لك، ولكنَّك أنت الوحيد الذي تستطيع أن تغيِّرها وتجعلها تخدمك وتساعدك على الاتزان والسعادة».

القلوب أوعية

في أحد الأيام شعر شاب صغير بعدم الرِّضا عمَّا يحدث من أُمور حوله، فذهب إلى معلِّمه ليعبّر عن مرارة تجاربه السيِّئة ومعاناته، نصحه المعلِّم بأن يضع حفنة من الملح في كأس من الماء ثم يشربها، سأله المعلِّم: «كيف وجدت طعمه؟» قال الشاب وهو يبصق: «إنَّه مالح جدّاً»؟ ضحك المعلِّم ضحكة خفيفة، ثم طلب منه أن يأخذ نفس حفنة الملح ويضعها في البحيرة.. وسار الاثنان بهدوء نحو البحيرة، وعندما رمى الشاب حفنة الملح في البحيرة قال له المعلِّم: «والآن اشرب من البحيرة» وأثناء ما كانت قطرات الماء تسيل من فوق ذقنه سأله: «كيف تستطعمه؟» قال الشاب: إنَّه منعش» فسأله المعلِّم: «هل استطعمت الملح؟» ردَّ الشاب: «لا»، وهنا نصح المعلِّم الشاب الصغير قائلاً: إنَّ آلام الحياة مثل الملح لا أكثر ولا أقل، فكمية الألم في الحياة تبقى نفسها بالضبط، ولكن تعتمد المعاناة التي نستطعمها على السعة التي نضع فيها الألم.. لذا ما يمكن أن تفعله عندما تشعر بالمعاناة والآلام، هو أن توسِّع فهمك وإحساسك بالأشياء.

لا تكن مثل الكأس، بل كُن مثل البحيرة.

الزمن والحب

كانت هناك جزيرة تعيش عليها جميع المشاعر: «السعادة»، «الحزن»، «الحكمة». . . كُلُّ المشاعر حتى «الحب».

وذات يوم اكتشفوا جميعاً أنَّ الجزيرة تغرق، فحاولت جميع المشاعر الهرب من الجزيرة للنجاة.

حاول «الحبُّ» الهرب، ولكنَّه لم يكن يملك ما يهرب فيه، فقرَّر أن يسأل غيره ليهرب معه، فوجد «الثراء» يهرب في مركب فخم جداً. . فقال «الحبُّ» للثراء: «هل يمكن أن أركب معك؟ فردَّ الثراء: بالطبع لا. . إنَّ مركبي يحتوي على الكثير من الذهب والفضة ولا مكان لك معي».

بعد قليل كان «الغرور» مارّاً بمركبه، فقرَّر «الحبُّ» سؤاله: هل تستطيع أن تأخذني معك؟ فردَّ «الغرور»: «للأسف لا أستطيع مساعدتك. . إنَّك مبتلٌّ تماماً، ومركبي نظيف وجميل، وأنا أخشى عليك من التلف بسببك».

كان «الحزن» مارّاً بجوار «الحبِّ» فسأله «الحبُّ»: هل من الممكن أن تأخذني معك؟ فقال «الحزن»: «إنَّني حزين للغاية وأُفضِّل البقاء وحدي!».

وعندما مرَّت «السعادة» بجوار «الحب» كانت سعيده للغاية فلم تلحظ من الأساس وجود «الحبِّ» إلى جوارها!!

وفجأة ظهر عجوز من بعيد ونادى «الحب» لينقذه ويركب معه.. فشعر «الحبُّ» بالأمان والطمأنينة.. ولكن فرحته أنسته أن يسأل العجوز عن اسمه! حتى وصل الجميع إلى برِّ الأمان والنجاة.. فذهب العجوز بعيداً قبل أن يسأله «الحبُّ» عن اسمه.

شعر «الحبُّ» بأنَّه مدين للعجوز بحياته، ولكنَّه لم يعرف من هو هذا العجوز، غير أنَّه رأى «الحكمة» تجلس بعيداً.. فذهب «الحبُّ» إلى «الحكمة» ليسألها عن ذلك العجوز. فقالت «الحكمة»: إنَّه الزمن.

فاستغرب «الحبُّ» وقال: «الزمن»!

فقالت له «الحكمة»: «نعم الزمن».

فسألها «الحبُّ»: ولماذا يُنقذ «الزمن» حياتي؟

فقالت «الحكمة»: لأنَّ الزمن وحده هو الذي يعلم أهمية الحبّ.

معرفة الذات.. أوَّل خطوة وأوَّل خيط

كان أرسطو يوماً يقف على منضدة خشبية وهو يتمعَّن عبر منظاره في أجرام السَّماء، وفجأة زلَّت قدماه وارتمى على الأرض، فأطلق آهة ألم حزينة عالية شقَّت صمت بيته، فأسرعت إليه خادمته وأمسكت بيديه ثم جلست إلى جواره ليتكىء عليها ويسترد أنفاسه.

وبعد لحظات آفاق أرسطو، فاستدارت خادمته أمامه وابتسمت له وقالت:

«إنَّك يا سيِّدي تحب الحكمة، وتحيط بميادين العلم والشعر والسياسة وحياة الحيوان! وسبق لي أن سمعت منك ألف مرَّة ومرَّة أنَّك تبحث من أجل أن تعرف كيف يُفكِّر الإنسان.. وأودعت في كتابك «النفس» نظرتك إلى علاقة النفس بالبدن، ووصفتها بأنَّها مثل علاقة نغمات المزمار بالمزمار، وسبق لك أن اتهمت أستاذك أفلاطون بالسخف لأنَّه ذهب إلى تقسيم النفس إلى أجزاء؛ حيث رأيت يا سيِّدي أنَّ النفس واحدة لا تتجزأ... وأعرف عنك أنَّك تُحبّ الواقع، فلماذا تشغل نفسك برصد الأجرام البعيدة في السَّماء قبل أن تتبيَّن موطىء قدميك على الأرض؟!».

رغباتك قدراتك

سأل شاب سقراط كيف حصل على الحكمة؟ فأجاب سقراط: «تعال معي»، وأخذ الشاب إلى النهر ووضع رأسه تحت الماء وأمسكه حتى لهث طالباً الهواء ثم استرخى وأخرج رأسه، وعندما استعاد الفتى رباطة جأشه، سأله سقراط: «ما الذي ترغب فيه أكثر عندما تكون تحت الماء؟».

أجاب الفتى: «أريد الهواء».

قال سقراط: «عندما تريد الحكمة بقدر ما أردت الهواء عندما كنت غارقاً في الماء فإنَّك ستحصل عليها».

لو اطَّلعت على الغيب لاخترت الواقع

حُكى أنَّ عجوزاً حكيماً كان يسكن في إحدى القرى الريفية البسيطة، وكان أهل تلك القرية يثقون به وبعلمه. . ويثقون في جميع إجاباته على أسئلتهم ومخاوفهم، وفي أحد الأيَّام ذهب فلَّاح من القرية إلى هذا العجوز الحكيم وقال بصوتٍ محموم: «أيُّها الحكيم، ساعدني؛ لقد حدث لي شيء فظيع، لقد هلك ثوري وليس لديَّ حيوان يساعدني على حرث أرضي! . . أليس ذلك أسوأ شيء يمكن أن يحدث لي؟».

فأجاب الحكيم: «ربَّما كان ذلك صحيحاً، وربَّما كان غير ذلك».

فأسرع الفلَّاح عائداً لقريته وأخبر جيرانه أنَّ الحكيم قد جنّ، بالطبع كان ذلك أسوأ شيء يمكن أن يحدث للفلَّاح، فكيف لم يتسنَّ للحكيم أن يرى ذلك.

إلَّا أنَّه في اليوم ذاته، شاهد الناس حصاناً صغيراً قوياً بالقرب من مزرعة الرجل. ولأنَّ الرجل لم يعد عنده ثور ليعينه في عمله، راقت له فكرة اصطياد الحصان ليحل محل الثور. . وهو ما قام به فعلاً.

وقد كانت سعادة الفلَّاح بالغة. . فلم يحرث الأرض بمثل هذا اليسر من قبل، وما كان من الفلَّاح إلَّا أن عاد للحكيم وقدَّم إليه أسفه قائلاً: «لقد كنت محقاً أيُّها الحكيم، إنَّ فقداني للثور لم يكن أسوأ

شيء يمكن أن يقع لي، لقد كان نعمة لم أستطع فهمها، فلو لم يحدث ذلك لما تسنَّى لي أبداً أن أصيد حصاناً جديداً، لا بُدَّ أنَّك توافقني على أنَّ ذلك هوأفضل شيء يمكن أن يحدث لي».

فأجاب الحكيم: «ربَّما نعم وربَّما لا».

فقال الفلَّاح لنفسه: «لا ثانيةً، لا بُدَّ أنَّ الحكيم قد فقد صوابه هذه المرَّة».

وتارة أُخرى لم يدرك الفلَّاح ما يحدث، وبعد مرور بضعة أيَّام سقط ابن الفلَّاح من فوق صهوة الحصان فكسرت ساقه، ولم يعد بمقدوره المساعدة في أعمال الحصاد، ومرَّة أُخرى ذهب الفلَّاح إلى الحكيم وقال له: «كيف عرفت أنَّ اصطيادي للحصان لم يكن أمراً جيِّداً؟ لقد كنت على صواب ثانية، فلقد جرح ابني ولن يتمكن من مساعدتي في الحصاد، هذه المرَّة أنا على يقين بأنَّ هذا هو أسوأ شيء يمكن أن يحدث لي، لا بُدَّ أنَّك توافقني هذه المرَّة».

ولكن كما حدث من قبل، نظر الحكيم إلى الفلَّاح وأجابه بصوت تعلوه الشفقة وقال: «ربَّما نعم وربَّما لا».

استشاط الفلَّاح غضباً من جهل الحكيم وعاد من فوره إلى القرية.

في اليوم التالي، قدم الجيش واقتاد جميع الرجال القادرين للمشاركة في الحرب التي اندلعت للتوّ، وكان ابن الفلَّاح الشاب الوحيد الذي لم يصطحبوه معهم، ومن هنا كتبت له الحياة في حين أصبح مصير غالبية الذين ذهبوا للحرب أن يلقوا حتفهم! . .

كلنا ننشد السعادة ونبحث عنها

قال أحد الأطبَّاء: «وضعت مرَّة وأنا شاب جدولاً لطيِّبات الحياة المعترف بها، فكتب هذا البيان بالرغائب الدنيوية؟ (الصحة والحب والموهبة والقوَّة والثراء والشهرة) ثم تقدَّمت بها في زهو إلى شيخ حكيم..

فقال صديقي الشيخ: «جدول بديع، وهو موضوع على ترتيب لا بأس به، ولكن يبدو لي أنَّك أغفلت العنصر المهم الذي يعود جدولك بدونه عبثاً لا يُطاق»، وضرب بالقلم على الجدول كله، وكتب كلمتين: (سكينة النفس).

وقال: «هذه هي الهبة التي يدخرها الله لأصفيائه، وإنَّه ليعطي الكثيرين الذكاء والصحة، والمال مبتذل، وليست الشهرة بنادرة، أمَّا سكينة القلب فإنَّه يمنحها بقدر»..

وقال على سبيل الإيضاح: ليس هذا برأي خاص لي، فما أنا إلَّا ناقل من المزامير، ومن أوريليوس، ومن لادنس، هؤلاء الحكماء يقولون: «خل يا ربِّ نعم الحياة الدُّنيا تحت أقدام الحمقى وأعطني قلباً غير مضطرب!».

وقد وجدت يومئذٍ أنَّ من الصعب أن أتقبل هذا، ولكن الآن بعد نصف قرب من التجربة الخاصة والملاحظة الدقيقة، أصبحت أدرك أنَّ

سكينة النفس هي الغاية المثلى للحياة الرشيدة، وأنا أعرف الآن أنَّ جملة المزايا الأُخرى ليس من الضروري أن تفيد المرء السكينة، وقد رأيت هذه السكينة تزهر بغير عون من المال، بل بغير مدد من الصحة، وفي طاقة السكينة أن تحول الكوخ إلى قصر رحب، أمَّا الحرمان فإنَّه يحيل قصر الملك قفصاً وسجناً . .

قانون صدى الحياة

يحكى أنَّ أحد الحكماء خرج مع ابنه خارج المدينة ليعرفه على التضاريس من حوله في جو نقي.. بعيداً عن صخب المدينة وهمومها.. سلك الاثنان وادياً عميقاً تحيط به جبال شاهقة.. وأثناء سيرهما.. تعثر الطفل في مشيته.. سقط على ركبتيه.. صرخ الطفل على أثرها بصوت مرتفع تعبيراً عن ألمه: «آاااه». فإذا به يسمع من أقصى الوادي من يشاطره الألم بصوت مماثل: «آااااه».

نسي الطفل الألم وسارع في دهشة سائلاً مصدر الصوت: «ومن أنت؟».

فإذا بالجواب يردّ عليه سؤاله: «ومن أنت؟».

انزعج الطفل من هذا التحدي بالسؤال فردَّ عليه مؤكِّداً: «... بل أنا أسألك من أنت؟».

ومرة أُخرى لا يكون الردّ إلَّا بنفس الجفاء والحدة: «بل أنا أسألك من أنت؟».

فقد الطفل صوابه بعد أن استثارته المجابهة في الخطاب.. فصاح غاضباً: «أنت جبان».

فهل كان الجزاء إلَّا من جنس العمل. . وبنفس القوَّة يجيء الردّ: «أنت جبان».

أدرك الصغير عندها أنَّه بحاجة لأن يتعلَّم فصلاً جديداً في الحياة من أبيه الحكيم الذي وقف بجانبه بدون أن يتدخل في المشهد الذي كان من إخراج ابنه.

قبل أن يتمادى في تقاذف الشتائم تمالك الابن أعصابه وترك المجال لأبيه لإدراك الموقف حتى يتفرغ هو لفهم هذا الدرس، تعامل الأب كعادته بحكمة مع الحدث. . وطلب من ولده أن ينتبه للجواب هذه المرَّة وصاح في الوادي: «إنَّني أحترمك».

كان الجواب من جنس العمل أيضاً. . فجاء بنفس نفحة الوقار: «إنِّي أحترمك».

عجب الابن من تغير لغة المجيب. . ولكن الأب أكمل المساجلة قائلاً: «كم أنت رائع».

فلم يقلَّ الرد عن تلك العبارة الراقية: «كم أنت رائع».

ذهل الطفل ممَّا سمع، ولكن لم يفهم سرّ التحول في الجواب، ولذا صمت بعمق لينتظر تفسيراً من أبيه لهذه التجربة الفيزيائية. . علَّق الحكيم على هذه الواقعة بهذه الحكمة:

«أي بُنيَّ نحن نسمِّي هذه الظاهرة الطبيعية في عالم الفيزياء (الصدى). . لكنَّها في الواقع هي الحياة بعينها. . إنَّ الحياة لا تعطيك إلَّا بمقدار ما تعطيها. . ولا تحرمك إلّا بمقدار ما تحرم نفسك منها. . فالحياة هي مرآة لأعمالك وصدى لأقوالك».

التفكير المستقيم والتفكير الأعوج

كُتب على قبر قسيس في مقبرة «وستمنستر آبي» ببريطانية ما يلي:

«عندما كنت شاباً يافعاً ذا خيال خصب وطموح بلا حدود، كان حلمي أن أصلح وأُغيِّر العالم.. لكن لما نضجت وأصبحت أكثر فطنة ودراية، اكتشفت أنَّ العالم لن يتغيَّر حسب مزاجي، وقرَّرت أن أحدَّ من خطتي وأكتفي بإصلاح وتغيير بلدي وحسب.. إلَّا أنَّه سرعان ما تبيَّن لي أنَّ هذا أيضاً بحكم المستحيل! ولما تقدَّم بي السِّن، قمت بمحاولة أخيرة لإصلاح أقرب الناس إليَّ: عائلتي وأصدقائي الخلَّص.. إلَّا أنَّني فوجئت برفضهم أي تغيير كذلك! والآن.. وأنا أرقد على فراش الموت اتضح لي فجأة أنَّه لو ركَّزت في البدء على إصلاح نفسي، لكنت مهَّدت الطريق على الأغلب لتغيير عائلتي التي كانت ستتخذني مثالاً.. وبدعم وإلهام من عائلتي المحبة كنت سأقدر على تحسين بلدي، ومن يدري لعلَّه كان باستطاعتي عندها أن أُغيِّر العالم!..».

قانون الزجاج

ذهب شاب غني، في مقتبل العمر وزهرة الحياة لاجئاً إلى حكيم البلدة قاصداً الاستفادة من حكمته علَّها تنير له دربه رحب به الحكيم وأخذ بيده ليقفا أمام نافذة البيت، وسأله الحكيم: «ماذا يمكنك رؤيته من خلال زجاج النافذة؟».

أُناس يغدون ويروحون، وهناك رجل أعمى مادّاً يده يستجدي المارَّة.

عندها التفت الحكيم ليُري الشاب «مرآة» عريضة كانت بالغرفة، قائلاً: «الآن اذهب قبالة هذه المرآة، وقل لي ماذا يمكنك رؤيته؟».. تعجَّب الشاب وردَّ: «أرى نفسي».

«صدقت، لا يمكنك أبداً رؤية الآخرين، تأكَّد أنَّ كلا من النافذة والمرآة مصنوع من نفس المادة، الزجاج، ولكن زجاج المرآة مُغلَّف بطبقة رقيقة من الفضة لا تجعلك ترى غير نفسك».

خطورة الغرور

حُكي أنَّ فارساً ركب جواده فسار به نحو الجبال والأودية، وفجأة توقف الفرس إذ اصطدم بنهر، ورغم أنَّه ليس بعميق إلَّا أنَّه لم يتقدم مع كُلِّ المحاولات التي قام بها الفارس، وكان بجانب النهر رجلاً من الحكماء، فقال للفارس: حرِّك الماء بعصاك فإنَّه يمشي، وبالفعل بمجرَّد أن حرَّك الفارس الماء مشى الفرس، فتقدم الفارس من الرجل الحكيم وسأله عن سبب وقوف الفرس وتحرُّكه، فقال الحكيم: إنَّ الفرس كان يرى نفسه في الماء الصافي فلمَّا حرَّكت الماء ذهبت صورته فمشى... وهكذا المغرور فإنَّه لا يرى إلَّا نفسه، فهو لا يسمع لأحد، ولا بُدَّ من إزالة صورة نفسه حتى يتقدم، وإلَّا فسيتوقف عن التقدُّم في المسير إلى الله تعالى.

شحذ الهمَّة

يحكى أنَّ رجلاً جلس في الغابة مهموماً كئيباً، فمرَّ به أحد الحكماء وسأله: ما بك مغموماً؟ فقال له: لأنِّي خرجت من بيتي صباحاً وعدت حتى الظهر وقد قطعت سبعة أشجار للحطب، فقال له الحكيم: ولماذا أنت مهموم؟ فقال: لأنِّي تحمست للعمل فخرجت في اليوم الثاني وعملت حتى العصر ولم أقطع سوى أربعة أشجار. فقال: ولماذا أنت حزين؟ قال: لأنِّي خرجت في اليوم الثالث وأنا متحمس أكثر وبقيت إلى الغروب ولم أقطع سوى شجرتين فقط، فلماذا حصل هذا الأمر؟ فقال له الحكيم: «لأنَّك لم تشحذ المنشار، إنَّك أردت الإسراع بالعمل مع أنَّه بحاجة إلى شحذ».

العبرة:

إنَّ الإنسان قد يكدّ ويعمل ليل نهار من دون أن يشحذ همَّته فيعمل طويلاً بلا نتيجة.

الدُّنيا

حكى أنَّ شاباً رأى فتاة جميلة جداً، فذهب لوالده وطلب منه أن يخطبها له، فلمَّا رآها الوالد قال لولده: هذه لا تصلح لك بل تصلح لإنسان مثلي، يقدر عليها ويلبِّي متطلباتها، واختلفا فيها، وأخيراً تمَّ الاتفاق على أن يتحاكما إلى الشرطة، وبالفعل ذهبا للشرطي ولما عرف الشرطي بالأمر ونظر إلى الفتاة قال: هذه لا تصلح لكما بل لي فأنا أخبر الناس بها وأقدر على تلبية أُمورها.. ولما اختلفوا فيها قالوا: لنتحاكم عند القائد الأعلى، فلما رآها القائد قال: هذه لي.. ثم تحاكموا عند الوزير، فقال الوزير هي لي ثم عند الرئيس فقال الرئيس: هي لي... عندها قال أحدهم: لنترك الخيار لها فليس هناك شخص تتحاكم إليه..

فقالت لهم: من يلحق بي فأنا له، ثم ركضت بسرعة فركضوا خلفها حتى سقطوا في حفرة كبيرة. فعادت إليهم وقالت لهم: أنا الدُّنيا لقد تمثَّلت لكم في صورة جميلة وأريد أن تعرفوا أنَّكم لن تصلوا إليَّ وأنَّ مصير كُلُّ واحد منكم هو حفرة يدفن فيها بعد الموت.

كريستوف كولومبوس

عندما أبحر «كولومبوس» قاصداً الهند تغيَّرت الرياح فسارت به السفينة إلى اكتشاف قارة أميركا.. وعاد إلى بلاده فأكرمته الملكة إكراماً مميزاً ممَّا ثار حفيظة بعض الأشخاص فصاروا يقولون: إنَّه لم يقم بعمل مميَّز وإنَّما مجرَّد صدفة قادته إلى أميركا... فجمع كولومبوس بعض الأشخاص ووضع أمام كل واحد منهم بيضة وطلب منهم أن يجعلوها واقفة فلم يستطيعوا، وإذا به يتقدَّم إلى بيضة ويكسرها ويوقفها، فقالوا: إنَّه عمل بسيط كل واحد يقدر عليه، فقال لهم: إذن لماذا لم تفعلوه؟

العبرة:

عندما يقوم بعض الأشخاص بعمل اجتماعي أو إنمائي تجد بعض الأشخاص أنَّهم يحاولون التقليل من أهميته فيقولون: وماذا فعل فلان؟ وكل واحد يقدر على نفس العمل؟ وكل ذلك بدافع الغيرة والحسد.

الطبع

جلس عجوز حكيم على ضفة نهر، وراح يتأمَّل في الجمال المحيط به ويتمتم بكلمات..

وفجأة لمح عقرباً وقد وقع في الماء وأخذ يتخبَّط محاولاً أن يُنقذ نفسه من الغرق؟!

قرَّر الرجل أن ينقذه..

مدَّ له يده فلسعه العقرب..

سحب الرجل يده صارخاً من شدَّة الألم..

ولكن لم تمض سوى دقيقة واحدة حتى مدَّ يده ثانية لينقذه..

فلسعه العقرب..

سحب يده مرَّة أُخرى صارخاً من شدَّة الألم..

وبعد دقيقة راح يحاول للمرة الثالثة..

وعلى مقربة منه كان يجلس رجل آخر ويُراقب ما يحدث!

فصرخ به الرجل: أيُّها الحكيم لم تتعظ من المرة الأولى ولا من المرة الثانية..

وها أنت تحاول إنقاذه للمرة الثالثة؟

لم يأبه الحكيم لتوبيخ الرجل. . وظلَّ يُحاول حتى نجح في إنقاذ العقرب. .

ثم مشى باتجاه ذلك الرجل وربت على كتفه قائلاً:

«يا بُنيَّ! من طبع العقرب أن «يلسع» ومن طبعي أن «أُحب وأعطف» فلماذا تريدين أن أسمح لطبعه أن يتغلب على طبعي!!!

وبالتالي عليك أن تُعَامِل النَّاس بطبعِكْ الحسن، لا بطباعهِمْ مهما كانوا ومهما تعدَّدت تصرفاتهم التي تجرحك وتُؤلمك في بعض الأحيان»[١].

---

(١) مداد النفس: ص٢٤٤ ـ ٢٤٥.

قصة وعبرة انتبه لما تسمع

كان رجلان يمشيان في مدينة مزدحمة تعجّ بالضجيج فقال أحدهما لصاحبه:

اسمع ما أجمل صوت العصافير.

عجب صاحبه منه فقال: وكيف سمعت صوت العصافير وسط الضجيج؟

فأخرج الرجل قطعة نقدية من جيبه وألقاها في الطريق فإذا بنحو عشرة أشخاص ينحنون للبحث عنها.

فقال عندها لصاحبه: إنَّنا نسمع ما ننصت إليه.

فانتبه لما يحمله بريدك من كلمات ورسائل، وتعامل بإيجابية مع الرسائل الجيدة، والغِ كُلّ الرسائل السلبية[1].

---

(١) مداد النفس: ص٢٤٨.

فعل الخير

كان هناك امرأة تصنع الخبز لأُسرتها، وكانت يومياً تصنع رغيف خبز إضافي لأيِّ عابر سبيل جائع، وكانت دائماً تضع الرغيف الإضافي على شرفة النافدة لأيِّ مار ليأخذه.

في كُلِّ يوم كان يمرُّ رجل فقير أحدب ويأخذ الرغيف، وبدلاً من إظهار امتنانه لأهل البيت كان يُدمدم بالكلمات التالية: «الشَّر الذي تُقدِّمه يبقى معك، والخير الذي تُقدِّمه يعود إليك!».

كل يوم كان الأحدب يمرُّ فيه ويأخذ رغيف الخبز ويُدمدم بنفس الكلمات: «الشَّر الذي تُقدِّمه يبقى معك، والخير الذي تُقدِّمه يعود إليك!».

بدأت المرأة في الشعور بالضيق لعدم إظهار الرجل للعرفان بالجميل والمعروف الذي تصنعه وهذا ما حدَّثت به نفسها كُلّ يوم: «كل يوم يمرُّ هذا الأحدب ويُردِّد جملته الغامضة وينصرف، ترى ماذا يقصد؟».

في أحد الأيام أضمرت في نفسها أمراً وقررت التخلُّص من الأحدب!

ترى ماذا فعلت؟

لقد أضافت بعض السُّم إلى رغيف الخبز الذي صنعته له وكانت على وشك وضعه على النافذة حينما بدأت يداها في الارتجاف:

ما هذا الذي أفعله؟! قالت لنفسها وهي تلقي بالرغيف فوراً ليحترق في النار، وقامت بصنع رغيف خبز آخر ووضعته على النافذة.

وكما هي العادة جاء الأحدب وأخذ الرغيف وهو يُدمدم «الشرُّ الذي تُقدِّمه يبقى معك، والخير الذي تُقدِّمه يعود إليك!» وانصرف إلى سبيله وهو غير مدرك للصراع المستعر في عقل المرأة.

كل يوم كانت المرأة تصنع فيه الخبز كانت تقوم بالدُّعاء لولدها الذي غاب بعيداً وطويلاً بحثاً عن مستقبل واعد..

ولشهور عديدة لم تصلها أي أنباء عنه وكانت دائمة الدُّعاء بعودته لها سالماً.

في ذلك اليوم الذي تخلصت فيه من رغيف الخبز المسموم، دقَّ باب البيت مساءً وحينما فتحته وجدت ـ لدهشتها ـ ابنها واقفاً بالباب.

كان شاحباً متعباً وملابسه شبه ممزَّقة، وكان جائعاً ومرهقاً وبمجرَّد رؤيته لأُمِّه قال: «إنَّها لمعجزة أن وصلت إلى هنا، فعلى بعد مسافة أميال من هنا كنت مجهداً ومتعباً وأشعر بالإعياء لدرجة الانهيار في الطريق وكدت أن أموت لولا مرور رجل أحدب بي رجوته أن يعطيني أيّ طعام معه وكان الرجل طيِّباً بالقدر الذي أعطاني فيه رغيف خبز كامل لآكله».

وأثناء إعطاؤه لي قال: «إنَّ هذا طعامه كُلّ يوم واليوم سيعطيه لي لأنَّ حاجتي أكبر كثيراً من حاجته».

بمجرَّد أن سمعت الأُمّ هذا الكلام شحبت وظهر الرعب على

وجهها وارتكنت على الباب وتذكّرت الرغيف المسموم الذي صنعته اليوم صباحاً.

فلو لم تقم بالتخلص منه في النار لكان ولدها هو الذي أكله ولكان قد فقد حياته!

ولحظتها أدركت معنى كلام الأحدب «الشَّر الذي تُقدِّمه يبقى معك، والخير الذي تُقدِّمه يعود إليك!»[١].

(١) مداد النفس: ص٢٥٣ ـ ٢٥٤.

جراحات القلوب

«كان هنالك ولد عصبي يفقد صوابه بشكل مستمر. فأحضر له والده كيساً مملوءاً بالمسامير وقال له: يا بُنيَّ أريدك أن تدق مسماراً في سياج حديقتنا كُلَّما اجتاحتك موجة غضب وفقدت أعصابك.

وهكذا بدأ بتنفيذ نصيحة والده فدقَّ في اليوم الأوَّل ٣٧ مسماراً ولكن إدخال المسمار في السياج لم يكن سهلاً. فبدأ يحاول تمالك نفسه عند الغضب.. وبعد مرور أيَّام كان يدقّ مسامير أقل..

وبعدها بأسابيع تمكن من ضبط نفسه... وتوقف عن الغضب وعندقِّ المسامير. فجاء إلى والده وأخبره بإنجازه، ففرح الأب بهذا التحوُّل وقال له:

ولكن عليك يا بُنيَّ باستخراج مسمار لكُلِّ يوم لا تغضب به.

وبدأ الولد من جديد بخلع المسامير في اليوم الذي لا يغضب فيه حتى انتهى من المسامير في السياج.. فجاء إلى والده وأخبره بإنجازه مرَّة أُخرى..

فأخذه والده إلى السياج وقال له: يا بُنيَّ إنَّك صنعت حسناً.. ولكن انظر الآن إلى تلك الثقوب في السياج، هذا السياج لن يكون كما كان أبداً.

وأضاف: عندما تقول أشياء في حالة غضب فإنَّها تترك آثاراً مثل هذه الثقوب في نفوس الآخرين، تستطيع أن تطعن الإنسان وتخرج السكين ولكن لا يهم كم مرة تقول: أنا آسف، لأنَّ الجرح سيظل هناك..»[١].

---

(١) الأبعاد الخفية، العدد ١٢٤، ص٦٤.

مشكلة وثلاث خيارات

حُكي أنَّ فتاة اشتكت لأبيها مصاعب الحياة وقالت: إنَّها لا تعرف ماذا تفعل لمواجهتها، لأنَّها ما أن تحل مشكلة حتى تصادفها مشكلة أُخرى. لذا لم تجد بُدّاً من أن تستسلم! اصطحبها أبوها إلى المطبخ وملأ ثلاثة أوان بالماء ووضعها على نار ساخنة، وسرعان ما أخذ الماء يغلي في الأواني الثلاثة، فوضع في الإناء الأوَّل جزرة، وفي الثاني بيضة، وفي الثالث حبَّات القهوة المحمصة والمطحونة «البن».

وأخذ ينتظر إلى أن ينضج ما في الأواني الثلاثة وهو صامت، نفد صبر الفتاة واحتارت، انتظر الأب بضع دقائق ثم أطفأ النار، وأخذ الجزرة والبيضة والقهوة المغلية ووضع كلّاً منها في إناء.

وقال لابنته: ماذا ترين؟

أجابت: جزرة وبيضة وبن.

طلب منها أن تتحسَّس الجزر فلاحظت أنَّه صار ناضجاً ورخواً، ثم طلب منها أن تنتزع قشرة البيضة، فلاحظت أنَّ البيضة باتت صلبة، ثم طلب منها أن ترتشف بعض القهوة، فابتسمت الفتاة عندما ذاقت نكهة القوة الغنية فسألت أباها مستفهمة؟

فقال: اعلمي يا ابنتي أنّ كلا من الجزر والبيضة والبن قد واجه الخصم نفسه، وهو المياه المغلية، لكن كلا منها تفاعل مع الخصم بشكل مختلف ومغاير تماماً عن الآخر، لقد كان الجزر قوياً وصلباً ولكنَّه ما لبث أن ضعف، أمَّا البيضة فقد فقد كانت قشرتها الخارجية تحمي سائلها الداخلي، لكن هذا الداخل ما لبث أن تصلب، أمَّا القهوة المطحونة فقد كانت ردَّة فعلها فريدة إذ إنَّها تمكنت من تغيير الماء نفسه، فماذا عنك؟

هل أنت الجزرة التي تبدو صلبة ولكنَّها عندما تتعرَّض للصعوبات تفقد قوَّتها؟

أم أنَّك البيضة ذات القلب الرخو ولكنَّها إذا ما واجهت المشاكل تصبح قوية وصلبة، وقد تبدو قشرتك لا تزال كما هي ولكنَّك تغيَّرت من الداخل، فبات قلبك قاسياً.

أم أنَّك مثل البن المطحون، الذي يُغيِّر الماء الساخن (وهو مصدر الألم) بحيث يجعله ذا طعم أفضل؟

فرِّغ قلبك

أراد أحدهم أن يحصل على حكمة جليلة تفيده في حياته، فذُكر له حكيم هندي، فسافر الرجل من بلد إلى بلد.. ومن قرية إلى قرية يسأل عن ذلك الحكيم الهندي، إلى أن وصل إلى بيته، طرق الرجل الباب، فاستقبلته امرأة عجوز وقالت: تفضَّل يا بُنيَّ، دخل الرجل إلى غرفة الاستقبال.. وانتظر طويلاً، ساعة.. ساعتين، إلى أن مضت الساعات الطوال.

ما هذا؟؟!! الوقت يمضي ولا أحد، وبعد طول انتظار.. دخل الحكيم الهندي وألقى التحية، وجلس ساكتاً لبرهة من الزمن، والضيف يُفكِّر كيف يبدأ حديثه!!؟

والحكيم الهندي لا يزال الصمت يخيم على سمائه! بدأ الرجل بالحديث قائلاً: جئتك من بلاد بعيدة لأحصل منك على حكمة تنيرني في حياتي.

قال الحكيم الهندي: حسناً يا بُنيَّ.

سكت الحكيم الهندي طويلاً يُفكِّر..!! ثم قال متسائلاً: أتشرب الشاي يا بُنيَّ؟! قال الرجل على الفور: نعم أشرب يا حكيم، فهو منذ ساعات لم يتذوق شيئاً.

ذهب الحكيم لبرهة من الزمن ثم عاد يحمل معه صينية فيها إبريق من الشاي وكأس.

وبدأ يسكب الشاي في الكأس، ويسكب.. امتلأ الكأس والحكيم لا زال يسكب فيه، امتلأت الصينية.. والحكيم مستمر في السكب!! فاض الشاي على المنضدة.. والحكيم مستمر في فعله!! حتى فاض الشاي على الأرض.. وهو غير مبالٍ بما يفعل.. فجأة قال الضيف: كفى.. كفى.. ما هذا؟!.. أنت حكيم أو مجنون؟؟!

رفع الحكيم بصره للرجل متعجباً وقال: يكفي يا بُنيَّ؟ قال الرجل: نعم.

وهنا قال الحكيم الهندي: انظر يا بُنيَّ إذا أردت أن تستفيد من هذه الحياة فينبغي أن تكون كأسك فارغة، وأنا حين تأخَّرت عنك امتلأت كأسك.. ولم تستطع أن تستقبل منِّي شيئاً.

إذاً عليك أيُّها اللبيب قبل أن تعمد لتحقيق ما تريد أن تفرغ ذهنك من كل ما قد يقف عائقاً أمام تحقيق أُمنياتك أو ما قد يشوهها من المشاغل الدنيوية، والأفكار السلبية أو أمراض القلوب المنتنة من حسد وبغض وكراهية.

لتجني ثمار ما تريد عليك أن تفرغ كأسك لتستوعب فتحفظ وتعمل.. وإلَّا سيفيض ما تريد إلى الأطراف كما فاض الشاي من الكأس.. وإذا أحسست أنَّ الكأس بدأ يمتلىء، فتوقف وغيِّر من حالك..

تعمَّق في الأُمور

التقى خريجو إحدى الجامعات في منزل أستاذهم العجوز بعد سنوات طويلة من مغادرة مقاعد الدراسة، وبعد أن حقَّقوا نجاحاتٍ كبيرة في حياتهم العملية ونالوا أرفع المناصب، وبعد عبارات التحية والمجاملة طفق كُلٌّ منهم يتأفَّف من ضغوط العمل والحياة التي تُسبِّب لهم الكثير من التوتر، وبعد فترة غاب الأُستاذ عنهم قليلاً ثم عاد يحمل إبريقاً كبيراً من القهوة، ومعه أكواب من كُلِّ شكل ولون: زجاج، كريستال، بلاستيك..

بعض الأكواب كانت في منتهى الجمال تصميماً ولوناً وباهظة الثمن، بينما كانت هناك أكواب من النوع الذي تجده في أفقر البيوت، قال لهم الأستاذ: تفضَّلوا، كُلُّ واحدٍ منكم يسكب لنفسه القهوة.. وعندما أمسك كل واحد من الخريجين بكوب، قال الأستاذ: هل لاحظتم أنَّ الأكواب الجميلة فقط هي التي وقع عليها اختياركم وأنَّكم تجنبتم الأكواب العادية؟ ومن الطبيعي أن يتطلع الواحد منكم إلى ما هو أفضل، وهذا بالضبط ما يُسبِّب لكم القلق والتوتر، ما كنتم بحاجة إليه فعلاً هو القهوة وليس الكوب، ولكنَّكم تهافتم على الأكواب الجميلة الثمينة، وعين كل واحد منكم على الأكواب التي في أيدي الآخرين.. فلو كانت الحياة هي القهوة فإنَّ الوظيفة والمال والمكانة

الاجتماعية هي الأكواب، وهي بالتالي مجرَّد أدوات وأوان تحوي الحياة.. ونوعية الحياة (القهوة) هي التي لا تتغيَّر، وبالتركيز فقط على الكوب نضيِّع فرصة الاستمتاع بالهقوة.

وبالتالي أنصحكم بعدم الاهتمام بالأكواب والفناجين على حساب الاستمتاع بالقهوة، وأيضاً عدم الحكم على الآخرين من خلال مظاهرهم وأشكالهم!

وهم الغنى.. مقبرة العيش

كان يمتلك قدراً هائلاً من الذهب وقد دفنه تحت الأرض، فكان يصبح ويمسي يراقبه ويتأمَّله، وكان في ذلك الأثناء لص يتابعه واستطاع أن يخمن مكان الذهب وفي إحدى اللَّيالي ذهب اللص إلى المكان وحفر حتى وجد الذهب وأخذه ولاذ بالفرار، وعندما اكتشف الرجل سرقة ذهبه غرق في الحزن وراح يتأوَّه ويندب حظه، فسمعه أحدى الجيران وجاء إليه عندما علم بما حدث قال له: لا تحزن واذهب وأحضر حجارة وادفنها مكان الذهب وتخيلها ذهباً، وستؤدِّي الغرض بنفس الكفاءة؛ لأنَّك لم تكن تستفيد من الذهب أساساً!

اجمع ولا تُفرِّق

أراد خيَّاط أن يُعلِّم حفيده حكمة عظيمة على طريقته الخاصَّة، وفي أثناء خياطته لثوب جديد أخذ مقصّه الثمين وبدأ يقصُّ قطعة القماش الكبيرة إلى قطع أصغر كي يبدأ بخياطتها؛ ليصنع منها ثوباً جديداً، وما أن انتهى من قصّ القماش حتى أخذ ذلك المقصّ الثمين ورماه على الأرض عند قدميه! والحفيد يراقب بتعجب ما فعله جده.

ثم أخذ الجد الإبرة وبدأ في جمع تلك القطع ليصنع منها ثوباً رائعاً وما أن انتهى من الإبرة حتى غرسها في عمامته.

في هذه اللحظة لم يستطع الحفيد أن يكبح فضوله وتعجبه من سلوك جده فسأله: لماذا يا جدِّي رميت مقصك الثمين على الأرض بين قدميك بينما احتفظت بالإبرة زهيدة الثمن ووضعتها على عمامة رأسك؟

فأجابه الجد: يا بُنيَّ إنَّ المقص هو الذي قصَّ قطعة القماش الكبيرة تلك وفرَّقها وجعل منها قطعاً صغيرة، بينما الإبرة هي التي جمعت تلك القطع لتصبح ثوباً جميلاً، فنبغي عليك ألَّا تعلي قدر من يحاول أن يُفرِّق ويُفكِّك ترابطنا وتآخينا مهما بدت مكانته العالية، وعلى النقيض تماماً كن مع من يحاول لم الشمل وجمعه بالترابط والتآخي.

حجر ليقظتك!

بينما كان أحد رجال الأعمال، سائراً بسيارته الجاكوار الجديدة، في أحد الشوارع، ضُربت سيارته بحجر كبير من على الجانب الأيمن، نزل ذلك الرجل من السيارة بسرعة؛ ليرى الضرر الذي لحق بسيارته، ومن الذي فعل ذلك!

وإذ به يرى ولداً يقف في زاوية الشارع، وتبدو عليه علامات الخوف والقلق، اقترب الرجل من ذلك الولد، وهو يشتعل غضباً، فقبض عليه دافعاً إيَّاه إلى الحائط وهو يقول له: يا لك من ولد جاهل، لماذا ضربت هذه السيارة الجديدة بالحجر؟ إنَّ عملك هذا سيكلفك أنت ووالدك مبلغاً كبيراً من المال!!

انهمرت الدموع من عيني ذلك الولد وهو يقول: «أنا متأسف جداً يا سيِّدي لكنَّني لا أدري ما العمل! لقد مرَّت فترة طويلة وأنا أحاول لفت انتباه أي شخص كان، لكن لم يقف أحد لمساعدتي» ثم أشار بيده إلى الناحية الأُخرى من الطريق، وإذا بولد مرميّ على الأرض ثم تابع كلامه قائلاً: إنَّ الولد الذي تراه على الأرض هو أخي، وهو لا يستطيع المشي، لأنَّه مشلول، وبينما كنت أسير معه، وهو جالس في كرسيه المتحرِّك، اختل توازن الكرسي، وإذا به يهوي في هذه الحفرة، وأنا صغير، ليس

بمقدوري أن أرفعه، مع أنّني حاولت كثيراً، فهل لك أن تساعدنا أيُّها الرجل؟

لم يستطع ذلك الرجل أن يمتلك عواطفه، وغصَّ حلقه، فرفع ذلك الولد المشلول من الحفرة وأجلسه في ذلك الكرسي، ثم أخذ منديلاً من جيبه، وابتدأ يضمد به الجروح التي أصيب بها الولد المشلول من جرَّاء سقطته في الحفرة.

بعد انتهائه، سأله الولد مرتعداً: والآن، ماذا ستفعل بي من أجل السيارة؟ أجابه الرجل: لا شيء يا بُنيَّ، لا تأسف على السيارة!

لم يشأ ذلك الرجل أن يصلح سيارته الجديدة، مبقياً تلك الضربة تذكاراً.. عسى ألَّا يضطر شخص آخر أن يرميه بحجر؛ لكي يلفت انتباهه.

فهل أنت أيضاً بحاجة لحجر ليلفت انتباهك ويوقظك من غفلتك؟

هامش الضعف.. هامش القوَّة

اشتهر النسر بقوَّته وحدَّة بصره ورهبته، إلَّا أنَّه بعد أن يبلغ الثلاثين عاماً، تبدأ قوَّة مخالبه تضعف، وأجنحته الكبيرة تبدأ تلتصق بصدره فيصعب عليه الطيران لارتفاعات عالية والتحليق طويلاً، ومنقاره المدبَّب القوي يضعف كذلك، وإن استمر هكذا يعني هلاكه لا محالة، فلن يستطيع الصيد، فهو يعتمد على مخالبه القوية في الانقضاض على الفرائس، إضافة إلى قوَّة الإبصار من ارتفاعات عالية.. فيكون هاهنا النسر أمام خيارين لا ثالث لهما: إمَّا الاستسلام لقدره فيموت، أو يعيد تقوية بدنه ونشاطه ليعيش، إلَّا أنَّ الخيار الثاني ضريبته غالية وليس خياراً سهلاً..

يبدأ النسر من بعد اختياره الطريقة الثانية في دخول مرحلة صعبة في حياته، وعليه أن يتحمَّل آلامها من أجل البقاء حياً.

يذهب النسر إلى قمَّة الجبل حيث عشه، ويعيش هناك فترة لا تقل عن مئة وخمسين يوماً، يقوم بداية بكسر مخالبه بالضرب على الصخور حتى تنمو مخالب جديدة، حتى إذا ظهرت ونمت قام بكسرها مرة أُخرى، وينتظر بعدها نمو المخالب من جديد التي ستكون أقوى ممَّا كانت قبل عملية الكسر الأولى، وبالمثل يكون الحال مع منقاره.

المرحلة الأخيرة ضمن المئة وخمسين يوماً الصعبة، يقوم النسر

ينتف ريشه حتى ينمو له ريش جديد، وينتظر أياماً وليالي ريثما ينبت له ريش جديد كما لو أنَّه في شبابه. هذا الريش الجديد يعمل على تقوية جناحه الذي لن يلتصق بصدره بعد الآن، ليبدأ النسر حياة جديدة ويعيش بإذن الله ثلاثين سنة أُخرى، ويعود صياداً ماهراً ينقض على فرائسه من علٍّ، ويمزِّقها إرباً بفعل مخالب حادَّة وقوية..

تأمَّل حياة النسر إنَّها معجزة ربَّانية تدعوك وتؤكِّد لك أهمية أن يُجدِّد الإنسان منَّا حياته وأن يستمر مهما كان عمره؛ لكي يكون مفعماً بالقوَّة والنشاط والحياة معنويّاً وجسديّاً.

السعادة في قميص!

يحكى أنَّ أميراً هندياً ثرياً كان يحيا في الترف والبذخ، ومع ذلك لم يكن سعيداً فجمع حكماء إمارته واستشارهم عن سرّ السّعادة.

وبعد صمت وتفكير، تجرأ أحدهم وقال: «يا صاحب السمو والمجد، لا وجود للسعادة على وجه الأرض ومع ذلك إن أحببت العثور عليها فابحث عن رجل سعيد، وإذا وجدته خذ منه قميصه والبسه فتصبح سعيداً»، ركب الأمير جواده وذهب يسأل الناس؛ ليعرف مَن السَّعيد بينهم.

بعض منهم تظاهر بالسعادة، فقال أحدهم: أنا سعيد ولكنِّي على خلاف مع زوجتي، وقال آخر: أنا مريض، وآخر قال: أنا فقير...

تحت وطأةِ الكآبة توجَّه الأمير إلى الغابة، علَّه يرفِّه عن نفسه، ولمَّا دخلها سمع من بعيد صوتاً جميلاً يترنَّم بأغنية حلوة كُلَّما اقترب من الصوت، تبيَّن أنَّه يعبِّر عن سعادة عند صاحبه، ولمَّا وصل إليه، رأى نفسه أمام رجل بسيط! فقال الأمير: هل أنت سعيد كما يبدو لي؟ أجابه: بدون شك أنا سعيد جداً، فقال الأمير: إذن أعطني قميصك لأصبح سعيداً مثلك! وبعد صمت طويل، حدَّق فيه الرجل بنظره الصافي العميق، وابتسم وقال: قميصي؟ كم يسعدني أن أعطيك إيَّاه!

ولكنَّني استغنيت عنه منذ زمن بعيد لمن هو أحوج إليه منِّي، ولذلك أصبحت سعيداً!!

تذكَّر دوماً أنَّ السَّعادة ليست في قميص تَلْبَسُه، بل في آخر تُلبِسُه.

أهم مصادر الكتاب

١ ـ اجمع قطرات الندى، ت: مصطفى بيرم.
٢ ـ حكم لقمان، ت: الشيخ محمَّد الري شهري.
٣ ـ الحكمة عند الإمام علي عليه السلام، ت: الشيخ جوادي آملي.
٤ ـ الحكم، ت: ابن عطاء الله السكندري.
٥ ـ العلم والحكمة، ت: الشيخ محمَّد الري شهري.
٦ ـ الكلم الجامعة والحكم النافعة، ت: السيِّد محمَّد كاظم اليزدي.
٧ ـ محاضرات في الإيزوتيرك، ت: ج .ب.
٨ ـ محبوب القلوب، ت: محمَّد اللاهيجي.
٩ ـ مواهب الرَّحمٰن، ت: السيِّد عبد الأعلى السبزواري.
١٠ ـ موعد مع الحياة، ت: د. خالد المنيف.
١١ ـ مجلة «الأبعاد الخفية».

الفهرس

الفصل الثالث
من رسائل الحكماء

الفصل الرابع
قصص الحكماء

صدر للمؤلف

١ ـ زيارة الإمام الحسين عليه السلام، في رحاب الإمام المهدي ج
٢ ـ كفاية الزائرين
٣ ـ ضياء المؤمنين
٤ ـ الروح بين العلم والعقيدة
٥ ـ النور المبين في فضل الصلاة على محمد وآله الطاهرين
٦ ـ خدمة الناس في سيرة أهل البيت عليهم السلام
٧ ـ المنهج العبادي للأنبياء والأوصياء والعرفاء
٨ ـ النظام الصحي بين الطب الإسلامي والطب الطبيعي
٩ ـ حياة السيد المسيح عليه السلام
١٠ ـ كيف تواجه الابتلاء؟
١١ ـ بحوث في الإمامة والولاية
١٢ ـ جمال السالكين السيد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله
١٣ ـ كيف تقرأ القرآن الكريم
١٤ ـ وصايا العلماء
١٥ ـ غياث الملهوفين في التوسل بمحمّد وآله الطاهرين
١٦ ـ الشفاء في الغذاء في طب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام
١٧ ـ الأحلام نافذة على عالم الغيب
١٨ ـ يوم القيامة ونسبية الزمن بين العلم والقرآن الكريم
١٩ ـ جواهر الأخبار في ما ورد عن النبي وآله الأطهار

٦٩ ـ تزكية النفس

٧٠ ـ زاد الخطباء

٧١ ـ معين الخطباء

٧٢ ـ موسوعة الأحاديث القدسية

٧٣ ـ القوى الروحية لدى النبي والأئمة عليهم السلام

٧٤ ـ تعرّف إلى القوانين الإلهية

٧٥ ـ افتح بصيرتك في عشرين خطوة

٧٦ ـ اقترب عصر النور

٧٧ ـ أبشر أيها المريض

٧٨ ـ التوبة والاستغفار

٧٩ ـ كيف تبني شخصيتك الروحية خلال أربعين يوماً؟

٨٠ ـ الحسنات زادك إلى العالم الآخر

٨١ ـ آثار وبركات المجالس الفاطمية

٨٢ ـ قصص تبكي العيون

٨٣ ـ كيف تعالج ضعف الإيمان؟

٨٤ ـ الاحتياط سبيل النجاة

٨٥ ـ احذروا المشعوذين

٨٦ ـ وصايا النبي صلى الله عليه وآله لكل زوج وزوجة

٨٧ ـ وصية المسلم

٨٨ ـ الدعوة والتبليغ

٨٩ ـ صحيفة الأذكار

٩٠ ـ كيف تموت مطمئناً؟

٩١ ـ الاستشفاء بالطاقة القرآنية

٩٢ ـ ٢٠ طريقة لخدمة الإمام الحسين عليه السلام

٩٣ ـ زيارة العتبات المقدسة

٩٤ ـ كُن سعيداً ولا تحزن
٩٥ ـ وادي السلام
٩٦ ـ سيد الأذكار
٩٧ ـ قصص أذهلتني
٩٨ ـ الله في حياة أهل العرفان
٩٩ ـ الوصول إلى الله تعالى
١٠٠ ـ عشّاق الشهادة
١٠١ ـ المقدسات الدينية
١٠٢ ـ حلّ المشاكل
١٠٣ ـ الاطمئنان بذكر الله
١٠٤ ـ كيف تكون ربّانياً
١٠٥ ـ البرنامج العبادي للنساء
١٠٦ ـ أذكار النساء
١٠٧ ـ موسوعة الطب المجرّب
١٠٨ ـ خطب الجمعة
١٠٩ ـ الزيارة والدعاء عند قبور الشهداء
١١٠ ـ كيف تعالج نفسك بالتوبة والاستغفار؟
١١١ ـ شهادة أهل الإيمان
١١٢ ـ دروس في فقه النفس الإنسانية
١١٣ ـ محاضرات ولائية ١/٢
١١٤ ـ أدعية المؤمنين
١١٥ ـ مناجاة العاشقين
١١٦ ـ محاضرات الخطباء في شرح كلمات سيد الشهداء عليه السلام ١/٢
١١٧ ـ حياة الإمام الحسين عليه السلام برواية النبي وآله عليهم السلام
١١٨ ـ مواعظ وعبر من عالم القبور

١١٩ ـ كيف تكونين أسعد امرأة

١٢٠ ـ موسوعة أخلاق القرآن ١/٤

١٢١ ـ سرّ النجاح في العلاقات الاجتماعية

١٢٢ ـ رسائل وحوارات عرفانية

١٢٣ ـ الأبعاد الأخلاقية في شرح الأحاديث القدسية

١٢٤ ـ طاقة الحياة علاج وشفاء

عنوان المؤلف: جنوب لبنان ـ عديسة
تلفـون: ٠٣/٦٤٩١٣٦
٠١/٢٧٩٥٨١